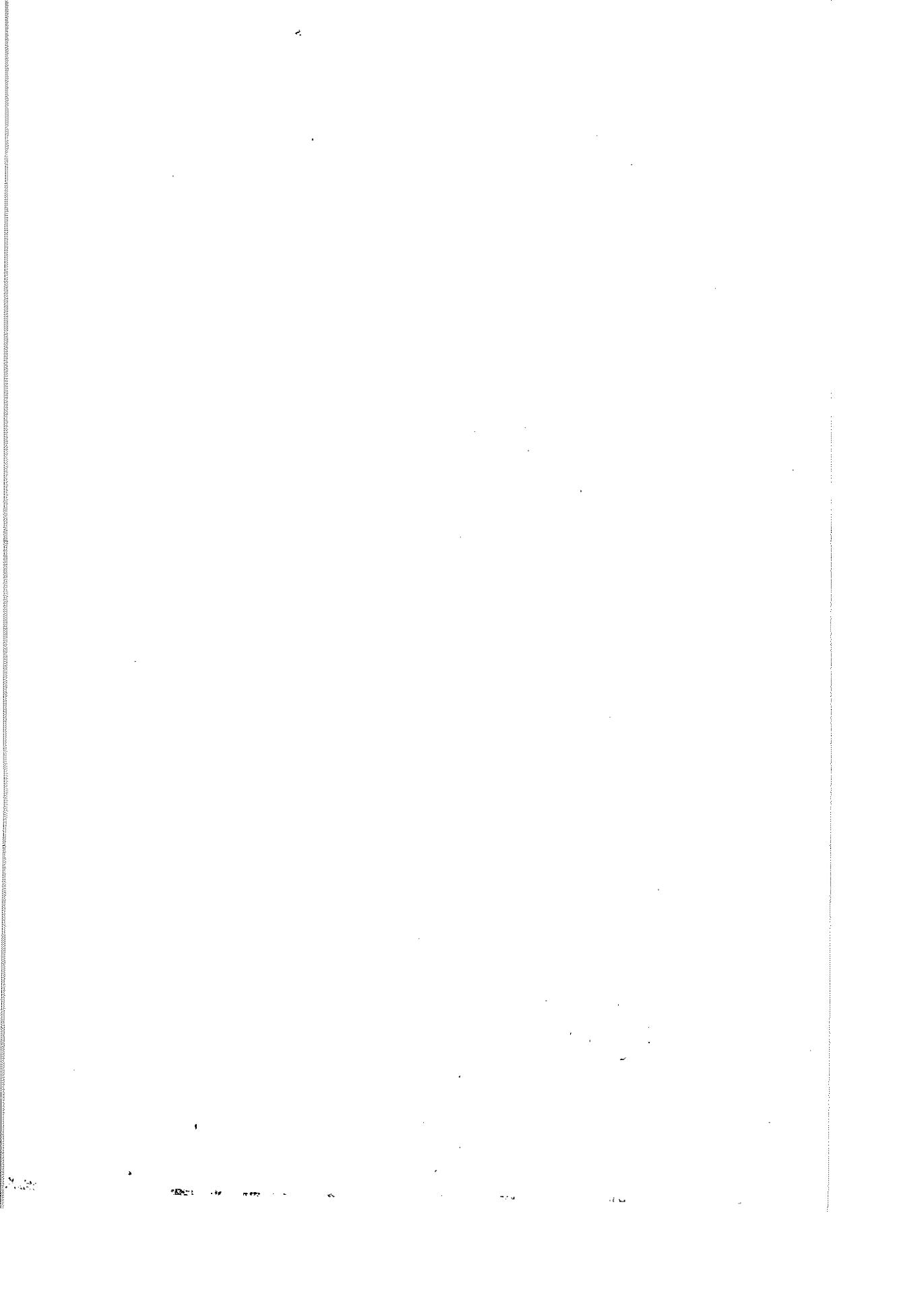


# محاضرات في علم المعاني





منشورات جامعة دمشق

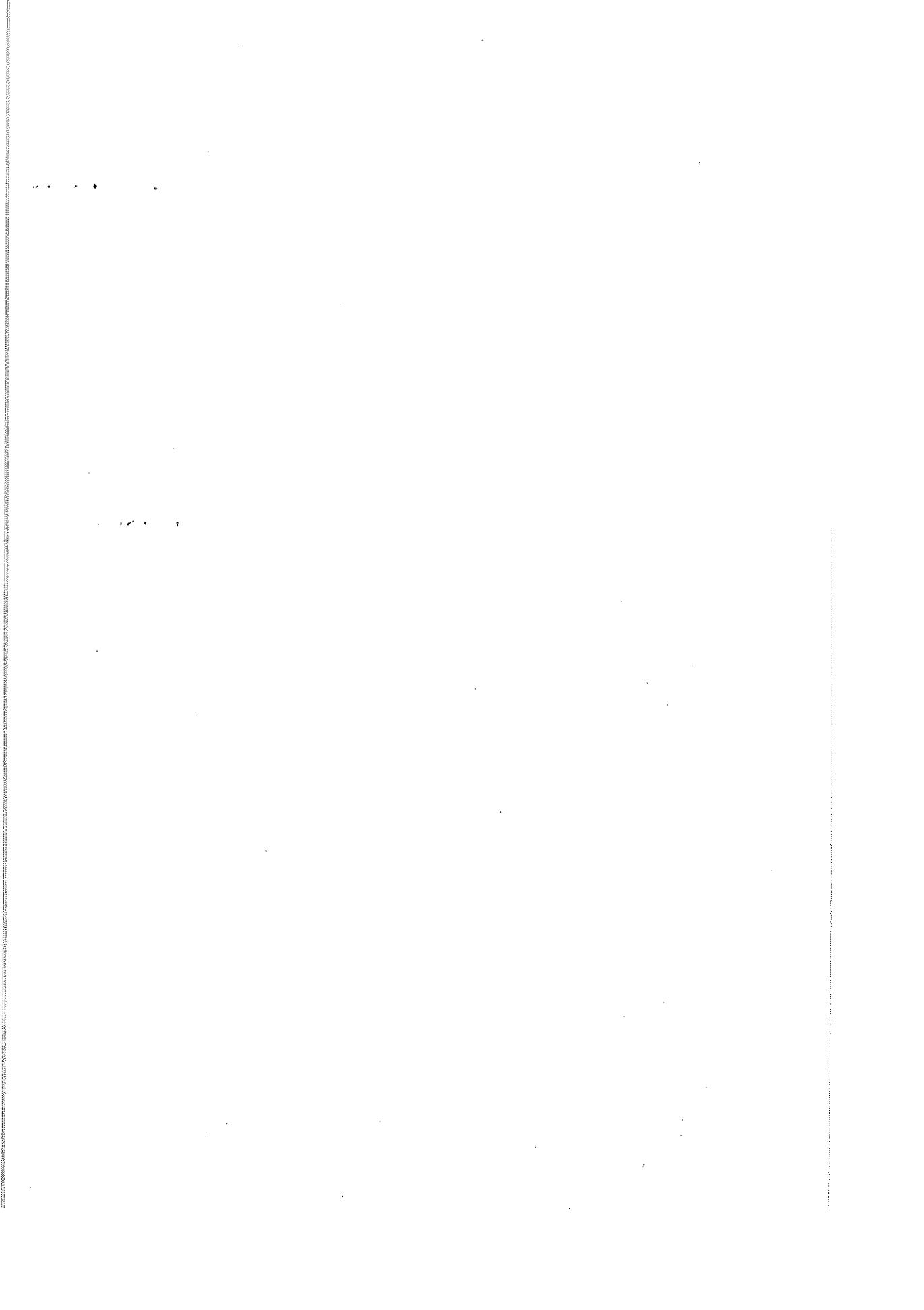
كلية الآداب

# محاضرات في علم المعانى

د. منيرة محمد فاعور

د. محمد هيشر خرة

جامعة دمشق



## فهرس الموضوعات

|                               |  |
|-------------------------------|--|
| ٧                             | — تقدیم .....  |
| ١١                            | — لحہ عن تاریخ البلاغة .....                             |
| ١٩                            | — مقدمۃ في معرفة الفصاحة والبلاغة .....                  |
| ٣٦                            | — تدريبات .....  |
| ٤٢                            | — لحہ موجزة عن علم المعانی وتطوره .....                  |
| ٤٩                            | — مکانته بين العلوم وموضوعاته .....                      |
| (الفصل الأول: الخبر والإنشاء) |  |
| ٥٤                            | أولاً: الخبر — تعريفه — أغراضه .....                     |
| ٥٧                            | — أضربه .....  |
| ٦٠                            | — موکداته .....  |
| ٦٤                            | — تخربیج الكلام على خلاف مقتضی الظاهر .....              |
| ٧١                            | — تدربیات .....  |
| ٧٥                            | ثانياً: الإنشاء — تعريفه — أنواعه .....                  |
| ٧٨                            | — الأمر .....  |
| ٨٣                            | — تدربیات .....  |
| ٨٧                            | — النهي .....  |
| ٩١                            | — تدربیات .....  |
| ٩٤                            | — الاستفهام .....  |
| ١٠٣                           | — تدربیات .....  |
| ١٠٦                           | — التمنی .....   |
| ١١٠                           | — تدربیات .....  |
| ١١٣                           | — النداء .....   |
| ١٢٠                           | — تدربیات .....  |
| (الفصل الثاني: أحوال الإسناد) |  |
| ١٢٥                           | — الجملة — المسند إليه — المسند — المتعلقات بالفعل ..... |

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ١٣١ | — الحذف والذكر.....                |
| ١٤٤ | — الذكر.....                       |
| ١٤٩ | — تدريبات .....                    |
| ١٥٢ | — التعريف والتوكير.....            |
| ١٥٢ | — التعريف .....                    |
| ١٧٠ | — التوكير .....                    |
| ١٧٥ | — تدريبات .....                    |
| ١٨١ | — التقدم والتأخير.....             |
| ١٩١ | — أحوال أخرى تعرض للمسند إليه..... |
| ١٩٦ | — تدريبات.....                     |

**(الفصل الثالث: القصر)**

|     |                    |
|-----|--------------------|
| ٢٠١ | — تعريف القصر..... |
| ٢٠٢ | — طرقه.....        |
| ٢٠٨ | — أقسامه .....     |
| ٢١٣ | — أغراضه .....     |
| ٢١٥ | — تدريبات.....     |

**(الفصل الرابع: الفصل والوصل)**

|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٢٢٢ | — حالات الفصل.....    |
| ٢٣٠ | — حالات الوصل.....    |
| ٢٣٣ | — الجملة الحالية..... |
| ٢٣٦ | — تدريبات.....        |

**(الفصل الخامس: الإيجاز والإطناب والمساواة)**

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ٢٤٣ | — الإيجاز.....                      |
| ٢٥٠ | — الإطناب.....                      |
| ٢٥٨ | — المساواة.....                     |
| ٢٥٩ | — تدريبات .....                     |
| ٢٦٤ | — خاتمة.....                        |
| ٢٦٧ | — فهرس لأبرز المصادر والمراجع ..... |



## تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خاتم المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا كتاب في «علم المعاني» أحد علوم البلاغة العربية: (المعانى، والبيان، والبدىع)، ألقيت محاضراته على طلبة قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، وعلى طالبات كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبى، وعلى طالبات مركز الدراسات الجامعية للبنات في جامعة الملك سعود في الرياض.

وقد روعي في هذا الكتاب ما نصت عليه خطة أقسام اللغة العربية في هذه الجامعات من ضرورة أن يصيّب طالب اللغة العربية وآدابها قسطاً من معرفة هذا العلم يكون له عوناً على فهم أسرار الإعجاز في القرآن الكريم من ناحية، ويتمكنه من الكشف عن الأسرار الجمالية وتذوقها فيما يقرأ من نصوص أدبية من ناحية أخرى.

وللوصول إلى هذا المهدى سعينا في كتابنا هذا إلى دراسة مباحث هذا العلم ومسائله بأسلوب مضاء بما يأتي:

١ — مقدمة عن تاريخ البلاغة العربية منذ أن كانت ملاحظات بسيرة على  
السنة الجاهليين إلى أن استوت علمًا قائمًا بذاته.

٢ — لحنة عن نشأة علم المعانٍ وتطوره، ثم التعريف به وبمكانته بين العلوم،  
والموضوعات التي يدرسها.

٣ — تقرير مسائل (علم المعانٍ) من الطلاب الذين ينظر بعضهم إلى البلاغة  
على أنها مادة عقيمة ليس لها رواء، وقد غاب عنهم أن البلاغة هي علم العربية  
الذي لم ينهض به علماء العربية الأوائل إلا لخدمة القرآن، وتيسير فهمه، وتسهيل  
أساليبه، وإدراك مراميه وأحكامه على الوجه الصحيح، ولم يبرز فقيه أو مفسر أو  
دارس للأدب والشعر إلا بعد ما وعاها وأحسن فهمها، وقد يبدأ قال أبو هلال  
العسّكري: «إن الإنسان، إذا أغفل علم البلاغة، وأنخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه  
بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما  
شُحِنَ به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وقيمة لعمري بالفقية المؤتمِّ به،  
والقارئ المهتدى به، وبالعربي الصليب، والقرشي الصريح لا يعرف إعجاز كلب  
الله إلا من الجهة التي يعرف منها الزنجي والنبطي والجاهل». <sup>(١)</sup>

٤ — الاهتمام بدراسة أصول هذا العلم وقوانينه وقواعد التي تحكمه وتضبط  
مساره، دون الإغفال في فلسفة هذه الأصول، فالقاعدة ليست هدفنا إلا بالقدر  
الذي تضيء فيه جوانب النص، وتحدد تسميته.

٥ — تذليل كل مبحث بلا غنى ب نوعين من التدريبات التي اختيرت أمثلته بدقة  
وعناية، الأول: هدينا الطالب إلى حلمه، والآخر رأينا أن يختبر الطالب فيها مدى  
فهمه لتلك القضايا التي درسها بما يحفزه على التأمل في النص الأدبي، واستنباط ما  
فيه من أحكام وأسرار جمالية.

---

<sup>(١)</sup> كتاب الصناعتين / ٩

- ٦ - الإكتار من تحليل الشواهد القرآنية والحديثية والأمثلة الشعرية المختارة  
من فصح لسانه، وصح الاحتجاج بشعره، أو الاستئناس بقوله معنى ومبني.
- ٧ - حتى يباح للطالب أن يتصل برأته فقد سعينا إلى التدليل على بعض  
القضايا البلاغية بآراء شيوخ البلاغة، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني؛ فعلى  
كتبهم عوّلنا، ومن آرائهم أخذنا، وهداهم اقتدينا.
- ٨ - إرشاد القارئ إلى أبرز المصادر والمراجع التي استقينا منها مواد كتابنا  
وفهرستها آخر الكتاب.

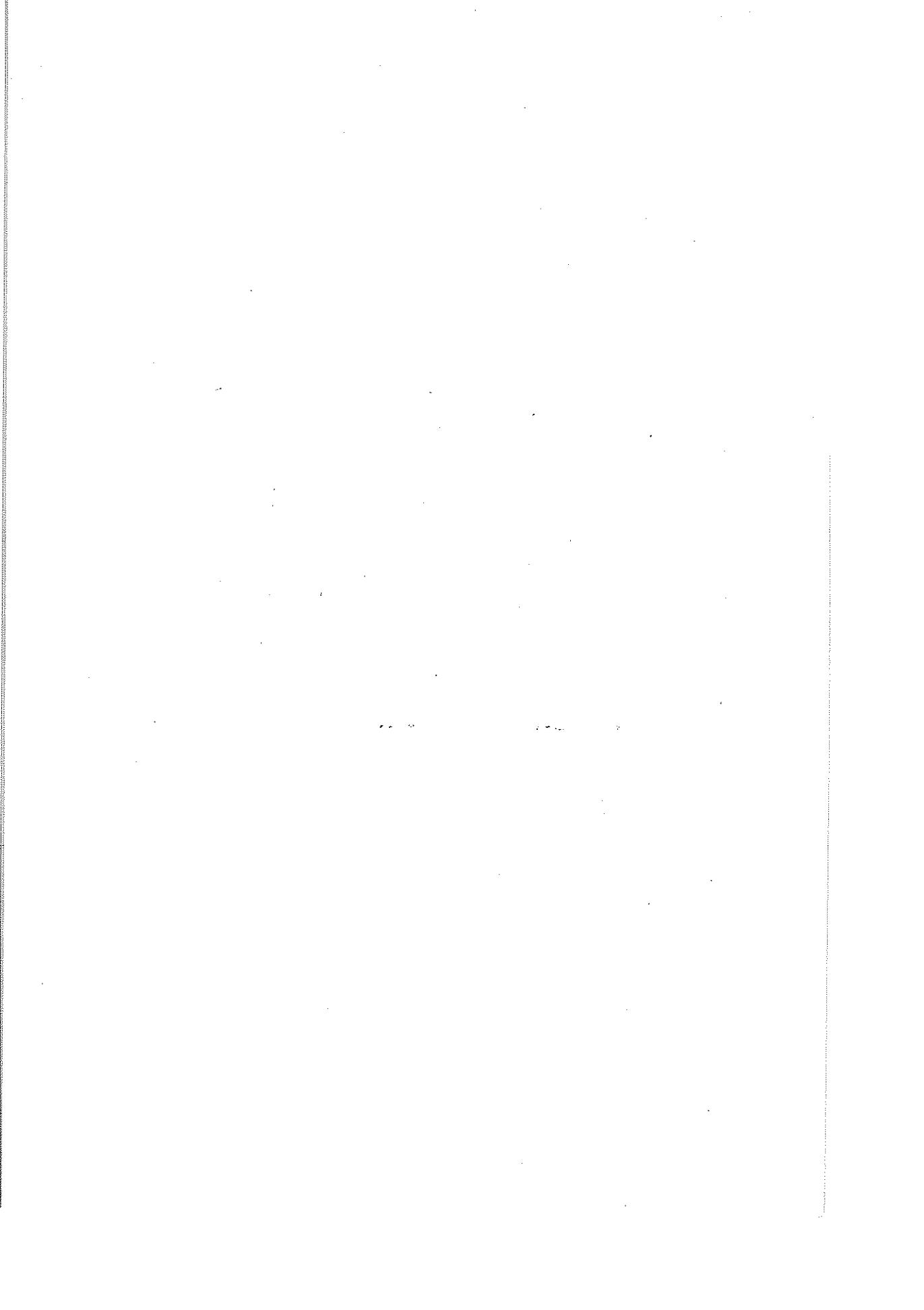
والله من وراء القصد

دمشق في

٢٠٠٢ / ٨ / ٢١

### المؤلفان

د. محمد هيثم غرة — د. منيرة محمد فاعور



## لحة عن تاريخ البلاغة

### العصر الجاهلي:

عن العرب منذ العصر الجاهلي بالكلمة وأدركوا ما للكلام واللسان من قدرة على التأثير في المخاطب فأخذوا يحذرون من وقته ومن بقاء أثره في المدح والمهجو.

قال طرفة:

رأيت القوافي يتلحنَ مواجهًا  
تضائقُ عنها أن تولجها الإبر  
وقد أفضت عناتهم تلك إلى أن كان شاعرهم يدع القصيدة حولاً كاماً  
يردد فيها النظر ويجلل فيها العقل ويحذف ويضيف ويهدب ويغير أحياناً في الصور  
الفنية أو في الكلمة، وهي فئة منهم تسمى أصحاب الحوليات، وعلى رأسهم زهير  
ومن بعده من عرفوا بعيده الشعر.

والجاهليون كانوا يعرفون كثيراً من الخصائص الفنية والأساليب البينية التي تضفي على شعرهم صفات الإبداع والجمال، وكان الشاعر بمحض الفطرة يسلك هذه الأساليب كلما انتابه شعور أو معنى وأراد التعبير عنه.

يصف الجاحظ بلاغتهم مشيراً إلى ما يحبون ويكرهون فيقول: «هم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحيز والبلاغة والتخلص والرشاقة، فإنهم كانوا يكرهون السلطة والمهر والتخلف والإسهاب والإكتار»<sup>(١)</sup>.

والشعراء الذين كان شعرهم المادة الرئيسة للحكم على البلاغة في العصر

<sup>(١)</sup> البيان والتبيين ١ / ١٩١.

الجاهلي قد ينتوا في أشعارهم ما يمدحه العربي وما يذمه من الكلام، يقول زهير بن أبي سلمى يعيّب المختل ويذم صاحبه:  
وَذِي خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يُحْسَبُ أَنَّهُ  
مَصِيبٌ فَمَا يَلْمِمْ بِهِ فَهُوَ قَاتِلٌ  
عَيْتُ لَهُ حَلْمًا وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ

وكذلك الحكماء والأعراب فقد وصف أعرابياً أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال:  
«كان والله يضع المنهاء مواضع النقب»<sup>(١)</sup>، وما أشبه هذا الكلام بالعبارة التي غدت  
أساس علم البلاغة بعدئذ وهي قوله: لكل مقام مقال.

ويمكن أن نتعرف على طبيعة البلاغة عندهم من خلال الأحكام الذوقية والنقدية التي كانت تصدر عن كبارهم من الفصحاء لدى تحكيمهم بين الشعراء وذلك في الأسواق التي كانوا يجتمعون فيها ويتنادون الأشعار ثم يدور الجدل حولها استحساناً أو استهجاناً والتي كانت عاملًا مهمًا في ترقيق الألفاظ وتدقيق المعاني.

يروى أن النابغة الذهبي كان تُضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء فدخل إليه حسان بن ثابت وعنه الأعشى وقد أنشد شعره، وأنشده الخنساء قوله:

قَدِي بِعِنْكَ أَمْ بِالْعِينِ عَوَارٌ  
أَمْ ذَرَفْتُ مُذْخَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا السَّدارُ

حتى انتهت إلى قوله:  
وَإِنَّ صَخْرَاً لِتَأْمِمَ الْهَدَاةَ بِهِ  
كَانَهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَسَارٌ  
وَإِنَّ صَخْرَاً إِذَا نَشَّوْتُ لِنَحْسَارٍ

فقال النابغة: لو لا أن أبا بصر (الأعشى) أنشأني قبلك لقلت إنك أشعر الناس، فقال حسان: أنا والله أشعر، قال النابغة: حيث تقول ماذا؟ قال حيث

<sup>(١)</sup> البيان والتبيين ١ / ١٠٧.

أقول:

لنا الجهنناتُ الغَرِّ يلمعن بالضحي  
وأسيافنا يقطرنَ من بمحنة دمنا  
ولدنا بني العنقاءِ وابنَيْ محرك  
فأكرمْ بنا خالاً وأكرمْ بنسا ابنما  
قال النابغة: إنك لشاعر لولا أن قلت عدد الجنان وقللت من السيف  
وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

ومن ذلك قصة أم جندب التي تحاكم إليها الشاعران امرؤ القيس زوجها  
وعلقمة، وقد أدعى كل منهما أنه أشعر من صاحبه فحكمت لعلقمة على زوجها  
وذلك في وصفهما للفرس.

وكذا سخريَّة طرفة من قول المسيب بن عيسٍ:  
وقد أتناسي الهم عند احتضاره      بساج عليه الصييرية مكدم

إذ قال طرفة: استنوق الجمل؛ لأن الصييرية من سمات التوق<sup>(١)</sup>.

إنَّ مثل تلك الملاحظات التي كانوا يسوقوها أحيانًا هي أصل الملاحظات  
البيانية التي دونها البلاغيون فيما بعد؛ بل تقاد البلاغة تكون نشأت على أيديهم،  
فالعرب الجاهليون لم يكونوا بمعرض عما سمي بعد علوم اللغة العربية، كيف يصبح  
ذلك وهم الذين شروا بذورها في تربة العلوم التي دونت بعدئذ كعلم النحو  
والصرف والعروض.

يرى بعض الباحثين أن نشأة البلاغة قديمة سبقت القرآن وتطورت من بعده،  
ولكن ذلك كان يجري بيسر وسهولة يقول: «لا يعقل أن يظهر كتاب كالقرآن في  
أهميةه وبلاعنه بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير»<sup>(٢)</sup>.  
لأنَّ أولئك العرب أدركوا عند نزول القرآن مناحي القول المختلفة في بيانه، ولكن

<sup>(١)</sup> انظر البلاغة عند المعتزلة / ١٠.

<sup>(٢)</sup> الشِّرْقِيُّ في القرن الرابع / ٤٧.

فأقام الوقوف على المصطلحات البلاغية — التي سميت فيما بعد — فلم يفهم جوهرها، إذ عرروا بفطريتهم المطبوعة مكان الإيجاز والإطناب، وموضع الحقيقة والمخاز، وموقع الكناية والتصرير.

### العصر الإسلامي:

إن نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين قد توج فصاحة العرب، ودلّ في بعض آياته على اقتدارهم على الكلام فقال: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَجِّلُكَ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [البقرة/٢٠٤]، ووصفهم بأهمل كانوا «قَوْمًا لُّدُّا» [مرثيم/٩٧]، وبأهمل : «قَوْمٌ خَصِيمُونَ» [الزخرف/٥٨].

وتحدث القرآن عن البيان وأثره كما جاء على لسان موسى حين عشه الله تعالى إلى فرعون لتبلیغه رسالة ربه إذ قال عن حبسه لسانه «وَأَخْلَلْتُ عَقْدَةً مِّنْ لَسَانِي» [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨—٢٧] جاء هذا القرآن متحدياً فصاحتهم التي عرفوا بها، وفي الوقت الذي «كان أغلب الأمور عليها وأحسنها عندهم وأجلّها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وإنفرادهم به فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم وكثر شعراً وهم وفاق الناس خطباً لهم — نزل القرآن — فتحداهم بما كانوا لا يشكّون أهتم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرّ لهم بعجزهم ويتقصّهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم<sup>(١)</sup>.

والآيات الدلالات على التحدّي في القرآن الكريم كثيرة كقوله تعالى: «فُلِّيْلَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُوْنُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوْا بِوَسْلِيْلٍ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُ ظَهِيرَاً» [الإسراء/٨٨]، قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مَمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوْا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ» [البقرة/٢٣].

<sup>(١)</sup> رسائل المحافظ ٢٧٩/٣ — ٢٨٠.

ولم يكن القرآن غريباً عن العرب بل جاء على نحط بيائهم، وكانوا يفهمون هذا الكلام ويدهبون إلى المعاني التي تكمن وراء الألفاظ، لكنهم مع ذلك لم يستطيعوا معارضته، وقد أجهدوا أنفسهم في سبيلها.

لذلك ارتبطت البلاغة ببيان إعجاز القرآن وكادت غايتها تكون محصورة في ذلك، فكان القرآن أول باعث على الدراسات البلاغية فيما بعد. وقد استمدّ منه البلاغيون قواعد البلاغة، وكان تفهّم القرآن مدعاه إلى طرح أهمّ القضايا البلاغية كقضية (اللفظ والمعنى) التي لعلها لم تُثْرَ إلا بعد الخلاف الذي نشأ حول سحر القرآن وعظمته وهل كان مردّ ذلك إلى ألفاظه أو إلى معانيه، ثم لم تلبث هذه القضية أن انتقلت إلى الأدب بوجه عام، فالآمدي (ت ٣٧٠ هـ) كان ينحاز إلى جانب من يرجع القيمة للمعنى في شعر أبي تمام، وفي الطرف المقابل كان القاضي الجرجاني (ت ٣٦٦ هـ) يميل إلى جانب اللفظ ويعده الأساس الأول في تفضيل الشعر وقيمة الشاعر.

إن النظر في أسلوب القرآن واتخاذه المقياس البلاغي الأمثل أدى إلى النظر في الأساليب الأدبية<sup>(١)</sup>، وإن الموازنة بين أسلوبه وأسلوب غيره قد استدعت التنبه على الميزات النفعية والمعنوية والتأمل في طرق البيان، كما أن إثبات حجة الإعجاز لهذا القرآن كان المدخل الأساسي للعلماء إلى مناصي القول في البيان ووضع علوم البيان ومقياسات البلاغة، وكانت أمهات كتب البلاغة هي كتب معان القرآن وبخوازه ونظمه وإعجازه، بمعنى أن الغرض الديني — وهو خدمة القرآن — أدى إلى ظهور البحث البلاغي.

وتطورت البلاغة في العصر الإسلامي، إذ كان المسلمون ينافحون عن الدعوة بالبيان والسيف، وكان المشركون يعدون لذلك أكبر شعرائهم وخطبائهم، وكان

---

<sup>(١)</sup> الموجز في تاريخ البلاغة / ٤٥.

كل فريق ينشد البراعة الفنية والمقدرة البلاغية لقطع الفريق الآخر.  
وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أفصح العرب، عُرف في أحاديثه كثير من  
العبارات المبتكرة والمخازن البلغية.

وقد مدح الإيمان وسمّاه بلامحة عندما سمع رجلاً يقول لرجل: «كفاك الله ما  
أهلك»، فقال: هذه بلاغة. وفي صحيح البخاري أنه — عليه الصلاة والسلام —  
قال: «أوتيت حوامع الكلم» أي القليل الجامع للكثير.

ومدح البيان وقال: إنَّ من البيان لسحراً، وذم التكليف، وهَبَّر الغريب  
الوحشى وقال: إبْيَاعٌ والتَّشادق. فهو — عليه السلام — شارك في وضع الأساس  
لبناء صرح البلاغة، وقد دفعت أحاديثه العلماء إلى التأليف في بلاغتها والبحث في  
بيانها وصورها.

ومن الخلفاء كان عمر بن الخطاب أعلم الناس بالشعر، ورأيه في شعر زهر  
مشهور، يقول ابن عباس: «خرجت مع عمر في أول غزوة غزاهما، فقال لي ذات  
ليلة: يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء، قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن  
أبي سلمى، قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشى الكلام ولا يعاظل من  
النطق»<sup>(١)</sup>، فقرن الحوشى وهو الغريب إلى المعاظلة التي هي التعقيد، ومعرفة أن  
الغرابة والتعقيبة التفت إليها رجال البلاغة فيما بعد وعلوهما من عيوب الفصاحة.  
وفي أخبار الشعراء ذكر الأصفهانى أنه «اجتمع نصيب والكميت ذو الرمة  
فأنشدتها الكميٰت:

هل أنت عن طلب الأيفاع مُنقلبُ  
حتى بلغ إلى قوله في هذه القصيدة:  
أم هل ظعائِنُ بالعلياء نافعَةُ  
وإن تكامل فيها الأنسُ والشنبُ

<sup>(١)</sup> الأغانى ٢٩٠ / ١٠.

فقد نصيّب واحدة، فقال له الكميّت: ماذا تخصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنسُ من الشنب؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة:

لمساء في شفتيها حسوة لعسٌ  
وفي اللثات وفي أنياها شنب<sup>(١)</sup>  
وهذا ما سمعي بعد مراعاة النظر.

أردنا من خلال ذكر الأمثلة التي سقناها لك أن نقول: إن البلاغة بدأت على شكل ملاحظات نقدية يسيرة على لسان العربي يعبر فيها عما يستحسن، ويقدمها بين يدي من ينكر، وبقي هذا حتى العصر العباسي وهو عصر التأليف في البلاغة، ولم تكن قبله تعلو مصطلحات يمكن حصرها بـ (البلاغة والفصاحة والبيان والإيماز والإطناب والإسهاب والعي والتندق والتفهق) وما إليها معانٍ لها اللغوية على الأغلب.

### أهم الكتب التي ألفت في البلاغة بطرق متفاوتة:

بدأ التدوين في علم البلاغة منذ منتصف القرن الثاني المحرري، ومن أبرز الكتب التي وضعت في ذلك:

صحيفة بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ)، البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، نقد الشعر لقدماء بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ)، الموازنة بين الطائفين للأمدي (ت ٣٧١ هـ)، النكت في إعجاز القرآن للرماني (ت ٣٨٦ هـ)، إعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، الصاحي لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، إعجاز القرآن للبلقاقي (ت ٤٠٦ هـ)، العمدة لابن رشيق القميرواني (ت ٤٦٤ هـ)، سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، الكشاف للزمخشري

<sup>(١)</sup> الأغاني / ٢٤٨.

(ت ٥٣٨ هـ)، مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦ هـ)، بدیع القرآن لابن أبي

الإصبیع (ت ٦٥٤ هـ)، تلخیص المفتاح للقرزوبین (ت ٧٣٩ هـ).

إنَّ مَنْ يَسْعُد بِقِرَاءَةِ هَذَا الْكِتَابِ يَدْرِكُ أَنَّ الْبَلَاغَةَ ذَاتُ مَنْشَأٍ قُرآنِيٌّ بَحْثٌ، وَقَدْ

«تَرَعَّرَتْ تَحْتَ رَأْيِ الْقُرْآنِ وَالْبَحْثُ فِي إِعْجَازِهِ، وَهَذَا الْبَحْثُ هُوَ الَّذِي وَصَلَّى

إِلَى أَنْ تَصْبِحَ عِلْمًا مُسْتَقْلًا يُخَصُّ بِالتَّأْلِيفِ»<sup>(١)</sup>.

وَاعْلَمُ أَنَّ تَقْسِيمَ الْبَلَاغَةِ إِلَى عِلْمَهَا التَّلَاثَةِ الَّتِي تَعْرُفُ (عِلْمُ الْمَعْانِي وَعِلْمُ الْبَيَانِ

وَعِلْمُ الْبَدِيعِ) إِنَّمَا جَرِيَ عَلَى أَيْدِي الْمُتَأْخِرِينَ مِنَ الْبَلَاغِيْنِ، فَالسَّكَاكِيُّ أَعَادَ الْبَلَاغَةَ

إِلَى مَرْجِعِيْنَ هَمَا الْمَعْانِي وَالْبَيَانِ وَأَشَارَ إِلَى الْبَدِيعِ إِشَارَةً إِذْ قَالَ: «هَاهُنَا وَجْهُهُ

مَخْصُوصَةٌ كَثِيرًا مَا يَصْارُ إِلَيْهَا لِقَصْدِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ، فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نَشِيرَ إِلَى الْأَعْسُوفِ

مِنْهَا وَهِيَ قَسْمَانِ: قَسْمٌ يَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى وَقَسْمٌ يَرْجِعُ إِلَى الْلَّفْظِ»<sup>(٢)</sup>.

فَهُوَ لَمْ يَنْصُ صِرَاطَةً عَلَى أَنَّ الْوَجْهَ الْمَخْصُوصَةَ الَّتِي يَصْارُ إِلَيْهَا لِقَصْدِ تَحْسِينِ

الْكَلَامِ هِيَ مَا عَرَفَ بِعِلْمِ الْبَدِيعِ، وَإِنَّمَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مَحْسَنَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ وَلُفْظِيَّةٌ. وَجَاءَ

ابنِ مَالِكٍ بَعْدَهُ (ت ٦٨٦ هـ) فَأَطْلَقَ عَلَى هَذِهِ الْمَحْسَنَاتِ اسْمَ الْبَدِيعِ<sup>(٣)</sup>.

وَنَحْنُ نَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ دُونَ أَنْ نَنْسِيَ أَنَّ السَّكَاكِيَّ أَسْتَخلَصَ عِلْمَ الْمَعْانِي مَا

قَرَأَهُ فِي (دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ) لِلْجَرجَانِيِّ وَ(الْكَشَافِ) لِلرَّخْشَرِيِّ، وَاسْتَخلَصَ عِلْمَ الْبَيَانِ

مَا قَرَأَهُ فِي (أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ) لِلْجَرجَانِيِّ.

وَفِيهِ تَصْحِيحٌ لِوَهْمِ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْجَرجَانِيَّ هُوَ الَّذِي وَضَعَ عِلْمَ الْبَيَانِ فِي (أَسْرَارِ

الْبَلَاغَةِ)، وَوَضَعَ عِلْمَ الْمَعْانِي فِي (دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ)، وَأَنَّ ابْنَ الْمَعْتَرَ وَضَعَ عِلْمَ الْبَدِيعِ

فِي (الْبَدِيعِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) الموجز في تاريخ البلاغة / ٤٨.

(٢) مفتاح العلوم / ٤٢٣.

(٣) المصباح / ١٥٩.

(٤) آثرنا الإيجاز خشية الخروج عن الموضوع الذي نحن بصددده.

## مقدمة في معرفة الفصاحة والبلاغة

استثار موضوع (الفصاحة والبلاغة) بعنابة العلماء واهتمامهم؛ فقد احتفلوا بهما احتفالاً كبيراً، وخصوصاً ما يكتسبه من البحث والدرس؛ ذلك أن مفهوم هذين الفنين يشكل عمدة البحث البلاغي، والأساس الذي ينطلق منه إلى دراسة الأساليب البلاغية وفنونها المختلفة، لا؛ بل إنها الغاية التي تبحث عن أسباب الجمال وأسراره في الآثار الأدبية.

وقد شاع استخدام المصطلحين معاً لدى علماء النقد والبلاغة، وعرفهما العرب صنويين متراوفين أحياناً ومتلازمين أحياناً أخرى، لا يفارق أحدهما الآخر، ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً، إذ تنبه البلاغيون إلى أهمية إظهار الفرق بينهما، ووضع معايير دقيقة تضبط كلاً منها.

### أولاً: الفصاحة

الفصاحة في اللغة تطلق على معانٍ كثيرة تدور جميعاً في فلك الظهور، والبيان، والوضوح، والسلامة من كل ما يشوب الشيء ويذكره، يقال: فَصُحَّ اللَّبَنُ إِذَا أُزْبِلَتِ الرَّغْوَةُ مِنْ سُطْحِهِ فَبَانَ وَظَاهَرَ، وَفَصَحَ الصُّبْحُ: إِذَا بَدَا ضُوْهُرُهُ وَاسْتَبَانَ، وَفَصَحَ الْأَعْجَمِيُّ إِذَا أَبَانَ وَفُهِمَ عَنْهُ، وَفَصَحَ اللِّسَانُ إِذَا اسْتَطَاعَ التَّعْبِيرُ عَمَّا يَجُولُ فِي النَّفْسِ بِأَسْلُوبٍ طَلِقٍ وَاضْعَفَ خَالٍ مِنَ الْعَرَاثَاتِ<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> لسان العرب (فتح).

أما الفصاحة في اصطلاح البلاغيين فهي وصف يطلق على اللفظة المفردة، وعلى الكلام، وعلى التكلم؛ فيقال: كلمة فصيحة، وقصيدة فصيحة أو كلام فصيح، وشاعر فصيح أو متكلم فصيح.

## ١— فصاحة الكلمة

تحقق الفصاحة في الكلمة بسلامتها من خمسة عيوب:

- ١— تناقر الحروف.
- ٢— غرابة اللفظ.
- ٣— مخالفة الوضع.
- ٤— الكراهة في السمع.
- ٥— الابتذال.

### أولاً: تناقر الحروف:

«التناقر»: صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وعسر النطق

ها، وهو نوعان:

أ— شديد: مثل كلمة (المعنخ)<sup>(١)</sup>، التي قيل إنها وردت في كلام أعرابي، عندما سُئل عن ناقته، فقال: «تركها ترعى المعنخ». وكلمة (الظش)، التي تعني الموضع الخشن، و(الصممعن)، التي تعني صغير الرأس.

ب— خفيف: مثل كلمة (نقنق)، و(ارتخش)، معنى اضطراب، و(المسلاوج) معنى الغصن، وكلمة (الثناخ) التي وردت في قول الشاعر:

(١) قال الحليل: هذه كلمة شنقاء لا تجوز في التأليف الرياعي، وقيل إنما شجرة يتدلى برزقها. قال أعرابي: إنما هو «المعنى». العين ٢/٢٧٤، وانظر لسان العرب (معنى).

وأحمد ما يكرع الماء قال لي:  
دع الخمر واسرب من نقاخ مبرد  
يعني: ماء عذباً صافياً.

ومن هذا النوع كلمة (مستشرزات) في قول امرئ القيس:  
غداةُ مُشَّرِّزَاتٍ إِلَى الْعُلَا      تَضَلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثَّى وَمُرْسَلٍ<sup>(١)</sup>  
ويرجع عسر النطق بكلمة (مستشرزات) إلى تتابع الناء والشين والزاي.  
ثالثاً: غرابة الكلمة:

هي أن تكون الكلمة وحشية؛ أي غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال  
عند العرب الفصحاء لا بالنسبة إلى المولدين، وتعود غرابة الكلمة عند البلاغيين إلى  
أمررين:

الأول: تتبع اللغات: ويعنون بذلك الكلمات التي لا يُعرف معناها إلا بعد  
بحث وتنقيب في بطون الكتب، ومعاجم اللغة، فمنها ما يُعثر على معناه، ومنها  
مما لا يُعثر على معناه.

فمثال النوع الأول (الذي يعثر على معناه) كلمة (حدحل) بمعنى السوداد،  
و(طرموق) بمعنى الطين، و(استمسال) بمعنى الإسهال، وكلمة (مشمخن) بمعنى  
العالى، التي وردت في قول الشاعر يصف أسدًا صرعيه:

فخَرَّ مُضَرَّجاً بَدْمَ كَانِي      هَدَمْتُ بِهِ بَنَاءً مُشَمَّخَرَا  
ومثله قول الشنيري:

وَلَيْ دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدَ عَمَّاسِ  
وَأَرْقَطُ زُهْلُولَ وَعَرْفَاءَ حَيَّالَ

(١) الغدار: النواب. مستشرزات: مرفوعات. العقاد: جمع عقبصة: وهو ما جمع من الشعر. المرسل: المسرح غص  
المكتول، يريد أن شعر حبيبه كثيف وطويل، وأنه لغزاته وزع على أقسام: بعضه مرتفع، وبعضه مرسلي، ومنه ما  
له مفتول، ومنه ما يسمى بـ غترة، أما المقصود فإنه تابه بين المثنى والمرسل.

(السيد): الذئب، و(العملس): السريع، و(الأرقط): النمر، و(الزهلو): الناعم الجلد، أي الأملس، و(العرفاء): الضبع، و(الجبلأ): من أسماء الضبع.  
ومثال النوع الثاني الذي لا يُعتر على معناه كلمة (جحلنجم) التي وردت في قول أغراي: «من طَمْحَةٍ صَبِرُهَا جَحْلَنْجَم»<sup>(١)</sup>.

الثاني: ترددتها بين معنين أو أكثر بلا قرينة، مثل كلمة (مسرحاً) في قول رؤبة

بن العجاج:

أيَّامَ أَبَدَتْ وَاضْحَى مُفْلِحًا  
أَغْرَى بَرَاقًا وَطَرْفًا أَبْرَاجًا  
وَمَقْلَةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا<sup>(٢)</sup>  
وَفَاحِمًا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجًا

فكلمة (مسرحاً) هنا غير فصيحة؛ لأنها اختلفت في تخريجها، فقيل إنها من السراج؛ أي: إن هذا الأنف (المرسن) يشبه السراج في البريق واللمعان، وهناك من رأى أنها من قوله: سيف سريحية، أي منسوبة إلى قين يدعى (سرحجاً) اشتهر بصناعتها، فيكون المراد تشبيه هذا الأنف بالسيف السريحي في الدقة والاتساع، وفي كلتا الحالتين تبقى الكلمة غير فصيحة؛ لأنها غير ظاهرة الدلالة على معنى واضح محدد.

### ثالثاً: مخالفة الوضع:<sup>(٣)</sup>

وهي أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عن الواضع صرفاً كان أم غيره، نحو  
كلمة (ضنتوا) في قول الشاعر:

أَنِّي أَحُودُ لِأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنْتُوا  
مَهْلًا أَعَذْلُ قَدْ جَرِيتُ مِنْ خَلْقِي

<sup>(١)</sup> الطمحنة: النظرة، الصبر: السحاب المراكب.

<sup>(٢)</sup> واضح: أي ثور واضح، يريد أسمانيا بيضاء، المقراج: الأسنان المتبااعدة، الأغر: الأبيض، طرف أبرج: شدة البياض في العين مع سعتها، المرحنج: الطويل، المرسن: الأنف.

<sup>(٣)</sup> كلمة الوضع هنا أعم وأشمل من كلمة القياس، لأن الأولى تعني مخالفة القياس الصريفي، ومخالفة ما ثبت عن إجماع الألفاظ للمعنى.

فالقياس أن يقول: (ضنو) بالإدغام لا يفكه.

ومنه قول الشاعر:

والقوم في أعيانهم خَرَرُ  
والخيلُ في أعيانها قَبَلُ<sup>(١)</sup>

الشاعر هنا وافق القياس، لكنه خالف الوضع عندما جمع (عين) بمعنى العين الباقرة على (أعيان)، والصحيح أن تجمع على عيون، أما الأعيان فهي من قوله: عين الناس بمعنى المشهور صاحب السيادة.

ومن مخالفة الوضع جمعهم (ناكس) على (نواكس)، و(مدير) على (مدراء)، و(مشكلة) على (مشاكل)، والأفصح: ناكسو، مديرون، مشكلات.

ومنه أيضاً استعمال هزة القطع بدلاً من هزة الوصل، أو العكس. ويكثر هذا النوع في الشعر مراعاة للوزن، نحو قول جميل بشينة:

أَلَا لَأَرِي إِثْنَيْ أَحْسَنَ شَيْئَةً  
عَلَى حَدَّتَانِ الدَّهْرِ مِنِي وَمِنْ حُمْلِ  
قطيع هزة (اثنين) مع أنها هزة وصل.

#### رابعاً: الكراهة في السمع:

ويعني بذلك أن تكون الكلمة وحشية محوجة في الأسماع، خشنة على الطياع، يُثيراً من سماعها كما يتراً من سماع الأصوات المنكرة، لأن النفط — كما قال الفزوبي — من قبيل الأصوات، والأصوات منها ما تستلزم النفس سماعه، ومنها ما تكره سماعه<sup>(٢)</sup>.

مثال ذلك كلمة (بعاق) بمعنى السحابة الممطرة، فهي غير فضيحة لما فيها من كراهة في السمع، يخالف كلمتي (المزنة) و (الدرنة) اللتين بمعناها، إلا أنها فضيحتان تسكن إليهما النفس وتستلزم سماعهما.

<sup>(١)</sup> الخر: ضيق العين. القبل: إقبال إحدى العينين على الأخرى، وعادة تقوم الخيل بذلك لغزة في نفسها.

<sup>(٢)</sup> انظر الإيضاح / ٢٧.

ونظير ذلك قول تأبّط شرًا:

يظلّ بعوْمَةٍ وَيُمْسِي بغيرها  
جحِيشًا وَيَغْرُوري ظُهُورَ المساكِن  
فكلمة (جحِيشًا) غير فصيحة يانفها السمع، ويبعد عنها الذوق.

#### خامسًا: الابتذال:

وهو أن تكون الكلمة سوقية ابتذلت على ألسنة العوام، أو منه ما يكون قد ولده العوام أنفسهم، وأداروه على المستههم حتى بدا باهتًا غريباً على أي استعمال أدبي، نحو قولهم: (بلش) بمعنى بدأ، و(شاف) بمعنى نظر. وعليه كلمة (تفرعن) في قول أبي تمام:

جَلَّتْ وَالْمَوْتُ مُبْدِي حُرُّ صَفْحَتِهِ  
وَقَدْ تَفَرَّعَنَ فِي أَفْعَالِهِ الْأَخْلَلِ  
فكلمة (تفرعن) من الكلمات المبتذلة التي اشتقتها العامة من اسم (فرعون)  
فيقولون (تفرعن فلان) إذا أرادوا وصفه بالطغيان والاستبداد.

## ٢— فصاحة الكلام

تعني فصاحة الكلام سلامته من ثلاثة عيوب، مع فصاحة كل مفردة منه،

وهي:

١— تناقض المفردات، ولو كانت مفرداتها فصيحة.

٢— ضعف التأليف.

٣— التعقيد بنوعيه: اللفظي والمعنوي.

#### أولاً: تناقض الكلمات:

هو أن تكون الكلمات مجتمعة متناهية في التقليل على اللسان، مما يؤدي إلى عسر النطق بها، وإن كانت كل مفردة منها صصيحة وفصيحة.

والتنافر ضربان: أحدهما شديد، والآخر دون ذلك.

فمثلاً الأول قول الشاعر:

وقير حَرْبٌ عَكَانِ قَفْرٌ  
ولَيْسَ قُرْبَ قَفْرَ قَبْرٌ

فالتنافر واقع بسبب تكرار الكلمات المتماثلة في الشطر الثاني، ولو أخذنا كل كلمة بغيرها لوجدناها جميعاً كلمات فصيحة سهلة النطق لا عيب فيها، لكن ضم بعضها إلى بعض على هذه الشاكلة مع تقارب حروف كلماتها أكسبها الثقل.

ومن هذا النوع قول المتنبي:

فَقَلَّلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّلَ الْحَشَاءَ  
فَلَالِيلَ عَيْسِ كُلُّهُنَّ فَلَالِيلُ<sup>(١)</sup>

أما التنافر الحقيقى فىستدلون عليه بقول أبي تمام:

كَرِيمٌ مِنْ أَمْدَحَةِ أَمْدَحَةِ وَالسَّوْرَى  
مَعِي وَإِذَا مَأْلَمَهُ لَمْ ثَمَّةُ وَخَدِي

فالتنافر ناشئ هنا من تكرار كلمة (أمدحه)، مع ما فيها من ثقل؛ لأن الحاء والماء مخرجهما واحد، وهو الحلق، لكنه يبقى أخف ثقلًا من البيتين السابقين

ومن قبيل التنافر الناشئ عن التكرار قول المتنبي:

عَظُمْتَ فَلِمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةَ  
تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعَظِيمُ عَظِيمًا عَنِ الْعَظِيمِ  
ثَانِيًا: ضَعْفُ التَّأْلِيفِ:

هو أن يكون تأليف الكلام مخالفًا لما اشتهر من قواعد النحو من ذلك — مثلاً — الإضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكمـاً، نحو قول زهير:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلُومُنَّ قَوْمَةَ  
زُفَرْ أَعْلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ حَسَابٍ؟

(١) القلقة: التحرير. الحشا: ما في الحرف. (القلقل) الأولى: جمع قلقل، وهي النافقة الخفيفة. (القلقل) الثانية: جمع قلقلة، وهي الحركة. يقول: حرکت بسبب الهم الذي حرک نفسی (أيلاً جعلها في السر)، يعني سافرت ولم أخرج بالمقام الذي يلحقني فيه الضييم. ويجوز أن تكون (القلقل) الثانية أيضاً معن الأولى... انظر ديوانه بشرح البروفى ٢٩٣ / ٣.

فالضمير في (قومه) عائد على (زهيراً)، وهو متاخر لفظاً ومعنى وحكماً.

ومنه وصل الضمير بعد (إلا)، كما في قول الشاعر:

وَمَا عَلَيْنَا إِذَا مَا كُنْتَتِ جَارِّتَنَا      أَلَا يُحَاوِرَنَا إِلَّا كِدَّارُ

فالأصل أن يقول: إلا إياك، لكنه خالف القاعدة مراعاة للوزن.

وعليه أيضاً القول: (في الجامعة الطالب) فهو تركيب غير فصيح لما فيه من ضعف التأليف، لأن المبتدأ لا يجوز تأخيره ما لم يكن نكرة، وهنا جاء معرفة.

### ثالثاً: التعقيد:

هو ألا يكون الكلام ظاهراً الدلالة على المعنى المقصود، ولذلك سببان:

الأول: لفظي، ومعناه: أن يختلط نظم الكلام، فلا يدرى السامع كيف يتوصل إلى معناه، خلل واقع في ترتيب كلماته، بسبب ما يحصل فيه من تقدم، أو تأخر، أو حذف، أو إضمار، أو تقدم الصفة على الموصوف، أو الصلة على الموصول... أو غير ذلك.

مثال ذلك القول: (ما اشتري إلا واحداً زيد مع كتاباً صديقه)، فهذا كلام غير فصيح لما فيه من تعقيد لفظي شديد، إذ أصل الكلام: (ما اشتري زيد مع صديقه إلا كتاباً واحداً)، فقدّمت الصفة على الموصوف، وفصل بين المتلازمين، وهو أداة الاستثناء والمستثنى، وبين المضاف والمضاف إليه.

ومن هذا النوع قول المتنبي:

أَنِي يَكُونُ أَبَا الْبَرِّيَّةَ آدَمَ      وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

فالشاعر لم يوفق — هنا — في ترتيب كلمات البيت وفق ترتيب المعاني في النفس، فتعقد لفظه، وغمض معناه؛ لأن أصل الكلام: (أني يكون آدم أبو البرية، وأبوك محمد، وأنت الثقلان؟)، ففصل بين المبتدأ والخبر (أبوك محمد)، وقدّم الخبر على المبتدأ تقديمًا قد يدعوا إلى اللبس في قوله: (والثقلان أنت).

ولمّة نوع آخر أقل تعقيداً، نحو قول الفرزدق يصف ذيماً:  
 تعالَ، فإنَّ عَاهَدَنِي لَا تَغُونِي      نَكْنُ مِثْلَ مَنْ يَا ذَئْبَ يَصْطَبْحَانِ  
 فأصل الكلام أن يقول: (نَكْنُ يَا ذَئْبَ مِثْلَ مَنْ يَصْطَبْحَانِ)، ففصل بين  
 الموصول وصلته، فأصاب التركيب نوعاً من التعقيد اللغظي.

الثاني: معنوي، ومعناه: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد بسبب  
 ما اعتبره من كثرة اللوازم أو الكنيات، فيصبح انتقال الذهن من المعنى الأول إلى  
 المعنى الثاني عسيراً. وقد استدلوا على هذا النوع بقول العباس بن الأحنف:

**سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَرْبِيَّوا      وَسَنَكُبُ عَيْنَايَ الدَّمْوعَ لِتَخْمُدا**

يقول القرزيبي معلقاً على هذا البيت: «كَنِي بِسَكْبِ الدَّمْوعِ عَمَّا يَوْجِهُ  
 الْفَرَاقَ مِنَ الْحَزَنِ، وَأَصَابَ؛ لَأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْبَكَاءِ أَنْ يَكُونَ كَنَيَّةً عَنْهُ، كَفَوْهُمْ  
 أَبْكَانِي وَأَضْحَكَنِي، أَيْ أَسْاعِنِي وَسَرَّنِي، ثُمَّ طَرَدَ ذَلِكَ فِي نَقْيَضِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَكُنَّ عَمَّا  
 يَوْجِهُ دَوْلَمُ التَّلَاقِي مِنَ السُّرُورِ بِالْجَمْدِ لَظَنَهُ أَنَّ الْجَمْدَ خَلُوُّ الْعَيْنِ مِنَ الْبَكَاءِ فِي  
 حَالٍ إِرَادَةِ الْبَكَاءِ؛ فَلَا يَكُونُ كَنَيَّةً عَنِ الْمُسْرَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ كَنَيَّةً عَنِ الْبَخْلِ، وَلَوْ  
 كَانَ الْجَمْدُ يَصْلُحُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عَدْمُ الْبَكَاءِ فِي حَالِ الْمُسْرَةِ لَحَازَ أَنْ يُدْعَى بِهِ لِلرَّجُلِ،  
 فَيُقَالُ: لَا زَالَتْ عَيْنُكَ جَامِدَةً، كَمَا يُقَالُ: لَا أَبْكِي اللَّهُ عَيْنَكَ، وَذَلِكَ مَا لَا يُشَكُ  
 فِي بُطْلَانِهِ»<sup>(١)</sup>.

هذه هي عيوب فصاحة الكلام التي استقرت عند البالغين، لكن لمّة عيوب  
 أخرى أضافها بعضهم مثل: كثرة التكرار، وتتابع الإضافات.

وفي ذلك نظر؛ لأنّما إن ثقل همّا اللسان، فقد حصل الاحتراز عنّهما  
 بالسفر، وإلا فلا يخلو بالفصاحة. كما أن تتابع الإضافات<sup>(٢)</sup> لا يخل دائمًا بفصاحة

<sup>(١)</sup> الإيضاح / ٣٤.

<sup>(٢)</sup> استدلوا على هذا النوع بالشطر الأول من بيت ابن با yok  
 حَمَّةَ جَرْعَى حَمْرَةَ الْجَنْدِلِ اسْجَعَى.

الكلام؛ بدليل أنهما اجتمعوا في قول سيد الفصحاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم:  
«الكريم ابنُ الكريم ابنُ الكريم يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ اسحقَ بنِ  
إبراهيم».

### ثالثاً: فصاحة المتكلم:

هي ملكرة يُقدّرُها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح. وهذه الملكرة صفة راسخة في نفس المتكلم تمكنه من إنشاء كلام فصيح في شتى ضروب الكلام: من مدح وهجاء، وفخر ورثاء، وهمان ومراث، ورسائل وخطب... وما إلى ذلك. ولن يبلغ الفصيح هذه المرتبة إلا إذا أكثر من الاطلاع على كلام العرب شعرهم وتراثهم، وسر ما فيها من أسرار وخفايا، وألمَّ بقواعد النحو والصرف، واطلع على كتب الأدب، وحفظ أقوال الفصحاء وحكمهم وأمثالهم، وكانت له دراية بأشكال التعبير من مجازات وكتابات وغيرها، واهتم بمحاكاة أساليب البلاغيين، وأكثر من التدريبات والتطبيقات حتى يكتسب مهارة التعبير عن مقاصده، وما يحول في خاطره بآيسر السبل وأفضلها.

م

## ثانياً: البلاغة

البلاغة — لغة — تعني الوصول والانتهاء، يقال: بلغت المكان بلوغاً؛ وصلت إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهت إليها. وبلغت النخلة وغيرها من الشجر: حان إدراك ثمرها. يقال: رجل بلغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كثنة ما في قلبه.<sup>(١)</sup>

والبلاغة — اصطلاحاً — تقع وصفاً للكلام والمتكلم، ولم يُسمّع وصف الكلمة بما لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه.

### أولاً: بلاغة الكلام

هو مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ويقصد بـ (الحال): الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يراعي مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، هذه الخصوصية التي راعاها مع الكلام هي (مقتضى الحال)، فإذا كان المخاطب — مثلاً — ينكر حضور زيد، فإنكاره حال تدعوه المتكلم إلى أن ينفيه بحضوره مؤكداً، فيقول: (إن زيداً حاضر)، فتأكيد الخبر هو مقتضى الحال.

ومقتضى الحال مختلف؛ لأن مقامات الكلام متغيرة، فمقام التنکير يغيّر مقام التعريف، ومقام الخبر يغيّر مقام الإنشاء، ومقام التقديم يبيّن مقام التأثير، ومقام الذكر يبيّن مقام الحذف... وهكذا، فإن لكل كلمة مع صاحبتها مقام، وهذا

<sup>(١)</sup> انظر لسان العرب / بلغ.

المقام يفرض على المتكلم أن يخاطب الناس وفق عقولهم ومقاماتهم في الفهم؛ لأن لكل مقام مقالاً، ولأن لكل مخاطب أسلوباً يتناسب وأوضاعه الثقافية، أو الاجتماعية، أو العقلية، فينبغي تلوين الأحاديث تبعاً لظروف المخاطبين وأحوالهم، فيختصر عندما يتطلب المقام الإيجاز، كما في مقامات التعزية، وإرسال البرقيات، ومخاطبة الحكام... وما إلى ذلك، ويُسْهَب في المقام الذي يتطلب الإطالة والشرح، كما في مقام التعليم والتدرис، وإلقاء الخطاب، ومخاطبة العامة، ومن لم يؤت كثيراً من الذكاء وسرعة الإدراك... وغير ذلك.

وقد أجاد العرب في هذه المقامات فألبسوها كل حالة لبوسها الخاص بها، وقد عبر عن ذلك الخطيبة حين خاطب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قائلاً:

**ئَحْنَنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيْكُ**      **فَإِنْ لَكِ مَقَامٌ مَقاَلاً**

وقال غيره واصفاً حال العرب:

يرمون بالخطب الطوالِ وتسارَةٍ

وإذا ما قارنا بين قول بشار يتحدث عن جاريته (ربابة):

**رَبَابَةُ رَبَّةِ الْبَيْتِ**

**لَمَاعِشَرُ دَجَاجَاتِ**

وقوله مفتخرًا:

إذا ما غضبنا غضبة مصريَّة

إذا ما أغزنا سيداً من قبيلة

نرى البون شاسعاً بين القولين؛ من حيث قوة الأسلوب وجزالته، وطبيعة

اختيار الألفاظ، وتحير الوزن المناسب لكل قول، وسر ذلك أن الشاعر اختار لكل

مقام الحال التي تستدعيها، فعندما خاطب جاريته آثر أن يأتي كلامه سهلاً واضحاً

لا يعسر عليها فهمه واستيعابه؛ لأنه لو خاطبها بغير هذا لكان خالف المألوف

فخرج — بذلك — على مقتضى الحال.

لکه عندما أراد التفاخر والتباھي والاعتداد بنفسه وپقومه، واستنهاض الهمم إلى الحرب، استدعي منه ذلك أن يتخيّر ألفاظه ومعانیه، وأن يلبسها لبوساً آخر يناسب واقع الحال، فجاء أسلوبه قوياً رصيناً حافلاً بصور الشجاعة والباس.

## ثانياً: بلاغة المتكلّم

هي ملکة يُقدّر بها على تأليف كلام بلغة مطابق لمقتضى الحال في شتى فنون الكلام وأغراضه، مع فصاحته. وهذه الملکة لا يصل إليها إلا من تبحر في كلام العرب، وخاصّ في سنن تخاطبهم، وأحاجي التصرف في أغراض الكلام وفنونه، وأحسن التعبير عن خلجانات نفسه ومكانته صدره براءع القول، وساحر البيان، مما يأخذ بباب السامعين ويوقفهم على غاية ما يريد بدقة ووضوح.

والبلاغة — هذا — تقوم على ثلات دعائم:

- ١— حسن اختيار الكلمة والتركيب.
- ٢— حسن تركيب المعاني والتأليف فيما بينها.
- ٣— الدقة في اختيار الأسلوب الذي يصلح للسامعين، والنزعة النفسية التي تسيطر عليهم.

فَرُبْ كلام كان في نفسه حسناً رائعاً، لكنه إذا ما خالف المقام جاء في غير محله، وحلَّ غير موقعه، فخرج عن حد البلاغة، وأصبح عرضة لسهام الناقدين. وتزخر كتب الأدب والبلاغة بشواهد وأمثلة كانت في نفسها فصيحة متينة مؤثرة، لكنها خرجت عن حد البلاغة؛ لأن أصحابها أخفقوا في مراعاة المقام، أو لم يراعوا ما يجب مراعاته.

من ذلك — مثلاً — ما أنسده أبو النجم العجلي عندما دخل على هشام بن عبد الملك قائلاً:

صفراء قد كادت ولما تفعل  
كالها في الأفق عين الأحوال

وكان الخليفة أحوال فامر بسجنه.

وحمل علماء الذوق على المتن قوله مادحًا:

لقد كنتُ أرجو أن أراكَ فـأطربُ  
وما طرِي لـأرأيـك بـذـعـة

لأنه أنزل مدوحة منزلة ما يُضحك.

كما استبقوه افتتاح المتن أيضًا عندما خاطب كافوراً بقوله:

كـفـي بـك دـاء أـن تـرى الـموـر شـلـفـيـاـ وـحـسـبـ الـمـنـايـاـ أـن يـكـنـ أـمـانـيـاـ

وعابوا إسحاق بن إبراهيم عندما قال في وصف قصر المعتصم مادحًا:

يـا دـار غـيرـك الـبـلـى فـمـحـاكـ يـا لـيـتـ شـعـرـيـ ماـ الـذـي أـبـلـاكـ

فـقطـيـرـ الـخـلـيـفـةـ، وـضـافـتـ صـدـورـ السـاعـيـنـ، إـلـىـ حدـ أـنـهـ قـيلـ: إـنـ الـخـلـيـفـةـ لمـ يـطـأـ  
ذـلـكـ الـقـصـرـ لـاحـقاـ، كـلـ هـذـاـ بـسـبـبـ إـخـفـاقـ الـتـكـلـمـيـنـ فـيـ مـرـاعـةـ الـأـسـلـوـبـ الـذـيـ  
يـنـاسـبـ الـمـوـضـوـعـ أـوـ الـحـالـ.

وـأـنـذـ عـدـ الـمـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ عـلـىـ نـصـيـبـ قـولـهـ: (١)

أـهـيـمـ بـدـعـيـ ماـ حـيـتـ فـإـنـ أـمـتـ فـوـاحـزـنـاـ مـنـ ذـاـيـهـمـ هـاـ بـغـدـيـ؟

وـقـيلـ إـنـ بـعـضـ مـنـ حـضـرـ قدـ قـالـ: أـسـاءـ القـوـلـ، أـيـزـنـ لـمـ يـهـتمـ هـاـ بـعـدـهـ؟ فـقـالـ

عـدـ الـمـلـكـ: فـلـوـ كـنـتـ قـائـلـاـ، مـاـ كـنـتـ تـقـولـ؟ فـقـالـ:

أـهـيـمـ بـدـعـيـ ماـ حـيـتـ فـإـنـ أـمـتـ فـلـاـ صـلـحـتـ دـعـدـ لـذـيـ خـلـةـ بـغـدـيـ

وـلـكـ — فـيـ مـقـابـلـ هـذـاـ — فـإـنـ كـتـبـ الـبـلـاغـةـ تـزـخـرـ بـالـشـوـاهـدـ وـالـأـمـثلـةـ الـسـيـ

(١) انظر كتاب الصناعتين / ١١٩ - ١٢٠.

أبدع أصحابها فيها، فكانوا — بحق — أسياد البلاغة ورموزها. من ذلك — مثلاً — كتاب سيد الفصحاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسله إلى أهل فارس، قال فيه: «من محمد رسول الله إلى كسرى أبُرُوَيْزَ عظيم عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، فأدعوك بداعية الإسلام، فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافة، ليُنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلّم، فإن أبَيْت فإنما عليك إثم المحسوس».

ثم كتب إلى وائل بن حُجر الحضرمي وقومه، فأليس تعابيره لبوساً أخرى مغايرة للأولى، فائلاً: «من محمد رسول الله إلى الأقِيلَ العاهمة من أهل حضرة موت، بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على النبعة الشاة، والنسمة لصاحبها، وفي السبوب الخمس لاختلاط ولاوراء، ولاشناق ولاشغار، ومن أحى فقد أربى، وكل مسكن حرام»<sup>(١)</sup>.

ولعله قد وضح لنا من الأمثلة السابقة أن الكلام لا يمكن أن يوصف بالبلاغة إلا بعد أن يستوفي شروط الفصاحة، ويكون موافقاً للمقام، ولذلك قالوا: إن كل كلام بلغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بلغياً.

وهذا ما أكدته ابن الأثير عندما حدد مفهوم كل من الفصاحة والبلاغة بقوله: «إن الكلام الفصيح هو الكلام الظاهرُ البَيِّنُ. وأعني بالظاهر بين أن تكون ألفاظه مفهومة بحيث لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، بينما البلاغة شاملة الألفاظ والمعنى، وهي أخص من الفصاحة كإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان، وليس كل حيوان إنسان. والبلاغة لا تكون إلا في النفط والمعنى معاً،

<sup>(١)</sup> (الأقِيل): واحده قيل وهو الملك. (العاهمة): الذين أفرروا على ملکهم. (النبعة): الأربعون من القسم، (والنبعة): الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى. (والسبوب): المعدن. (و(خلط): هو أن يخلط رجل إبله بابل غيره أو بقره أو بنته؛ ليمنع حق الله تعالى فيها، ويحسن المصدق فيما يجب له. (والوراء) الفشن، (والشناق): ما بين الفريضتين حق تتم. (والشغار): هو أن يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه أخرى بلا مهر. (أحى): من الإحياء وهو بيع الرزق قبل أن يبذو صلاته. انظر علوم البلاغة للمراغي / ٣٩.

بشرط التركيب، لأن اللفظة الواحدة لا يُطلق عليها اسم البلاغة، بينما يطلق عليها اسم الفصاحة؛ إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحُسْنُ، وأمّا وصف البلاغة فلا يوجد في اللفظة الواحدة خلوّها من المعنى المفيد الذي يتطلب الكلام»<sup>(١)</sup>.

واعلم أن المتأخرین من البلاغيين جعلوا البلاغة في ثلاثة علوم، هي: علم البدیع وعلم البیان وعلم المعانی.

أما علم البدیع فهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة، أي هو علم يدرس طرق تزيين الكلام وتحسينه وتنميته سواء كان ذلك في ألفاظه من جناس أو سجع أم في معانیه كالمطابقة ومراعاة النظير وغير ذلك.

وأما علم البیان فهو علم يُعرف به إبراد المعنی الواحد بطرق مختلفة بعد رعاية المطابقة ومقتضی الحال؛ أي هو علم يدرس الصورة الفنية من تشبيه واستعارة وكناية.

وأما علم المعانی – وهو موضوع هذا الكتاب – فهو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي لها يطابق مقتضی الحال، يعني بدراسة العلاقة بين الكلمات في الجملة المفيدة وأحوال تلك الكلمات، ويمكن القول: إنه علم يدور حول تحليل ذكره وحذفه وتقديمه وتأخيره، وموقع التعريف والتنكير والتقييد والإطلاق والتأكيد وعدمه ومواضع القصر، واقتران جملة بجملة، وموقع العطف والإيجاز والإطناب وما إلى ذلك.

وقد رأيت أن الشق الثاني من التعريف في كل علم من علوم البلاغة المشار

(١) انظر المثل السار ٨١/١، ٨٤ - ٨٥.

إليها هو وجوب مراعاة مقتضى الحال أو وجوب مطابقة الكلام للمقام، وهذا أمر قد بنيت عليه البلاغة كلّها، فلا يستحق كلام أن يوصف بالبلاغة حتى يكون مطابقاً لمقتضى الحال، وقد سئل أعرابي في العصر الجاهلي — عن بلاغة أعرابي آخر فقال: كان والله يضع الماء مواضع النقب، أي أنه كان يعرف أين يضع كلمته في العبارة وأين يضع عبارته في المقام.

## تدریبات محلولة على فصاحة الكلمة

أولاً: بين ما أخل بفصاحة الكلمات فيما يأتي:

١— قال أبو تمام:

نِعَمْ مِتَاعُ الدُّنْيَا حَبَّاكَ بِهِ  
أَرْوَعُ لَا جَيْدَرُ وَلَا جِنْسُ<sup>(١)</sup>  
كلمة (جيدر) غير فصيحة لغراحتها؛ إذ هي قليلة الاستعمال وغير مأوسة.

٢— قال الشاعر:

يَا تَرْجِينَ الدُّنْيَا أَقِمْ أَبْدًا  
لِلْإِقْتِرَاحِ وَدَائِمَ النَّحْبِ  
كلمة (الاقتراح) غير فصيحة؛ لمخالفتها الوضع، والصواب أن تكون بلا  
هزة، لأن هزتها هزة وصل لا قطع.

٣— وقال آخر:

وَأَحَدٌ طَعْمَ السَّبَقاءِ سَامِطٌ  
وَخَائِرٌ عَجَالَطٌ عَكَالَطٌ<sup>(٢)</sup>  
كلمتنا (عجالط) و(عكالط) غير فصحيتين، لغراحتهما، ولكراهتهما في السمع.

٤— قال المتنبي:

وَلَا يُبَرِّمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالٌ  
وَلَا يُخْلِلُ الْأَتْرُ الَّذِي هُوَ مُبَرِّمٌ  
كلمتنا (حال) و(يخلل) غير فصحيتين لمخالفتهما الوضع؛ إذ القياس الإدغام؛  
أي (حال) و(يخلل).

<sup>(١)</sup> الأروع: الذي يعجبك حسنه. جيدر: القصر. الجبس: التقبيل.

<sup>(٢)</sup> اليت في وصف اللبن. والمسقاء: نوع من الجلد يكون للماء واللبن، والسامط: اللبن الذي ذهب حلاورته.  
والعجالط والعكالط: اللبن الخاثر.

٥— وقال أيضاً:

جَفَحْتُ، وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ هَا، بِهِمْ  
شَيْئَمْ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغْرِي دَلَالِلُ<sup>(١)</sup>  
كلمتا (جفحت) و(يجفخون) غير فصيحة لغرايتهما وكراهتهما في السمع.  
كما أن في البيت تعقيد لفظي؛ لأن نظام البيت: جفحت ها شيم دلالل على  
الحسب الأغر وهم لا يجفخون ها.

٦— شراب مهضم.

كَلْمَةُ (مَهْضَم) غَيْرُ فَصِيحَةٍ لِمُخَالَفَتِهَا الْوَضْعُ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ مِنَ الْفَعْلِ  
الثَّالِثِ هُوَ عَلَى وَزْنِ فَاعِلٍ، أَيْ هَضْمٌ هَاضِمٌ.

٧— قال الشاعر:

فَأَيْقَنْتُ أَيْ عِنْدَ ذَلِكَ ثَاثِرٍ  
غَدَائِذٌ أَوْهَا لَكُ فِي الْهَوَالِكُ  
كلمة (الهوالك) غير فصيحة، لمخالفتها الوضع، لأنها تجمع على (الحالكين).

٨— قال زهير بن أبي سلمي:

تَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكْثُرْ غَنِيمَةَ  
بِنَكْهَةِ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدِ<sup>(٢)</sup>  
كلمة (حقلد) غير فصيحة؛ لغرايتها ونقلها على السمع.

٩— قال الشاعر:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجْلَلِ  
أَنْتَ مَلِيكُ النَّاسِ رَبًا فَاقْبِلِ  
كلمة (الأجلل) غير فصيحة لمخالفتها الوضع، والصواب أن تكون (الأجلل)  
بالإدغام.

١٠— قال الشاعر:

---

(١) جفحت: فخررت وتكبرت.  
(٢) الحقلد: البخيل السيء الخلق.

**مُشَمَّخِرٌ تعلو لـه شُرُفَاتٌ**  
رُفِعَتْ في رؤوسِ رضوى وَقَنْسٍ  
كلمة (مشمخر) غير فصيحة لغراحتها وتقللها على السمع.

١١— قال الفرزدق:

**وإذا الرّجـال رأوا يـزـيدـ رـأـيـتـهـمـ**  
خُضـعـ الرـقـابـ نـوـاـكـسـ الأـبـصـارـ  
كلمة (نوакс) غير فصيحة لمحالفتها الوضع، فهي تجمع على (ناكسو)؛ لأنها  
وصف للذكر عاقل، فيجمع فاعل على فواعل.

ثانية: بَيْنَ مَا أَخْلَى بِفَصَاحَةِ الْكَلَامِ فِيمَا يَأْتِي:

١— قال المتنبي:

**لـكـ الـخـيـرـ غـيـرـ رـامـ مـنـ غـيرـكـ الـغـنـيـ**  
وـغـيرـيـ بـغـيرـ الـلـادـقـيـةـ لـاجـحـ  
في البيت تنافر في الكلمات سببه تكرار كلمة (غير).

٢— قال سليمان بن سعد:

**جـزـىـ بـنـوـهـ أـبـاـ الغـيـلانـ عـنـ كـبـيرـ**  
وـحـسـنـ فـعـلـ كـمـاـ جـوـزـيـ سـيـنـمـارـ<sup>(١)</sup>  
في البيت ضعف التأليف؛ لأن الماء في (بنوه) تعود على متاخر في اللفظ  
والرتبة، وهو (أبا الغيلان).

٣— قال الشاعر:

**فـأـصـبـحـتـ بـعـدـ خـطـ نـجـحـتـهـاـ**  
كـأـنـ قـفـرـأـ رـسـوـمـهـاـ قـلـماـ  
في البيت تعقيد لفظي شديد، والأصل: فأصبحت بعد نجحتها قفراً لأن قلماً  
خطأ رسومها.

<sup>(١)</sup> في البيت مثل يضرب من بجازى على الماء بالشر. و(سنمار) هذا اسم الرجل الذي بنى للنعمان بن امرى القيس نصراً عظيماً، لكن ما إن انتهى من بنائه حتى أمر النعمان بإلقائه من أعلىه، خشية أن يبني مثله لغيره؛ فقال الشاعر هذا البيت يدعوه عليه أبي الغيلان بأن يجازيه أولاده — مع حسن رعايته لهم — شر جراء، كما جوزي سنمار.

٤— قال المتنبي:

خَلَّتِ الْبَلَادُ مِنَ الْغَرَالِبِ تَلَّهَا فَأَعْضَضَهَاكَ اللَّهُ كَسَيْ لَا تَحْزَكَا<sup>١</sup>  
في البيت ضعف التأليف؛ لأن المتنبي وصل بين الضميرين، وقدم غير الأعرف،  
وقد أخطأ في هذا؛ لأنه في حال اجتماع ضميري المخاطب والغائب فالواجب  
تقديم ضمير المخاطب على ضمير الغائب، فكان الأولى أن يقول: (فَأَعْضَضَهَا اللَّهُ  
إِيَّاكَ) أو (فَأَعْضَضَكُهَا) بتقديم الأنصب.

٥— وقال آخر:

مَالِي فَتَسْتَ بِلْ حَظِّكَ الْفَتَّاكَ وَسَلَوتُ كُلَّ مَلِيْحَةِ إِلَّاكَ!<sup>٢</sup>  
في البيت ضعف التأليف؛ إذ جاء بالضمير متصلًا بعد آداة الاستثناء،  
والصواب أن يأتي منفصلاً، فيقول: إلا إياك.

٦— قال الشاعر:

جَرَى رَبِّهِ عَنِ عَدِيِّ بْنِ حَاتَمَ جَزَاءَ الْكَلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ  
في البيت ضعف التأليف، حيث عاد الضمير في قوله (ربه) على متأخر لفظاً  
ورتبة، وهو (عدى...)، والأفضل أن يقول: جرى عدى بن حاتم عن رب...

٧— قال أمرو القيس:

أَلَا إِنِّي بَالُ عَلَى جَمْلِ بَالٍ يَقُودُ بَنَى بَالٍ وَيَتَعَنَّى بَالٍ

في البيت تناقض في الكلمات سببه تكرار كلمة (بال).

٨— قال الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمْمَهِ حَيْ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ<sup>٣</sup>  
في البيت تعقيد لفظي شديد، والأصل فيه أن يقول: وما مثل المدوح في  
الناس حي يقاربه (في المكارم) إلا مملكاً، أبو أم ذلك الملك أبو المدوح، أي لا

يحاكيه أحد إلا ابن أخيه.

٩— قال النبي:

أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا  
لو كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ

في البيت تنافر سببه تكرار كلمتي (مثل) و(سوها).

١٠— قال أمرو القيس:

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خِيفَانَةً  
كسا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُتَشَّرِّ<sup>(١)</sup>

في البيت تعقيد معنوي؛ إذ شبه الفرس بالجرادة، ثم وصف هذه الفرس بأن  
شعر ناصيتها طويل كسعف النخل يغطي وجهها، وهذا الوصف مرفوض؛ لأن  
الشائع عند العرب أن الفرس لا توصف بالأصل إذا كانت على هذه الصورة.

---

<sup>(١)</sup> الخفافة في الأصل: الجراد، ويقصد بها هنا الفرس الخفيفة.

## تدرییبات یطلب حلها

— بین ما أخل بفاصحة الكلمة أو الكلمات فيما يأتي:

١— احرِّجُم<sup>(١)</sup> القوم في ساحة الجامعة

رَأَهَا غَيْرَ حِفْنَهَا غَيْرَ راقِي  
حَشَاهُ لِبَحْرٍ حَشَاهِي حَشَاهِ  
وَيَخْهَلُ عِلْمِي أَلْهُ بِسِيَ حَاهِلُ  
ثُشِّيَّة، وَلَوْ بَيْنَ الْخَمَاسِيَّ وَالظَّفَلِ  
عَشَوَاءَ تَالِيَةَ غُبْسَا دَهَارِيسَا<sup>(٢)</sup>  
مَالِيَ فِي صُورَهُمْ مِنْ مَوْدَدَة  
فَفِي السَّلِسِ بُوقَاتُهَا وَطَبُولُ  
شاوِيْشَلُ شَلُولُ شَلُشَلُ شَوِولُ  
وَرَقِيَ نَدَاهُ ذَالَّدِي فِي ذُرِيَ المَخْدِ

٢— كَيْفَ تَرَثِي الَّتِي تَرَى كُلُّ جَفِنِ

٣— مَيْتِي مِنْ دَمَشَقَ عَلَى فَرَاشِ

٤— وَمَنْ جَاهِلِي بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهَلُ

٥— شَرَبَتَهُ شَمَطَاءَ مِنْ يَرْقَى هَا

٦— قَدْ قَلَتُ لَمَّا اطْلَخَمَ الْأَمْرُ وَابْعَثَتْ

٧— إِنْ تَسْئِي لِكَلَامَ زَهَّـةَ

٨— فَلَانْ يَكُ بَعْضُ النَّاسِ سِيفَا لِلْوَلَـةِ

٩— وَقَدْ غَنَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَبَعَّـي

١٠— كَسَـا حِلْمَهُ ذَا حِلْمَ أَثْوَابَ سَوْدَـهِ

(١) احرِّجُم: اجتمع.

(٢) اطْلَخَم: اشتَدَّ وَعْظَمَ، عَشَوَاءَ: مَوْنَثُ الأَعْشَى، وَهِيَ النَّافَةُ الْمُضَعِّفَةُ الْبَصَرَ، غُبْسَا: جَمْعُ غَبَسَاءَ أَوْ غَبَسَ: وَهِيَ الْمُظَلَّمَةُ، دَهَارِيسَا: الدَّوَاهِيُّ.

## لحة موجزة عن نشأة علم المعاني وتطوره

(علم المعاني) أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني، والبيان، والبديع. وقد سبق أن أشرنا إلى تعريفه بأنه: «العلم الذي يعرف به أحوال النطق العربي التي ما يطابق مقتضي الحال»<sup>(١)</sup>.

(علم المعاني) من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث تصل بالجملة، وأحوال تركيبها، وحسن تأليفها على نحو يؤدي إلى الوفاء بالمعنى. وقد حصر علماء البلاغة أحوال النطق بثمانية أبواب: أولها: أحوال الإسناد الخنزيري، وثانيةها: أحوال المسند إليه، وثالثها: أحوال المسند، ورابعها: أحوال متعلقات الفعل، وخامسها: القصر، وسادسها: الإنشاء، وسابعها: الفصل والوصل، وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة<sup>(٢)</sup>.

ومن المعروف أن علم النحو درس هذه الأحوال والتركيب، ولكن دراسته لها اتّخذت بعداً آخر، فهو — على سبيل المثال — يدرس التقدّم والتأخير؛ في حين وجوب التقدّم، أو جوازه، أو امتناعه، ويدرس التعريف والتشكير، وأنواع الحذف ومواقعه، ويتناول المبتدأ والخبر فيدرس أحواهما وأحكامهما. لكنه لا يبعد أكثر من ذلك، فلَا يدرسهما من حيث وقوعهما مطلباً بيانياً يقتضيه الحال، ومعنى ذلك أنه

(١) الإيضاح / ٥٢.

(٢) انظر أسباب ترتيب هذه الأبواب على هذه الصورة في البلاغة العربية قراءة جديدة / ٢١٥.

لا يجوز الفصل بين النحو والبلاغة؛ فالعلاقة بينهما وثيقة متنية، والصحة النحوية هي شرط للصحة البلاغية. نقول هذا انطلاقاً من مفهوم البلاغيين لعلم المعاني الذي يدرس ويبحث ما وراء الإفادة الأصلية التي تهمها مباحث النحو واللغة.

ونقتضي طبيعة البحث أن ندرس النشأة الأولى لهذا العلم، والروافد التي رفدت مسيرته، وساعدت على نضجه في تراصنا العربي.

فقد مرّ علم المعاني بمراحل كسائر علوم العربية الأخرى، حتى استوى على ما هو عليه الآن، وأصبح الركن الأول في علم البلاغة العربية، وقد أسهمت جهود كثيرة في نشأته؛ إذ تضافرت جهود الساحة مع جهود المفسرين والباحثين في إعجاز القرآن، فكان لكل منهم دوره البارز في نشأة هذا العلم وتطوره.

فإذا ما ذهبنا نستقصي بحث هذا الباب في كتب الأوائل نجدهم لا يشيرون إلى اسمه هذا، أو إلى الاسم الآخر الذي عرف به بعد ذلك وهو (النظم)، وإن كانت معالم هذا العلم واضحة في كتاباتهم.

فمثلاً تحدث سيبويه (ت ١٨٠ هـ) عن النظم<sup>(١)</sup> وحسن تأليف الكلام، وتتأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح أو استقامة، والمعنى وما فيه من صدق أو كذب، مؤكداً ارتباط النظم بأحوال النحو. وقد دفعه ذلك إلى التوقف عند بعض الأساليب التي حدث فيها تصرف بلاغي: كالنداء<sup>(٢)</sup> والاستفهام<sup>(٣)</sup> والتقديم، والتأخير<sup>(٤)</sup> والمحذف<sup>(٥)</sup> وغير ذلك.

وفي القرن الثالث ألف أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) كتابه (مجاز القرآن)، وفيه

<sup>(١)</sup> انظر الكتاب، باب الاستقامة من الكلام والإحالة ٢٥/١ - ٢٦.

<sup>(٢)</sup> نفسه ٢١٥/٢.

<sup>(٣)</sup> نفسه ٩٨/١ - ٩٨، ١٢٧، ١٠١ - ٣٤٣.

<sup>(٤)</sup> نفسه ٣٤، ٢٤ - ٨١.

<sup>(٥)</sup> نفسه ١/٢٤٥، ٢٩٤، ٢٩٠، ٢٨٠.

تناول كثيراً من المباحث البلاغية، ومن ضمنها فنون يقوم علم المعاني بدراستها؛ كالنقد والتأنير،<sup>(١)</sup> والخذف،<sup>(٢)</sup> والاستفهام،<sup>(٣)</sup> والأمر،<sup>(٤)</sup> والإطناب،<sup>(٥)</sup> وغير ذلك.

وتجد نظير ذلك عند الفراء (ت ٢٠٧ هـ). وهكذا أسهم هؤلاء العلماء في وضع حدود هذا العلم لكنهم، مع هذا لم يسموا هذه المباحث نظاماً، وإنما هي قواعد تسلكها العرب في كلامها وتعبيرها.

ثم جاء الجاحظ (٢٥٥ هـ) فكتب كذلك في موضوعات علم المعاني، ودرسها دراسة دقيقة، مشيراً إلى أن النظم يتمثل في تلاميم أجزاء الكلام، ومشاكله اللغز للمعنى، مع مطابقته للحال. يقول: «ومن شاكل ذلك اللغز معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقاً، وخرج من ساجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلف، كان قميئاً بحسن الموضع، وبانتفاع المستمع»<sup>(٦)</sup>.

لكن مفهوم «النظم» بدأ يأخذ بعداً أدق على يدي البرد الذي صرخ بـ« المصطلح (النظم)، إلا أنه لم يعد كثيراً عما ذكره الجاحظ. يقول: «فحق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، و اختيار الكلام، وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة أحنتها، ومعاضدة شكلها»<sup>(٧)</sup>.

<sup>(١)</sup> انظر مجاز القرآن ١٢/١، ١٤٥، ٣٦٤، ١٨٥، ١٧٣، ٢٦٨، ٣٦٤.

<sup>(٢)</sup> نفسه ١١/١، ١٠٠، ١١١، ١٦٥، ٢٨٥، ٢٤٣، ٦٢/٢.

<sup>(٣)</sup> نفسه ٣٥/١، ٦٣، ١٨٣، ٢٨٧، ١١/٢، ٢٨٧، ١٨١، ١٥٠، ١١/٢.

<sup>(٤)</sup> نفسه ٢/٢، ١٩٧.

<sup>(٥)</sup> نفسه ١٢/١، ١٢، ٣٠٤، ٧٠، ٣٠٤/٢.

<sup>(٦)</sup> انظر جهود المفسرين في البحث البلاغي (رسالة ماجستير) ١١٧ - ١٧٠.

<sup>(٧)</sup> البيان والتبيين ٧/٢ - ٨.

<sup>(٨)</sup> البلاغة ٨١/٤.

وإذا ما وصلنا بالنظم إلى أبي هلال العسكري (— ٣٩٥ هـ) نرى أن عبارة التطور قد وسعت من أبعاد هذا المصطلح؛ فبدأ يستقل بأبحاث خاصة به، فها نحن نجد العسكري يفرد الباب الرابع «للبيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك» لكنه، مع هذا، لا يفرق بين هذه المصطلحات. يقول: «فحسن الرصف أن تتواءم الألفاظ في مواضعها، وتتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحدف والزيادة إلا حذقاً لا يفسد الكلام، ولا يعمي المعنى، وتتضمن كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقيها، وسوء الرصف تقدم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهاها، وتغيير صيغتها، وخالفه الاستعمال في نظمها»<sup>(١)</sup>.

وقد كان لقضية إعجاز القرآن أثراً في تطوير هذا العلم، فقد استرعت فنون التعبير في القرآن انتباه العلماء لمعرفة كنه هذا الإعجاز القرآني وأسلوب نجمه، وسماته وخصائصه التي تفوق أساليب العرب ونظمها، فكان هذا الأمر دافعاً لظهور كثير من التاليف والدراسات البلاغية حول إعجاز القرآن.

ومن هذه الكتب «النكت في إعجاز القرآن» للرماني (— ٢٨٦ هـ) الذي تناول فيه مؤلفه كثيراً من القضايا التي تدخل في نطاق علم المعانٰي؛ كالإيحاز، والإطناب،<sup>(٢)</sup> وغيرها، ولم يقتصر المؤلف على هذا، بل تعداها إلى دراسة حسن النظم والتأليف، وما ينبغي أن يكون عليه الكلام حتى يذهب في النطق ويحلو في الألسن»<sup>(٣)</sup>.

ومن تحدث كذلك عن النظم محمد بن إبراهيم الخطابي<sup>(٤)</sup> (ت — ٣٨٨ هـ)، والباقلاني (ت — ٤٠٣ هـ) الذي تحدث عن نظم القرآن إلا أنه لم يفصل القول في أسرار هذا النظم؛ بل اكتفى بالإشارة العامة، وال فكرة المهمة<sup>(٥)</sup>.

لكن هذه الفكرة لم تبق مبهمة، فقد تلقف هذه الملاحظات والأراء عام

<sup>(١)</sup> كتاب الصناعتين / ١٦١.

<sup>(٢)</sup> نفسه / ٦٧.

<sup>(٣)</sup> النكت في إعجاز القرآن / ٦٧.

<sup>(٤)</sup> بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / ٣٦.

<sup>(٥)</sup> إعجاز القرآن / ٧٥.

بلاغي آخر هو القاضي عبد الجبار (—٤١٥ هـ)، الذي استطاع أن يفصح عن معنى (النظم)، فكان له فضل السبق في وضع أساس نظرية النظم، التي تقوم عنده على تلامح الكلمات والثمام بعضها مع بعض، ومراعاة موقعها، وحركتها. «إذ لابد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لابد من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض؛ لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعراها، وحركتها، وموقعها»<sup>(١)</sup>. وهكذا مهد القاضي عبد الجبار السبيل أمام عبد القاهر للخوض في تفاصيل هذا العلم، وتفسير معالله، ورسم حدوده وذلك من خلال نظريته التي عرفت بـ «نظرية النظم».

فقد شرح عبد القاهر الجرجاني (ت —٤٧١ هـ) المراد من هذا العلم، وبين مفهوم النظم والصلة الوثيقة بينه وبين النحو متتهماً إلى خلاصة هي أن (النظم) ليس شيئاً غير توخي معانٍ علم النحو وأحكامه فيما بين الكلم»<sup>(٢)</sup>. وهو هذا لا يقصد بالنحو معناه الضيق وإنما أراد به المعانٍ الإضافية التي يصورها النحو. فهو هذا علم نظم الكلم وما يتصل به في ضوء المعنى من نظام ترتيب الكلمات في العمل، ومقاصد الحذف والذكر، والتقديم والتأخير..<sup>(٣)</sup> وغير ذلك مما أطلق عليه (معانٍ النحو)، أو (النظم)، وهي عنده تعليق الكلام ببعضه، وجعل بعضه بسبب من بعض.<sup>(٤)</sup> ولما كانت الصحة والمزية في النظم راجعة إلى معانٍ النحو، فإننا نفهم من كلام عبد القاهر، أن «معانٍ النحو لديه درجات: درجة تجري فيها معانٍ النحو بالمعنى الشائع عند النحاة، ودرجة تجري فيها هذه المعانٍ في ميدان التخيير، وهو ما يمكن أن نسميه بالنحو البلاغي، الذي يتعدى دائرة الفضائل والمزايا، وهي حسن التلاؤم، والتناسب بين المعانٍ والألفاظ، مع مراعاة القواعد التحوية، واحتداء الناظم

<sup>(١)</sup> المغني في أبواب التوحيد والعدل / ١٦ / ١٩٩.

<sup>(٢)</sup> انظر دلائل الأعجاز / ٨١.

<sup>(٣)</sup> انظره نفسه / ٨٢.

<sup>(٤)</sup> نفسه / ٨١، ٩٦.

إلى الأولى والأفضل بما يتناسب والمقام»<sup>(١)</sup>. وهكذا جعل عبد القاهر من نظريته الميدان الذي تدور في رحابه كل أبواب البلاغة، وقاعدة لدراسة الأساليب البلاغية، وتحليلها تحليلاً دقيقاً يكشف عن ذوقه الرفيع، وذهنه المتقد في الكشف عن أدق المعاني التي يؤديها كل مبحث. ومن هنا فإن دراسته تعد من أنضج الدراسات الأسلوبية، التي دفعت بالدرس النحوى دفعة جديدة، ولفتت الانتباه إلى أهم الجوانب الفنية التي أغفلها جمهور النحاة في دراسة الجملة، وهذا فهو يُعد واضع أصول علم المعانى<sup>(٢)</sup>، دون أن يطلق عليه هذه التسمية، لأنّه استخدم مصطلح «النظم» الذي كان شائعاً في بيئه المتكلمين.

ولعل أول ظهور لمصطلح (علم المعانى) كان على يد الزمخشري (ت - ٥٣٨هـ) في كتابه الكشاف<sup>(٣)</sup>، وإن كان يُشك في دقة مفهومه لديه؛ «لأنه كان يطلق على مباحث البلاغة جميعها علم البيان»<sup>(٤)</sup>. وقد تأثر الزمخشري كثيراً بعد القاهر؛ فسار على نهجه، عندما طبق نظريته في النظم تطبيقاً دقيقاً شمل سور القرآن جميعها.

أما الرازى (ت - ٦٠٦هـ) فإنه لم يفرد لهذا العلم باباً مستقلاً، وإنما نشر بعض أبحاثه بين دفتير كتابه؛ كالخبر، والخطاب بالجملة الاسمية، وبالجملة الفعلية، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والإيجاز<sup>(٥)</sup> وغير ذلك، مقتدياً في معظم ما ورد فيه بآراء عبد القاهر.

ثم جاء السكاكي (٦٢٦هـ) ليتقل بدراسة هذا العلم، من النظارات

<sup>(١)</sup> المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآن / ٢٤١.

<sup>(٢)</sup> انظر: البلاغة عند السكاكي / ٣٠٤، والبلاغة العربية تاريخها — مصادرها — مناهجها / ١١٥.

<sup>(٣)</sup> انظر الكشاف ١/ن.

<sup>(٤)</sup> انظر المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآن / ١٧٤، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ٢٠٤، والبلاغة عند السكاكي / ١١٩.

<sup>(٥)</sup> انظر هذه الأبحاث على الترتيب في نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز / ٢٣٨، ٢٢٦، ٢١٠، ١٠٦، ١٠٠.

التحليلية الفنية التي تعتمد على الذوق المقصول، إلى أحكام المنطق وقواعد وأصوله التي تخضع لمنهجية البحث العلمي؛ فأطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر نظماً، فكان بذلك «أول من استعمل مصطلح (المعاني) وأطلقه على قسم من علوم البلاغة»<sup>(١)</sup>. و(علم المعاني) عنده: «تبين خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»<sup>(٢)</sup> فعلم المعاني – بذلك – يقوم على دراسة الجملة فيبحث ما فيها من حذف أو ذكر، أو تقسيم أو تأثير، أو تنكير أو تعريف... وغير ذلك، ولا يخرج إلى أكثر من جملة إلا عند البحث في الفصل والوصل، والإيجاز، والإطراب.

كما أن هذا التعريف يقوم على ثلاثة عناصر؛ أولها: تركيب الكلام، وثانيها: مراعاة مقتضى الحال، وهو وضع الكلام المناسب في المقام المناسب، وثالثها: «اعتبار المثلقي العنصر الأساسي في العملية الإبداعية... فقد ضيّط معآخذ العلم بربط مقتضى الحال بالمثلقي، لأنه: إما خالي الذهن، وإما متعدد في الحكم، وإنما منكر له. وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير السائل – وهو خالي الذهن – كالسائل، وقد يجعل المنكر كغير المنكر، كما أن مقامات الكلام ترتبط هي الأخرى بطبيعة المثلقي...»<sup>(٣)</sup>. وهكذا استقل علم المعاني بنفسه في بحوث البلاغة المتأخرة، وأصبح علماً في مقدمة علومها الثلاثة.

لكن ما أورده السكاكي هنا لم يستند منه ابن الأثير (٦٣٧ هـ)، فلم يدرس مباحث علم المعاني كما وردت عند السكاكي، ولم يفردها بباب مستقل، وإنما تناول بعضها؛ كالخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية والفرق بينهما،

<sup>(١)</sup> البلاغة عند السكاكي / ٣٠٣.

<sup>(٢)</sup> مفتاح العلوم / ١٦١.

<sup>(٣)</sup> انظر تفصيل هذه المقامات في مفتاح العلوم / ١٧٠ – ١٧٢.

كما عرض للأسلوب الإنساني في أثناء كلامه عن التقدم والتأخير مكتفياً بدراسة أداة واحدة من أدوات الاستفهام وهي (الهمزة)، ثم تناول أسلوب الإيجاز، والإطاب، ودرس الالتفاتات..<sup>(١)</sup> وغير ذلك. لكن مما يوحّد عليه أنه لم يُسْطِ القول في ركني الإسناد، والخبر، ومن هنا نستطيع أن نقرّ أن دراسة ابن الأثير - مع أهميتها - لم تستطع أن ترقى إلى المستوى المتكامل الذي كنا نرجوه منها.

وفضلاً من بعد هؤلاء العلماء قوم أفادوا من سبقهم كثيراً، وكان من أبرزهم القزويني (ت ٧٣٩ هـ) الذي هذّب ما وضعه السكاكي وضمَّ إليه تفاصيلاً مما وضعه عبد القاهر الجرجاني وأخرج لنا كتابه الموسوم بـ (تلخيص المفتاح) الذي ما زال الدرس البلاغي عالة عليه منذ عصر مؤلفه.

وكان من بينهم بدر الدين بن مالك الأندلسي (ت ٦٨٦ هـ) في كتابه (المصباح)، وأبن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) في كتابه (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان)، وبيهقي بن حمزة العلوبي (ت ٧٤٥ هـ) في كتابه (الطراز) وغيرهم.

ثم شرح العلماء كتاب (التلخيص) المذكور كما فعل السبكي (ت ٧٦٣ هـ) في كتابه (عروض الأفراح في شرح تلخيص المفتاح)، والفتزايني (ت ٧٩١ هـ) في كتابه (المطول)، والاسفاريني (ت ٩٤٥ هـ) في كتابه (الأطول)، وأبن يعقوب المغربي (ت ١١١٠ هـ) في (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح). كما اختصر السيوطي (ت ٩١١ هـ) كتاب التلخيص بأرجوزته (الجمان) ثم وضع عليها شرحاً سماه (شرح عقود الجمان).

### مكانة علم المعاني بين العلوم:

أما مكانته بين العلوم الأخرى فهي أنه أصلّقها بالقرآن الكريم وبه عُرف

<sup>(١)</sup> انظر هذه الأبيات على الترتيب في المثل السائر ٥١/٢، ٣٨، ٣٥، ٦٨، ١١٩، ٣٠.

إعجازه؛ بل هو علم يشتمل على سائر العلوم وليس بالضرورة أن يشتمل عليه علم السحو أو الصرف أو البديع مثلاً، فلا يعتد فيه بكلام لم يراع فيه الوجه الصحيح لبناء الكلمة في الصرف، ولا بكلام تُصب فيه ما حقه الرفع، ولا بصورة بديع لم يحسن صاحبها التأني إليها.

إن ثمرة هذا العلم هو الوقوف على الأسرار التي يرتفع لها شأن الكلام ويفضل بعضه بعضاً، ومعرفة إعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن الوصف ولطف الإيجاز وجودة السبك وبراعة التراكيب وجزالة الكلمات وعنودية الألفاظ ومحاسن الكلام، والوقوف على بديع القول وأسرار البلاغة وأسباب الفصاحة وغير ذلك.

### م الموضوعات علم المعاني:

استقررت الموضوعات التي يدرسها علم المعاني في ثمانية أبواب هي:

أ — أحوال الإسناد الخبري.

ب — أحوال المسند إليه.

ج — أحوال المسند.

د — أحوال متعلقات الفعل.

ه — القصر.

و — الإنشاء.

ز — الفصل والوصل.

ح — الإيجاز والمساواة والإطناب.

وقد جعلناها في هذا الكتاب — توخيًا للإيجاز وتجنبًا للتكرار — في خمسة فصول هي:

أ— الخبر والإنشاء.

ب— أحوال الإسناد.

ج— القصر.

د— الفصل والوصل.

ه— الإيجاز والمساواة والإطناب.



## **الفصل الأول**

### **الخبر والإنشاء**

أولاً: الخبر: أغراضه — أضربه — مؤكداه — تحرير الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

ثانياً: الإنشاء:

- أ — غير الطلبي: أسلوب التعجب — أسلوب المدح والذم — أسلوب القسم — أسلوب الرجاء — الأسلوب المسمى صيغ العقود.
- ب — الطلبي: أسلوب الأمر — أسلوب النهي — أسلوب الاستفهام — أسلوب التمني — أسلوب النداء.

## أولاً: الخبر

وهو الكلام الذي يتحمل التصديق ويتحمل التكذيب كان أقول لك: زارني خالد أمس، فهذه جملة يتحمل الخبر الوارد فيها أن يكون صادقاً وأن يكون كاذباً، وكذلك كل ما جرى هذا المجرى من الكلام، ومعنى صدق الخبر مطابقته للواقع وكذبه عدمها، وهذا رأي الجمهور من العلماء كالجرجاني والباقلي والفارس الرازي والقرزويني والسكاكبي<sup>(١)</sup>.

### أغراض الخبر:

عرفت أن الخبر هو الكلام الذي يتحمل التصديق أو التكذيب، ولكن وراء إلقاء الخبر من قبل المتكلم غرضاً من الأغراض، لأن العرب لا تقول القول عيناً وإنما يتوجهون فائدة أو هدفاً يتبعونه، وما خلا من المهد أو الفائدة في كلامهم عدوه ثرثرة لا قيمة لها.

والغرض الأول الذي يتوجه المتكلم من إلقاء خبره على المخاطب هو إفادة المخاطب حكم الخبر أو مضمونه، والمخاطب هنا يجهل الخبر كقول ابن مالك في الألفية مثلاً:

كلامنا لفظ مفيد كـ **استقْمَنْ** **واسِمْ** **وَفَعْلٌ** ثم حرف الكلمة  
المخاطب (أو القارئ) الذي نظم ابن مالك هذا الكلام من أجله لا يعرف أن

<sup>(١)</sup> ملة آراء مخالفة لهذا الرأي كان أصحابها كالنظم والجاحظ من المعتزلة يتكونون عليها لشبيت حجاج فرقهم لا فائدة من ذكرها هنا.

الكلام لا يعتمد به إلا إذا أفاد، وهو مؤلف من الاسم والفعل والحرف، فقد أفاد الناظم المخاطب بأمر كان الأخير يجهله، ويسمى هذا الغرض فائدة الخبر أو إفادة الخبر، وخير مثال عليه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يُنْصَرِفَ وَيَشْتَرِي رَحْلَهُ مِنْ صَلَةِ الْمَغْرِبِ وَالصَّبْحِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يَبْدِئُ الْخَيْرَ، يَحْسِنُ وَيَمْكِثُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشَرَ مَرَاتٍ كُتُبَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشَرَ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيطٌ عَنْهُ عَشَرَ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشَرَ درجات».

أَلسْتَ تَرَى أَنَّهُ أَحَبَّنَا بِمَا لَمْ نَعْرِفْ، فَأَفَادَ أَنَّ مَنْ قَالَ تَلْكَ العِبَاراتَ بَعْدِ فَرَاغِهِ مِنْ تَلْكَمَا الصَّلَاتَيْنِ مِبَاشِرَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ مَحْلُّهُ الَّذِي صَلَى فِيهِ عَشَرَ مَرَاتٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَكْرِمُهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ الْعَشَرِ عَشَرًا مِنْ كِتَابَةِ الْحَسَنَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَرُفِعَ الدَّرَجَاتُ.

والغرض الثاني الذي قد يتواхاه المتكلم من إلقاء خبره على المخاطب إشعار المخاطب بأن المتكلم يعرف الخبر ذاته فيكون في ذلك ثبيت أو تأكيد أو تذكر، كأنه يقول للعاق يضرب أباها: هذا أبوك، فأنا لم أقدم له جديداً ولم أ finde حكماً يجهله فهو يعرف أنه أبوه، ويسمى هذا الغرض لازم الفائدة أو لزوم الفائدة.

تذكرة قول السيدة خديجة للرسول — عليه الصلاة والسلام — عندما عاد من غار حراء وقد رأى ما رأى، قالت له: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَنْصُلُ الرَّحْمَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتَؤْدِيَ الْأَمَانَةَ» فهي لم تخبره بأمر يجهله وإنما أدخلت الطمأنينة إلى قلبه من خلال تذكيرها إياها ببعض مضمون هذه الأخبار.

ويتحقق بالغرض الثاني أغراض أخرى تفهم من خلال سياق الكلام فيها، منها:

الوعظ: كما في قوله تعالى **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾** [آل عمران/١٨٥].

**إظهار الحسرة:** قال الحارث بن وعلة:

|                        |                           |
|------------------------|---------------------------|
| فإذا رأيتُ يصيّن سهّي  | قومي هُمْ قتلوا أميم أخرى |
| ولئن سطوتُ لأوهمن عظمي | فلئن عفوتُ لأعفون حللاً   |

**إظهار الضعف:**

كما في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَرْزَقْتَ  
إِنِّي مِنْ خَيْرٍ فَقَبِيرٌ» [القصص / ٢٤]، وعلى لسان زكريا عليه السلام «قَالَ رَبِّ  
إِنِّي وَهُنَّ الْعَظِيمُ مِنِّي وَأَشْتَغَلُ الرَّأْسَ شَيْئاً» [مريم / ٤].

**الفخر:** كقول حسان بن ثابت:

|                                      |                                     |
|--------------------------------------|-------------------------------------|
| كَرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يُومَّاً مُّ | أُوكِكَ قَوْمِي فَإِنْ تَسْأَلِي    |
| وَجِمُونَ مُولَاهُمْ إِنْ ظَلَّمْ    | يُوَاسِّونَ جَارِهِمْ فِي الْغَنَىٰ |

**المدح:** كقول النبي لسيف الدولة:

|                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| خَوْفٌ أَنْ تَفْتَشَهُ السَّحَابُ    | طَلَبُهُمْ عَلَى الْأَمْوَاهِ حَتَّىٰ         |
| وَأَذْكُرْهُ لَكُلَّ مَغِيبٍ شَمْسٍ  | رَثَاءً: كَتُولُ الْخَنَسَاءِ فِي أَحْيَاهَا: |
| عَلَى إِخْوَاهُمْ لَقْتَلْتُ نَفْسِي | يَذْكُرُنِي طَلَوْعُ الشَّمْسِ صَخْرَأً       |
|                                      | وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينِ حَوْلِي        |

**الهجاء:** كقول جرير في الأنجطل:

|  |  |
|--|--|
| جَعَلَ النَّبِيَّةَ وَالخَلَافَةَ فِيهَا   | إِنَّ الَّذِي حَرَمَ الْمَكَارِمَ تَغلَّبَ |
| الْمُحَدِّثِينَ: كَمَا في قول الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَبْغَضُ الْخَلَالَ إِلَى اللَّهِ الطَّلاقَ». |  |

**الإرشاد والتصح:** كقول الشاعر:

|   |  |
|---|--|
| وَلَكِنْ أَحْوَهَا مَنْ بَيْتُ عَلَى وَجْهِ | وَلَيْسَ أَنْجُو الْحَاجَاتِ مَنْ بَاتْ نَائِمًا |
|---|--|

وهذا النوع من الأغراض لا يكاد ينحصر، وهو متوقف — كما قلنا — على فهم السياق.

### أضرب الخبر:

مرّ في تعريف علم المعاني أنه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي لها يطابق مقتضى الحال، والمخاطب الذي يراعي علم المعاني حالة لا يعدو أن يكون واحداً من ثلاثة، فهو إما أن يكون ذا ذهن حال من مضمون الخبر تماماً، وإما أن يكون متربداً في قبول الخبر وتصديقه، وإما أن يكون منكراً مكذباً، ولكلِّ أسلوبٍ مناسب في الإخبار.

فمما يخاطبه خالي الذهن تقتضي إلقاء الخبر إليه بجرداً من التوكيد، كما في قوله تعالى: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [الكهف/٤٦]، فإنَّ واحداً من العقلاه لا يمكن أن يتسرَّب إليه الشك في ذلك ولا التردد أو التكذيب.

ستَّي البلاعرون هذا الضرب من الخبر الخبر الابتدائي؛ لأنَّه تبتدئ المخاطب به ابتداء وقد كان خالي الذهن منه، مثاله قول أبي تمام:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحَيٍ مُخلِقٌ      لدِياجتِيه فاغترَبَ تجَهِيدٌ  
وَخَاطِبَةٌ مَنْ تَقْرَأُ في عَيْنِه شَكًا أو ترددًا وأحياناً دهشة واستغراباً تقتضي أنْ  
يتحلى الخبر الملقي إليه بإحدى أدوات التوكيد التي ستعرفها بعد قليل والتي من  
 شأنها أن تزيل تردد ومحو شكّه، اقرأ قوله تعالى: **﴿إِلَمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ**  
**وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنَبُوهُ﴾** [المائدة/٩٠] تعرف  
أنَّ المخاطبين كانوا يشربون الخمر ويلعبون الميسر، ولما تلا الرسول عليه السلام  
قوله تعالى: **﴿يَسْأَلُوكُمْ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِنْمَّا كَبِيرٌ﴾**  
[البقرة/٢١٩]، قالوا: ما حرم علينا إنما قال: إنْمَّا كَبِيرٌ، أي كانوا في حالة من  
الشك والتساؤل، حتى نزلت **﴿إِلَمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾** مصدراً بأدلة التوكيد

(إنما) لتزيل ما هم فيه من حيرة ولتنص على التحرير بقوله (فاجتنبوا).

وقد سمي البلاغيون هذا الضرب الخبر الظليبي، مثاله قول أبي نواس:

عليك باليأسِ من الناسِ      إنْ غَنِيَّ نَفْسَكَ فِي الْيَاسِ  
إذ يغلب على المرء أنه لا يحمل نفسه على اليأس ولا يدع الرجاء والطمع ولا  
يسسلم بأن الغنى في اليأس فكأنه متعدد متسائل، فحسن توكيد الكلام له. ومخاطبة  
النكر أو المكذب أو المعتقد عكس ما تقول تقتضي أن يؤكد الخبر الملقى إليه بأكثر  
من مؤكدة، ويكون التوكيد بمقدار درجة الإنكار عند المخاطب، فأنت تقول لمن  
ينكر سهر طالب العلم: إنَّ دُرُبَ الْعِلْمِ لَوْعَرَةٌ طَوِيلَةٌ، افْرَا قُولَهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ  
لَآتِيَّةٌ لَا رَبَّ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [غافر/٥٩]، تحدَّى أن  
المخاطبين منكرون؛ لذلك أكد الكلام بـ إنَّ واللام.

وقد سمي البلاغيون هذا الضرب الخبر الإنكارى، وخير مثال عليه أن القرآن  
حينما حديثنا عن أصحاب القرية التي جاءها رسول عيسى — عليه السلام — فقال:  
﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ  
أَنْتِينَ فَكَذَّبُوهُمَا فَغَرَّرُنَا بِهِنَالِئِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَثْنَمْ إِلَّا  
بَشَرٌ مُثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا  
يَعْلَمُ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [يس/١٣ - ١٦]، أكد الخبر الأول بـ إنَّ، فقال:  
﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ ثم لما أمعنوا في التكذيب وأصرروا عليه زاد في التأكيد فقال  
﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ فاكده بـ: إنَّ واللام.

ومن الواضح أن علماء البلاغة وهم يجعلون الخبر ثلاثة أضرب كانوا يتكتسون  
على ذلك الحوار الذي دار بين الفيلسوف الكندي وأبي العباس، وهو أن الكندي  
سأل أبي العباس قائلاً: إِنِّي أَحَدٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ حَشْوَا، يَقُولُونَ: عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ، ثُمَّ  
يَقُولُونَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ، ثُمَّ يَقُولُونَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، قَالَ أَبُو

العباس: بل المعانى مختلفة، فقولهم: عبد الله قائم إنخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار قيامه<sup>(١)</sup>.

نقول: إن تقسيم الخبر إلى هذه الأضرب الثلاثة يقتضى أن نفترض مخاطباً يعرف المتكلم ويعرف سلفاً موقفه مما يسوق إليه من أخبار، وهذا كما قلنا افتراض إذا صحي في موطن لا يصح في آخر، فمن غير المعقول أن نطلق - مثلاً - على كل خبر اشتمل على مؤكد واحد أنه خبر طليبي، ومن ثم فالمحاطب به يرتاب في حكم الخبر الذي يسوقه المتكلم لذلك تأكّد الخبر.

وفي القرآن الكريم، وفي الشعر العربي وكلام العرب عدد يفوق الحصر من أساليب الخبر تأتي مقترنة بـ إن دون أن تكون موجّهة لمخاطب شاك في مضمون الخبر، ومن شأن العرب في كثير من الأحيان أن يجعلوا (إن) في مطلع شعرهم أو بداية كلامهم عفواً من غير أن يbedo على المخاطب تردد في قبول الحكم كما قلنا منه قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» [القدر/١] «إِنَّمَا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» [الكوثر/١]، «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَكُوَحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» [آل عمران/٣٣].

وقول الشاعر:

إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا صَحَبُتْهُمْ سَتَرُوا الْقَبِيحَ وَأَظْهَرُوا الْحَسَنَا

وقول الآخر:

إِنَّ الْمُكَارِمَ أَحْلَاقُ مَطَهَّرَةٍ الَّذِينَ أَوْلَاهُمُ الْعُقْلُ ثَانِيهَا  
نريد أن نقول: إن وجود أدلة توكيده واحدة في الخبر ليس دليلاً وحيداً على كون المحاطب مرتاباً في حكم الخبر طالباً توكيده.

<sup>(١)</sup> ورد هذا الحوار في الإيضاح ٧١/١.

## مؤكّدات الخبر:

التوكيد تمكّن الشيء وتبينه في النفس لازالة ما قد يعتريها من شك في تصديق الخبر، وهو أفعى من التأكيد؛ لقوله تعالى: **«وَلَا تُنْقِضُوا الْأَيْمَانَ بِفَدَاءٍ تُوكِلُوهَا»** [النحل / ٩١]، والقصد منه الحمل على ما لم يثبت في ذهن المخاطب ليصير ثابتاً.

ولن نتحدث هنا عن التوكيد اللغطي أو المعنوي الذي عرفته في النحو، لأنّ هذا يوكل المسند إليه أو المسند أو غيرهما من ألفاظ العبارة أو يوكل الجملة كلّها، وهو يتناول الكلام خبره وإنشاءه، أما التوكيد المقصود هنا فهو توكيد الحكم الوارد في مضمون الخبر، وإليك أدواته:  
إنّ:

وهي أهم هذه الأدوات، قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ»** [الحج / ٧٣]، وكما يقول حسان بن ثابت في مدح الرسول عليه السلام وهجاء المشركين:

فَلَمَّا أَبْيَ وَوَالِدَهُ وَعَرَضَ  
لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِّنْكُمْ وَقَاءُ  
وَتَحْفَظْ إِنْ بَعْنَى التَّوْكِيدَ بَعْدَ دُخُولِ  
الْوَرْدِيِّ: وَهَذِهِ

لا تقلْ أصلِي وَفَصْلِي أَبْدَأْ  
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَقِيرِ مَا قَدْ حَصَلْ  
لَام الابتداء:

وهي اللام المفتوحة التي تدخل في الأصل على المبتدأ، لذلك سميت لام الابتداء، أو هي كذلك لأنها تقع في ابتداء الكلام، تتصل بالمبتدأ كما في قوله تعالى: **«وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَغْجَبْتُكُمْ»** [البقرة / ٢٢١]، وكما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لَلَّهُ أَفْرَحْ بِتُوبَةِ عَبْدٍ مِّنْ رَجْلٍ نَزَلَ

منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلة عليها طعامه وشرابه... الحديث».

وتتصل باسم إن المؤخر كما في الآية «إِنْ فِي ذَلِكَ لَعْنةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ»

[آل عمران/١٣]، وبغيرها كما في الآية «إِنَّهُؤُلَاءِ لَشَرِذَمَةٍ قَلِيلُونَ».

[الشعراء/٥٤]، وقول كثير:

تغليتْ عَمَّا يَبْتَدِئُ وَتَخْلَتْ  
وَأَنْتِ وَهِيَ أَمِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا

تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقْبِلِ اضْسَحَّتْ  
لَكَ لِمَرْتَبِي ظَلَّ الْغَامِمَةَ كَلَمَا

والنحاة يسمونها في مثل هذه الحالة اللام المزحلقة؛ لأنها زحلقت إلى الخبر

كراهية اجتماع مؤكدين في صدر العبارة وهو إن واللام.

وقد تصل هذه اللام بالفعل: «لَبَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [المائدة/٦٢]، أو

بقد «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأَ حَسَنَةً» [الأحزاب/٢١].

قال الرجاجي: «وهذه اللام لشدة توكيدها وتحقيقها ما تدخل عليه يقدر

بعض الناس قبلها قسماً، فيقول هي لام القسم، كان تقدير قول (لزيد قائم): والله

لزيد قائم، فأضمر القسم ودللت عليه اللام»<sup>(١)</sup>.

نونا التوكيد:

الثقيلة والخفيفة وقد اجتمعا في قوله تعالى «لَيَسْجُنَّ وَلَيَكُونَ مَنْ

الصَّاغِرِينَ» [يوسف/٣٢]. يؤكد هنا المضارع الدال على الاستقبال<sup>(٢)</sup>، كما في

(١) الlamات / ٧٨.

(٢) وفي الإنشاء يؤكد هذا الأمر كما في قول عبد الله بن رواحة:

وأنزلن سكينة علينا

والنهي كما في قول كعب في مدح الرسول:

فلا ينزلك ماتنت وما وعدت إن الأمان والأحلام تضليل

قول الشاعر:

لأستهلنَ الصعبَ أو أدركَ المُتَى  
فما انقادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لصَابِرٍ

ضمير الفصل:

وهو الضمير الذي يتوسط أحياناً بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر،  
ليدل على أنَّ ما بعده خبر لا صفة كما في قوله تعالى: **(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**  
[البقرة/٥]، فلو لا الضمير (هم) لأمكن أن يكون (المفلحون) صفة لـ (أولئك) لا  
خبرأً لها، والمقصود بالأية الكريمة أن يكون خبراً، فالضمير هو الذي أوجب خبريته  
ومنع أن يكون صفة، وكذا في قوله تعالى: **(أَنْ تَكُونُ أُمَّةٌ هِيَ أُرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ)**  
[النحل/٩٢].

وضمير الفصل إحدى دلالات التوكيد التي خفيت على كثير من الباحثين،  
يفيد تأكيد اتصاف المستد إليه بالمستند، وهو حرف لا محل له من الإعراب، سمي  
ضميراً لأنه يشبه الضمير في صورته، وفصلاً لفصلة بين ما هو خبر أو صفة، من  
أمثلته قوله تعالى: **(لَقَدْ كَفَرَ الظَّاهِرُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)**  
[المائدة/٧٢]، وقوله تعالى: **(أَمْ إِنَّهُمْ يَخْذَلُونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ)**  
[الشورى/٩].

القسم:

ويكون بالواو **(وَالصَّحْنَىٰ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ)** [الضحى/١-٢]  
**(وَالشَّمْسِ وَضَحَاهَا)** [الشمس/١]، ويكون بالباء **(قَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَقَدْ أَنْزَلَ**  
**اللَّهَ عَلَيْنَا)** [يوسف/٩١]، **(وَنَالَّهُ لَا يَكِيدُنَّ أَصْنَامَكُمْ)** [الأنباء/٥٧]  
ويكون بالباء **(فَيُقْسِمُانِ بِاللَّهِ إِنِّي أَرْتَبَتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا)** [المائدة/١٠٦].

أَمَّا:

بالفتح والتشديد قال تعالى **(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَلَّا هُوَ بِهِمْ رَبُّهُمْ)**

[البقرة/٢٦]، وهي تفيد الشرط بدليل لزوم الفاء بعدها، وتفيد التفصيل بما يدل عليه سياق العبارات التي تضمنتها في قوله تعالى «أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَادُتُ أَنْ أَعْيَهَا وَكَانَ رَأْءُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْنًا» (٧٩) وأَمَا الْفَلَامُ فَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنَيْنَ فَخَشِبَنَا أَنْ يُرْهِقُهُمَا طَغْيَانًا وَكَفَرَا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُئْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وأَمَا الْجِيدَارُ فَكَانَ لِفَلَامِينِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَتَلَقَّا أَشْدُهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا» [الكهف/٧٩ - ٨٢].

يقول الزمخشري: «فائدة أَمَا في الكلام أن تعطيه فضل توكييد، تقول: زيد ذاهب، فإذا قصدت توكييد ذلك وأنه لا حالة ذاهب وأن منه عزيمة قلت: أَمَا زيد ذاهب»<sup>(١)</sup>.

قد:

وهي التي للتحقيق تسبق الماضي كما في قوله تعالى: «فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا» [الشمس/٩ - ١٠].

#### الحروف الرائدة:

وهي زائدة في الإعراب لكنها من صميم العبارة العربية لأنها في أكثر الأحيان تؤدي معنى التوكيد وهي:

— الباء الحارقة الواقع في خبر (ليس) كما في قوله تعالى «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» [التين/٨]. أو في خبر (ما) العاملة عمل ليس «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْغَيْبِ» [فصلت/٤٦]، أو في الفاعل «وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» [النساء/٦]. أو في المفعول «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الشَّهْنُكَةِ»<sup>(٢)</sup> [البقرة/١٩٥].

<sup>(١)</sup> انظر المغني/٨٢.

<sup>(٢)</sup> لأن الفعل يتعدى بنفسه بدليل «وَأَقْتَلْنَا بِهَا رَوَاسِي» [المحرر/١٩].

- من الجارة بعد النفي « وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ » [آل عمران/٦٢]، وبعد الاستفهام « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ » [فاطر/٣].
- أن: الواقعة بعد (لم) الظرفية « وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا » [العنكبوت/٣٣].

— إن: الواقعة بعد (ما) كقول الشاعر:

ما إن ندمتُ على سكوتِي مرةً      ولقد ندمتُ على الكلام مراراً  
 — لا: كما في قوله تعالى « لَيَالٌ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْبِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ » [الحديد/٢٩]، أي ليعلم، وكما في قوله تعالى « مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ » [الأعراف/١٢].

— ما: كقوله تعالى « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنَتَ لَهُمْ » [آل عمران/١٥٩]  
 وقوله سبحانه « مِمَّا خَطَّبَنَاهُمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوْنَا ثَارًا » [نوح/٢٥]، والتي تكون بعد (إذا) الشرطية كما في قول الشاعر:

إِذَا كَنْتَ ذَا قَلْبٍ فَنُوعٌ      فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدِّنِيَا سَوَاءُ  
 وثمة أدوات أخرى تؤدي معنى التوكيد في الخبر كالسين وسوف في المضارع الذي يحمل معنى الوعيد « سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عَسْرٍ يُسْرًا » [الطلاق/٧]، أو معنى الوعيد « سَارِقُهُ صَاغُودًا » [المدثر/١٧]، و(لن) الناصبة التي توكل النفي « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفَقُوا مِمَّا تَحْبِبُونَ » [آل عمران/٩٢]، وحرروف التبييه: إلا « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » [الأعراف/٥٤]، وأما في قول الشاعر:  
 أما والذى لا يعلم الغيب غيره      ويحيى العظام البيض وهي رميم  
 تخریج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

الأمثلة التي تناولناها في أضرب الخبر جرى فيها الكلام على مقتضى الظاهر،

فالخبر الحالي من التوكيد وجهناه إلى خالي الذهن، والمؤكّد للمخاطب المتردد، والأكثر تأكيداً لمن ينكر حكم الخبر الملقى إليه، يعني أنّ الظاهر اقتضى أن يُؤكّد الخبر تارة ويُجيزه من التوكيد تارة أخرى، وهذا رهن بحال المخاطب التي تحدثنا عنها في تعريف علم المعاني.

إلا أنّ المتكلّم قد يسلّك في الكلام مسالك أخرى فيؤكّد الخبر الموجّه إلى غير المنكر وغير المتردد، ويجرد من التوكيد الخبر الذي يوجهه إلى المنكر والمشكّك، فيجري كلامه على خلاف مقتضى الظاهر — وفي هذا أيضاً مراعاة لحال المخاطب — وهو ما يسميه علماء البلاغة: «تخيير الكلام على خلاف مقتضى الظاهر» وأمثاله في القرآن الكريم كثيرة.

تأمل قوله تعالى: **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)** [البقرة / ١٦٣]، تجد أن المخاطبين هنا كفار قريش وهم ينكرون وحدانية الله عز وجل، قال ابن عباس: قالت كفار قريش: يا محمد، انسب لنا ربكم، فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص وهذه الآية **(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ)** وكان للمرشكين ثلاثة وستون صنماً فيّن الله أنه واحد<sup>(١)</sup>، ولم يتعجب هذا الكلام كما ترى إلى توكيده لأن البراهين كلها ثبتت وحدانية الله عز وجل.

نقول: نزل المنكرون منزلاً غير المنكرين فلم يؤكّد الخبر.  
وتأمل قوله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)** [ال Zimmerman / ٥٢]، والمخاطب هنا قوم من المسلمين أسرفوا على أنفسهم في العبادة وخفقوا إلا يتقبل منهم للذنوب سبقت لهم في الجاهلية، تجد أنّهم لا ينكرون الغفران لأنّهم مؤمنون، وإنما نزلوا منزلاً المتردد المسائل: هل يغفر الله لنا؟ فحسن التوكيد (إن الله يغفر).

<sup>(١)</sup> انظر تفسير القرطبي ١٩٠/١ - ١٩١.

وفي سورة (المؤمنون) تقرأ قوله تعالى « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ لَطْفَةً فِي قَرَارِ مَكَّينِ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْعَفَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَفَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَكْبَرُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَغْدَ ذَلِكَ لَمِيَّتُونَ » [المؤمنون / ١٢-١٥].

فتفهم أن الآيات تخبر عن الموت، والموت لا ينكره عاقل فهو سنة الله في خلقه، إلا أن الناس هنا نزلوا منزلاً للمنكرين لما لاح منهم من علامات تدل على غفلتهم وإعراضهم وانشغالهم عن الموت، وكأنهم لم يحسبوا له حساباً، فجاء الخبر في (إنكم لميتون) مؤكداً بـ إن و باللام.

ثم إن الخبر قد يؤكد لشرف مضمونه وزيادة تقويته دون أن يكون ثمة إنكار أو تردد كما في قول الرسول ﷺ في حجة الوداع: أيها الناس، إن ربكم واحد إن أباكم واحد، كلكم لأدم وآدم من تراب.

ومن خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ما لا يتعلق بالخبر وحده الصيغ الآتية: الخبر الذي معناه إنشاء: كما في قوله تعالى: « وَإِذَا أَخْدَلْنَا مِيقَاتَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » [آل عمران / ٨٣]، (لا تعبدون) ظاهره خبر ومعناه النهي أي لا تعبدوا.

وكما في قوله تعالى: « وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ » [آل عمران / ٢٣٣]، فـ (يرضعن) ظاهره خبر ومعناه الأمر، أي ليرضع الوالدات أولادهن، وفي ذلك تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله<sup>(١)</sup>.

ويتبع ذلك معنى الدعاء كقول يوسف عليه السلام لإخوته « قَالَ لَا تَشْرِيبَ

<sup>(١)</sup> الكشاف ١/ ١٣٧.

**عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**» [يوسف / ٩٢]، أي اللهم  
اغفر لهم، وإنما صاغها خيراً إمعاناً بطلب المغفرة وحرضاً عليها.

الإنشاء الذي معناه خبر: كما في قوله تعالى «**قُلْ أَمْرِ رَبِّي بِالْقُسْطِ**  
**وَأَقِيمُوا وَجُوهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**» [الأعراف / ٢٩]، فـ «**وَأَقِيمُوا**» ظاهره  
إنشاء ومعناه خبر المراد: وإقامة وجوهكم، فذكرها بصيغة الإنشاء إشعاراً بالعناية  
بأمر الصلاة لعظيم حظرها وجليل قدرها، أليست عماد الدين؟ وكما في قوله  
تعالى «**قَالَ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشَرِّكُونَ**» [هود / ٥٤].  
فـ «**وَأَشْهَدُوا**» ظاهره إنشاء ومعناه خبر، وهو دليل عليه السلام لم يقل:  
وأشهدكم، تحاشياً لمساواة شهادتهم بشهادة الله عز وجل.

الالتفات: وهو العدول بالكلام من صيغة إلى أخرى، من صيغة التكلم مثلاً  
إلى الخطاب، أو من الخطاب إلى الغيبة، وهكذا.

— من التكلم إلى الخطاب كما في قوله تعالى «**وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي**  
**فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**» [بس / ٢٢]. والمعنى (أرجح) لكنه قصد إلى الخطاب  
فقال (ترجمون)، يقول البرقوقي: هذا تلطف في الإرشاد في معرض المناصحة لنفسه  
وإحراض النصح حيث أراد لهم ما أراد لها<sup>(١)</sup>.

— من التكلم إلى الغيبة كما في قوله تعالى: «**إِنَّمَا أَعْطَيْتُكَ الْكَوْثَرَ** (١)  
**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ** (٢) إِنْ شَاءْتَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» [الكوثر / ١ - ٣]. والظاهر  
يقتضي (فصل لنا).

— ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى «**وَلَوْ أَكْثُرُهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفَسَهُمْ**  
**جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ**» [النساء / ٦٤]. والظاهر  
يقتضي (واستغفرت) لكن في ذكر الفاعل هنا (الرسول) صريحاً تفحيم لشأن

<sup>(١)</sup> شرح التلخيص / ٩٥.

الرسول وتعظيم لاستغفاره.

— ومن الخطاب إلى التكلم قول الشاعر:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ  
بعيد الشباب عصر حان مشبيبُ  
يكلئني ليلى وقد شنطَ وليها  
وعادت عوادٍ بيتنا وخطوبُ  
والظاهر يقتضي (يكلفك).

— ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى «وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرَّحْمَةَ فَشَرَّبَ  
سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلْدَ مَيْتٍ فَأَخْيَتَا بِهِ الْأَرْضَ بَفْدَ مَوْتَهَا» [فاطر / ۹]،  
ومقتضى الظاهر (فساده).

— ومن الغيبة إلى الخطاب قول حرير:

منْ كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طَلْوَجٍ سُقِيتَ الْغَيْثُ أَيْتَهَا الْخِيَامُ  
ووجه حسن الالتفات أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك  
أحسن تطريبة لنفس السامع وتحديداً لحسه وأكثر إيقاظاً لإصغائه من إجرائه على  
أسلوب واحد<sup>(۱)</sup>.

وضع الضمير موضع الظاهر: كما في قوله تعالى «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُواً  
لِجِنَاحِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ يَأْذِنُ اللَّهُ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدِيَ وَبَشَّرَ  
لِلْمُؤْمِنِينَ» [البقرة: ۹۷]. فالضمير في (نزله) للقرآن ولم يتقدم ما يعود عليه  
هذا الضمير، وكان الظاهر يقتضي ذكر أوصافه دون اسمه الصريح؛ لفحامة شأنه  
وإبراز صدقته وهدايته.

وضع الظاهر موضع المضمون: وذلك إذا قصد التعظيم كما في قوله تعالى  
«وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً» [الإسراء / ۷۸]، والظاهر

<sup>(۱)</sup> انظر الكشاف ۱۰/۱.

يقتضي (إنه كان مشهوداً).

وإذا قصد التصغير والإهانة كما في قوله تعالى « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ عَنْهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا » [الإسراء / ٥٣] ، والظاهر يقتضي (إنه كان للإنسان).

التعير عن المستقبل بلفظ الماضي: وهذا يحسن عندما يكون معنى الفعل من الأمور الهائلة العظيمة التي تدب الخوف في النفوس وتزرع المهابة في القلوب كما في قوله تعالى: « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِغَ مَنِ فِي السُّمُواتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ » [النمل / ٨٧] ولم يقل (فيفرغ) ذلك لأن الفرع عند النفح في الصور محقق لا شك فيه. ومثله قوله تعالى: « وَيَوْمَ تَسْرِي الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ مَا رِزَّهَا وَحَشَرَتِاهُمْ فَلَمْ يَقُدْرُ مِنْهُمْ أَحَدًا » [الكهف / ٤٧] . ولم يقل (ونشرهم).

التعير عن الماضي بلفظ المستقبل: وهو يحسن إذا كان المراد استحضار صورة الماضي في الذهن، كما في قوله تعالى « إِنِّي أَرَى فِي النَّاسِ أُكَلَّ أَذْهَبْكَ » [الصفات / ١٠٢] ، ولم يقل (رأيت) علمًا أن رؤيا إبراهيم — عليه السلام — للحلم كانت قبل زمن التكلم، لكن عدل إلى المضارع لاستحضار صورة الرؤيا التي لا تفارق خياله.

وضع المفرد موضع المثنى: كما في قوله تعالى: « عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الشَّمَاءِ قَعِيدَ » [ق / ١٧] ، وهو قعيدان، ويحسن هذا عندما يكون الانثنان متلازمين يتصل أحدهما بالآخر أشد اتصال، مثل قول الأعشى:

فِرْجَى الْخَيْرِ وَانتَظِرِي إِيَّاهِ  
إِذَا مَا الْفَارَاطُ الْعَنْزِيَّ آبَا<sup>(١)</sup>  
وَهَا قَارَاظَانِ<sup>(١)</sup>.

وضع المفرد موضع الجموع: كما في قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام:

<sup>(١)</sup> من أمثالهم: لا يكون ذلك حق بزوب الفارطان، وما رجلان من عترة خرجا بيمانيان القرط فلم يرجعا.

«إِنْ هُوَلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضِحُونِ» [الحجر / ٦٨]، المراد ضيوفي، والبلاغة هنا أن المتكلم جعل الجمع كنفس واحدة لشدة تماسكها واتصالها كما في قول الشاعر:  
كلوا في بعض بطنكم تغوا فـ——— إِنَّ زَمَانَكُمْ زَمْنٌ حَمِصٌ  
وضع المثنى موضع الجمع: كما في قوله تعالى «بَلْ يَدَاهُ مَنْسُوْطَتَانِ»  
[المائدة / ٦٤]، ونعم الله أكثر من أن تخصى.

وضع الجمع موضع المفرد: كما في قوله تعالى «أَمْ يَخْسِدُونَ النَّاسَ عَلَى  
هَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» [النساء / ٥٤]. والمراد بالناس محمد ﷺ.

وضع الجمع موضع المثنى: كما في قوله تعالى «قَالَ كَلَّا فَأَذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّ  
مَقْنُومُ مُسْتَمِعُونَ» [الشعراء / ١٥]. والظاهر يقتضي: معكما.

## تدرییات محلولة في بحث الخبر

أولاً: ما أضرب الخبر في ظاهر الأمثلة الآتية وما هي مؤكّداته؟

١— قال تعالى: «لَئِنْ أَخْيَّتُنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونُنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» [يونس/٢٢]  
الخبر هنا إنكارٍ لتأكيدٍ بأكْبر من مؤكّد، ومؤكّداته: لام القسم ولام التوكيد  
ونون التوكيد الثقيلة.

٢— قال الشاعر:

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً  
متسبماً عن بساطٍ متجمهم  
الخبر طلي، والمؤكّد الباء الرائدة في (عن).

٣— قال الرسول عليه الصلاة والسلام «إن من البيان لسحراً». الخبر إنكارٍ،  
ومؤكّداته: إن واللام في اسمها (لسحراً).

٤— قال الشاعر:

ولقد نصحتك إن قيلت نصحيتك  
والنصح أغلى ما يماس ويوهب  
الخبر في الشطر الأول إنكارٍ، ومؤكّداته: لام الابتداء وقد، وفي الشطر الثاني  
ابتدائي مجرّد من التوكيد.

٥— قال الشاعر:

إن البخيل وإن أفاد غرّته  
لترى عليه خنايل الفقر  
الخبر إنكارٍ ومؤكّداته إن واللام المزحلقة.

٦— قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى»  
[النحل/٩٠] الخبر طلي، مؤكّداته إن.

٧— قال الشاعر:

هي الأمور كما شاهدتها دول  
من سره زمان ساءه أزمان  
ابتداي لتجده من التوكيد.

ثانياً: ما الأغراض التي تفهمها من الأخبار الآتية؟

١— قال تعالى: «قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا يَوْمَ بِجَاهُولَتِنَا وَجَنُودِنَا» [البقرة/٢٤٩] الغرض هنا إظهار الضعف.

٢— قال الشاعر:

فَشَرُّ النَّاسِ قَوْمٌ ذُكْرُوا حَمْلُ  
إِذَا فَانَّهُمْ ذَكَرُوا الْحَمْلُ  
غرضه التوبيخ.

٣— قال تعالى: «غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا» [المائدة/٦٤] الغرض الدعا.

٤— قال الشاعر:

ذَنْبِيَ إِنْ فَكَرْتُ فِيهَا كَثِيرَةً  
وَرَحْمَةُ رَبِّي مِنْ ذَنْبِي أَوْسَعُ  
هُوَ اللَّهُ مَوْلَايُ الَّذِي هُوَ خَالقِي  
وَإِنِّي لِهِ عَبْدٌ أَذْلَّ وَأَخْضَعُ  
غرضه الزهد والتضرع.

٥— قال تعالى: «إِلَى أَغْطِيَتِنَاكَ الْكَوْثَر» [الكوثر/١] الغرض التكريم.

٦— قال تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ» [الرحمن/٢٦] الغرض الوعظ.

٧— قال الشاعر يرثي ولده:

وَلَمَا دَعَوْتُ الصَّرْ بَعْدَكَ وَالْأَسَى  
أَحَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يَجِبِ الصَّرْ  
فَإِنْ يَنْقُطْعَ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ  
سَيِّقَى عَلَيْهِ الْحَزَنُ مَا بَقِيَ الْدَّهْرُ  
غرضه إظهار الأسى.

**ثالثاً: دلّ على المواطن التي خرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر وفسرها.**

- ١— قال تعالى: «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَوَّلَ» [الإسراء / ١٠٥]. المواطن وبالحق، وضع الاسم الظاهر موضع المضرر، فلم يقل: (وبه نزل)، وذلك زيادة في تمكين صفة الحق لما أنزل الله تعالى.
- ٢— قال تعالى: «فَلَا يَخْرُجُنَّكُمَا مِنَ الْجَهَنَّمِ فَتَسْقَىٰ» [طه / ١١٧] ولم يقل فتشقيان، فقد وضع المفرد موضع المثنى، لشدة التلازم والاتصال.
- ٣— قال تعالى: «أَفَكُلُّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوِي أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبِرُّهُمْ فَقَرِيقًا كَذَبُّتُمْ وَفَرِيقًا تَفْتَلُونَ» [البقرة / ٨٧]. عبر بال مضارع **(تفتلون)** عن الماضي لاستحضار صورة الماضي في الذهن.
- ٤— قال تعالى: «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كُفَّارٍ عَيْدِ» [ق / ٢٤]. عبر بالثني **(ألقيا)** عن المفرد، والخطاب لخازن النار.
- ٥— قال تعالى: «ثُمَّ لَعْنَرْجُوكُمْ طِفَلًا» [الحج / ٥]. وضع المفرد **(طفلًا)** موضع الجمع، والظاهر يقتضي **(أطفالاً)**.
- ٦— قال تعالى: «عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَهُمْ» [يوسف / ٨٣]. عبر بالجمع **(ملائتهم)** عن المفرد، والظاهر يقتضي **(وملائمه)**.

\* \* \*

## تدریبات يطلب حلّها

السؤال الأول: ما الأغراض التي تنطوي عليها الأخبار الآتية:

١— قال تعالى: «وَمَا اللَّهُ بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» [البقرة/٧٤].

٢— إلهي عبْدُك العاصي أتاك مقرأ بالذنب وقد دعاك

٣— أصبتُ بسادَةٍ كانوا عيوناً هُم نسقى إذا انقطع الغمامُ

٤— رأيت سكوتٍ متجرأ فلزمتهُ إذا لم يفذر بحاجةً فلست بخاسر

٥— ومكارمي علد النجوم ومنزلي مأوى الكرام وموئل الأضياف

السؤال الثاني: ما نوع الخبر في الأمثلة الآتية، وما هي مؤكّاته؟ وهل خرج عن مقتضى الظاهر؟

١— قال تعالى: «وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سَيِّاناً» [النبا/٩].

٢— أما دون مصر للغنى متطلبة بلى إن أسباب الغنى لكثير

٣— قال تعالى: «ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتونَ» [المؤمنون/١٥].

٤— وإن حلواً تعتربي مراره وإن لترأك لماً لم أعود

٥— قال تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْفِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِي الْأَلْبَابِ» [البقرة/١٧٩].

## الإنشاء

الإنشاء لغة: الإيجاد والإحداث، واصطلاحاً: هو الكلام الذي لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب لذاته، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه.

وقد ميز البلاغيون بين نوعين من الإنشاء: إنشاء طليبي، وإنشاء غير طليبي.

### أولاً: الإنشاء غير الطليبي:

وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله صيغ كثيرة:

١— أسلوب التعجب: وله صيغتان قياسيتان: (ما أفعله)، نحو قوله تعالى: **«فَلِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرَهُ»** [عبس/١٧]، وأفعال به)، نحو قوله أيضاً: **«أَنْسَعْ بِهِمْ وَأَنْصِرْ»** [مريم/٣٨].

٢— أسلوب المدح والذم: فالمدح نحو قوله تعالى: **«نَعَمْ أَجْزُرُ الْعَامِلِينَ»** [العنكبوت/٥٨]، والذم نحو قوله أيضاً: **«لَبِنَسَ الْمُؤْلَى وَلَكِنَّسَ الْعَشِيرَ»** [الحج/١٢].

٣— أسلوب القسم: له صيغ كثيرة، منها: القسم بالحروف الثلاثة <sup>(١)</sup>: (الواو) كما في قوله تعالى: **«وَالضَّحَى (١) وَالثَّلِيلِ إِذَا سَجَى»** [الضحى/١-٢]، و(الباء) نحو **«قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا»** [يوسف/٩١]، و(البناء) كما في قول الشاعر:

<sup>(١)</sup> الاسم الواقع بعد هذه الحروف يكون مجروراً بها، وهي مع مجرورها متعلقة ب فعل (قسم) المدحوف.

بِاللَّهِ يَا ظَبَابَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا      لِيَلَى مَنْكَنَ أَمْ لَيَلَى مِنَ الْبَشَرِ  
وَالْقَسْمُ بِالْفَعْلِ نَحْوُ أَقْسَمْ، أَحْلَفْ، شَهَدَ اللَّهَ، وَمِنْهُ كَذَلِكْ: بَيْنَ اللَّهِ، لَعْمَ،  
كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَعْنُوكَ إِلَّهُمْ لَفِي سَكْرِتِهِمْ يَغْمَهُونَ» [الْحَجَرُ/٧٢]،  
وَالغَرْضُ مِنْ إِنْشَاءِ الْقَسْمِ تَأْكِيدُ الْجَمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ بِمَا سَبَقَ بِيَانِهِ فِي مَبْحَثِ الْخَبَرِ.

٤— صِيغَ العَقُودِ: بِمَا يَدْلِ عَلَيْهَا اصطِلَاحًا مِنَ الْفَاظِ، نَحْوُ: بَعْتُ — اشْتَرَيْتُ  
— مَنْحَتُ — وَهَبْتُ...، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا النَّوْعِ الصِّيغُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِعَقُودِ الزَّوْاجِ أَوِ  
الْمَبَايِعَةِ، نَحْوُ: (زَوْجِتُكَ ابْنِي)، وَ(بِإِعْنَاكَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ)... وَغَيْرُ ذَلِكِ مَا  
يَدْلِ عَلَى مَعْنَى الْعَقْدِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ.

٥— أَسْلُوبُ الرِّجَاءِ: هُوَ طَلْبُ حَصْولِ أَمْرٍ مُحْبَبٍ قَرِيبِ الْوَقْوعِ، وَالْأَدَاءُ  
الْمُوْضِوَعَةُ لَهُ (لَعِلَّ)، أَمَّا الْأَفْعَالُ الَّتِي تَسْتَعْمِلُ فِي هَذَا الْأَسْلُوبِ فَهِيَ: (عَسَى)،  
وَحْرَى، وَالْخَلْوَقُ)، نَحْوُ: «فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْشِ» [الْمَائِدَةُ/٥٢].

وَمَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ بَعْضُ أَفْعَالِ الْمَقَارِبَةِ (كَادَ، وَكَرِبَ، وَرَبَ)، نَحْوُ: رَبُّ أَخْ  
لَكَ لَمْ تَلِدْ أُمَّكَ، وَ(كَمْ) الْخَبَرِيَّةِ، نَحْوُ قَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ:

كَمْ تَطَلُّبُونَ لَنَا عَيْنًا فَيَغْرِيُكُمْ      وَيَكْرِهُ اللَّهُ مَا تَأْثُونَ وَالْكَرْمُ

وَهَذَا الْقَسْمُ، أَيِّ الإِنْشَاءِ غَيْرِ الْطَّلْبِيِّ، أَقْصَاهُ الْبَلَاغِيُّونَ مِنْ دَرَاسَتِهِمْ لِعِلْمِ  
الْمَعْانِيِّ، لَأَنَّ صِيغَهُ لَا تَسْتَعْمِلُ إِلَّا فِي مَعَانِيهَا الَّتِي وَضَعَتْ لَهَا؛ فَالْتَّعَجُّبُ لَا يَفِيدُ إِلَّا  
الْتَّعَجُّبُ، وَالْقَسْمُ لَا يَفِيدُ إِلَّا الْقَسْمُ، أَيِّ أَنَّهُ لَا تَعْلُقُ بِهِ لَطَافَ بِالْبَلَاغِيِّ، هَذَا مِنْ  
نَاحِيَّةِ، وَمِنْ نَاحِيَّةِ ثَانِيَّةٍ فَإِنَّ أَكْثَرَ صِيغِهِ أَخْبَارٌ نَقْلَتْ إِلَى مَعْنَى الإِنْشَاءِ.

ثَانِيًّا: الإِنْشَاءُ الْطَّلْبِيُّ:

إِلَى هَذَا النَّوْعِ يَنْصُرُفُ اهْتِمَامُ الْبَلَاغِيِّينَ وَعَنَائِبِهِمْ؛ فَهُوَ الْمُقَابِلُ لِلْخَبَرِ، وَهُوَ  
الْمَقْصُودُ عِنْدَمَا يَدُورُ الْحَدِيثُ عَنِ الإِنْشَاءِ.

وَقَدْ عَرَّفُوهُ بِأَنَّهُ الْكَلَامُ الَّذِي يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتِ الْطَّلْبِ، أَوْ

هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه.

فإذا قلنا: (يا أحمد أقرأ دروسك، ولا تتوان في أداء واجباتك)، نكون قد استعملنا ثلاثة أساليب إنشائية، هي: النداء، والأمر، والنهي، إلا أنها لا نستطيع أن نحكم على هذه الجمل بالصدق أو الكذب لسببين:

الأول: إنه لا وجود خارجي له قبل النطق به يطابقه أو لا يطابقه.

الآخر: إن مضمونه لا يتحقق إلا بعد النطق به.

ويندرج تحت هذا النوع من الإنشاء خمسة أساليب: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

## ١—أسلوب الأمر

الأمر : طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، حقيقةً كان ذلك الاستعلاء أم ادعائياً، فمثلاً الأول قول المعلم للطالب: (اكتب كذا)، ومثال الثاني، قول الطالب لأساتذته: (افعل كذا) متعالياً لا متواضعاً.

صيغ الأمر:

للأمر أربع صيغ هي:

- ١— فعل الأمر، نحو قوله تعالى: **(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)** [مرعيم/١٢].
- ٢— المصدر النائب عن فعله، مثل قوله تعالى: **(فَسَخَّنَ لِأَصْنَابِ السَّعْدِ)** [الملك/١١].
- ٣— المضارع المقترب بلام الأمر، نحو قوله تعالى: **(وَلَيَكُتبَ لَيْتَكُمْ كَاتِبٌ بِالْقُدْرِ)** [البقرة/٢٨٢].
- ٤— اسم فعل الأمر<sup>(١)</sup>، مثل قوله: «حي على الصلاة حي على الفلاح».

خروج الأمر عن معناه الأصلي إلى أغراض بلاغية:

لم يهتم البلاغيون بأسلوب الأمر من حيث كونه مبحثاً نحوياً يعني طلب الفعل على جهة الاستعلاء، وإنما امتدت نظرتهم لدراسة ما وراء الأمر من أغراض

<sup>(١)</sup> جاء منه ما هو سباعي، مثل: صه، ومه، وآمن، وهاك، ودونك، وإليك، وعندك، وإيه، ورويد، وهاك... وغير ذلك. ومنه ما هو قياسي، وهو ما كان على صيغة (فعالي)، من كل فعل ثالثي مجرد تام ومتصرف، مثل: خلاري، تراك، دراك، نزال.

ولطائف بلاغية، وهذه الأغراض لم تؤدها صيغة الأمر بمفردها، وإنما دلت على ما دلت عليه بمعونة السياق وقرائن الأحوال:  
أما أشهر هذه الأغراض وأكثرها شيوعاً، فهو:

## ١- الدعاء:

هو طلب الفعل من العبد إلى ربِه، كما في قوله تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ  
وَلِيَاً يَرْثِنِي» [مريم/٥-٦]، وقوله: «رَبَّ اغْفِرْ لِي وَلَوْلَتِنِي» [نوح/٢٨].  
ومنه شعراً قول يزيد بن معاوية:  
فيارب ، سو الحب يبني وبينها يكون كفافاً لا على ولا ليا  
ومنه الرجاء وذلك عندما يوجه الأمر إلى من هو أعلى من المتكلم منزلة أو  
قدراً أو علماً أو غير ذلك، كما في قول الشاعر للأمير:  
ثُرِقَ أَيْهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفِقَ بِالْحَانِ عَتَابٌ

## ٢- الاتصال:

وهو طلب فعل صادر من شخص إلى مُساوٍ له قدرًا ومنزلةً وسنًا، نحو قول الشريف الرضي:  
پاراکیان قِفَالی واقضیا وطیری وَخَبْرًا عَنْ مُحَمَّدٍ بِأَخْبَارِ

### **٣— النصح والإرشاد:**

وهو طلب خلا من كل تكليف، فهو أمر في ظاهره، نصّح وموعظة في حقيقته، ولا يكون أمراً ملزماً، من ذلك قول الأم توصي ابنته: (يا بني حافظي على بيتك)، وعليه قوله تعالى: «إِذَا تَدَائِنْتُمْ بِدِينِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» [البقرة/٢٨٢]، ومنه قول الشاعر: شاور ســواكَ إِذَا نــابتــك نــائبــةً يوماً وإنْ كــنتَ مــن أــهــلــالــشــورــات

٤— التهديد:

حين تستعمل صيغة الأمر في معرض عدم الرضا بالأمر به، نحو قول الأم

لولدها: (العب في الشارع)، و(أهل دروسك)، فهي لا تطلب منه الإذعان لأمرها أو تنفيذه؛ بل تهدده بأسلوب غير صريح. ومنه قوله تعالى: «**كُلُوا وَتَمَّثِّلُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ**» [الرسلات / ٤٦]، قوله: «**أَغْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» [فصلت / ٤٠].

وعليه قول جرير في هجاء بني نمير:  
فَصَبَرَا يَا أَتَيْوَسَ بْنَ نَمِيرٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ مُوقَدَةٌ شَهَابَةً

ولعل مما يفيد في إظهار هذا الغرض هو نبرة الصوت التي ترافق طلب الفعل.

#### ٥- التخيير:

ويكون في مقام يفرض فيه اختيار أحد أمرتين لا الجمع بينهما، نحو: (ادرس في كلية العلوم أو الآداب)، أو (تزوج سلمى أو اختها)، إذ لا يحق له شرعاً الجمع بين الأخرين، ومنه شعرأ:

وَعِشْ إِمَّا قَرِينَ أَخْ وَفِي أَمِينِ الْغَيْبِ، أَمْ عِيشَ الْوِحْدَادِ

#### ٦- التسوية:

وترد في مقام تشير فيه إلى أنَّ الأمرتين المطلوب فعلهما سواء، وذلك في مقام توهם التلقى فيه أرجحية أحد الطرفين المتساوين، نحو قوله تعالى: (صدق أو لا تصدق)، ومنه قوله تعالى: «**قُلْ أَنْفَقُوا طَلুَّعاً أَوْ كَرْهَاهُ لَنْ يَتَّقَلَّ مِنْكُمْ**» [التوبه/٥٣] وقوله: «**(ا)صْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**» [الطور/١٦].

#### ٧- التعجيز:

وترد في مقام إظهار عجز المدعى بعمل لا يقوى عليه، إظهاراً لعجزه وضعفه، ورغبة في التحدى، نحو قوله تعالى: «**فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ**» [البقرة/٢٣]، ومنه شعرأ:

أَرِنِي الَّذِي عَانَشَرْتَهُ فَوْجَدْتَهُ مُتَغاَضِيًّا لِكَ عَنْ أَقْلِ عَثَارٍ

وقول الآخر:

أَرْوَنِي بِخَيْلًا طَالَ عُمْرًا يُخْلِيَ وَهَاتَوْا كَرِيمًا ماتَ مِنْ كَثْرَةِ البَذْلِ

## ٨- التمني:

وهو طلب أمر محظوظ لا طمع في حصوله؛ لاستحالته، أو لتعذر تحققه، ويكون في طلب موجه إلى غير العقلاء، نحو قول أبي فراس:  
أيا حارتنا ما أنتَ الدهرُ يبنتا تعالى أقسامك المهموم تعالي

وقول ابن زيدون:

من لو على الثغرِ حيَا كان يحيينا وابن نسيم الصبّان لغة تحيتنا

وقول عترة:

وعمي صباحاً، دار عبلاً، واسلمي يا دار عبلاً بالجواء تكلمي

## ٩- التعجب:

ويكون الأمر تعجبًا حين تستعمل الصيغة في مقام الاستغراب، نحو قوله تعالى: «انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ» [الإسراء / ٤٨].

## ١٠- الإباحة:

ويكون عندما يتوهם المخاطب حظر القيام بالفعل، فيأتي الأمر إذنًا له بفعله، ولا حرج عليه في تركه. وهو مختلف عن التخيير من حيث إن الإباحة يجوز فيها الجمع بين الشيئين، ولا يجوز ذلك في التخيير. من ذلك قوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاتَّقِشِرُوا فِي الْأَرْضِ» [الجمعة / ١٠]، وقوله: «وَإِذَا حَلَّتُمْ فَاضْطَادُوا» [المائدة / ٢].

وعليه قول الشاعر:

مليء بالشاء عليك رطب  
تجدني في الحميم كما تحب فقل ما شئت في، فلي لسان  
وعاملني بإنصاف وظلم

## ١١- التهكم والإهانة:

ويكونان عندما تستخدم صيغة الأمر في مقام الإهانة والسخرية والتقليل من

شأن المخاطب، نحو قوله تعالى: «فَبَشِّرُوهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ» [آل عمران/٢١]، وقوله أيضاً: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَرِيزُ الْكَرِيمُ» [الدّخان/٤٩]. ومن الإهانة قوله تعالى: «قُلْ كُوْلُوا حِجَارَةً أَوْ حَلِيدَاً» [الإسراء/٥٠].

#### ١٢— التحريز:

قيل هو قريب من الإهانة، وقيل لها معنى واحد، ومثاله قول الخطيبية:  
تَخْيِي فَاجْلَسِي مِنَّا بَعِيدًا أَرَاحَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ

#### ١٣— التسخير:

ويكون إذا وجد المأمور نفسه قد تحول دون إرادة منه إلى ما أمر به، نحو قوله تعالى: «كُوْلُوا قِرَدَةً خَاسِيَّيْنَ» [الأعراف/١٦٦]، فتحولوا بقدرة الله إلى قردة دون أن يكون لهم يد في هذا التحول. والفرق بين الإهانة والتسخير أن الأولى لا يحصل فيها المأمور به، أما التسخير فيحصل معه المأمور به.

#### ١٤— التدله:

ويكون في مقام إظهار شدة الحب أو الحزن، فمثال الأول قول ابن الدمينة:  
قِفي يا أمِيمَ الْقَلْبِ نَقْرَا تَحِيَةً وَنَقْضِي الْهَوَى ثُمَّ افْعَلِي مَا بَدَا لِكَ  
ومثال الثاني (إظهار شدة الحزن) قول الشاعر في الرثاء:  
أَرِيقِي الدَّمْعَ وَاحْتِسِي الْمُجُوعَّا وَصُونِي شَمْلَ وَجَدِيكَ أَنْ يَضِيقَّا  
ونبهك هنا إلى أن هذه الصيغ ليست على سبيل الحصر، فهناك صيغ كثيرة يمكن أن تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كما أن هذه الصيغ قد تداخل فيما بينها، ويبقى النص وحده هو الكفيل بالكشف عن ذلك.

## تدریبات محلولة على أسلوب الأمر

— بين موقع الأمر والأغراض البلاغية التي حققها فيما يأتي:

١— قال تعالى: «**فَالْرَّبُّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَفْرِي وَأَخْلُلْ عَقْدَةَ مَنْ لَسَانِي**» [طه / ٢٥ — ٢٧]

أسلوب الأمر بالأفعال (شرح، ويسير، وأخلل) معناه الدعاء؛ لأن الخطاب أو الأمر موجه إلى الله سبحانه وتعالى.

٢— قال أبو نواس:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ  
وَدَوْنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ  
أسلوب الأمر بالفعلين (دع، وداوني) معناه الالتماس؛ لأن المتكلم يخاطب نبيه، وهو نذله في الرتبة والمنزلة.

٣— اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

أسلوب الأمر بالفعلين (اعمل، واعمل) أفاداً معنى النصح والإرشاد.

٤— وقال غيره في توبیخ آخر ملوك الأندلس:

إِبْكِ مِثْلَ النِّسَاءِ مُلْكًا مُضَاعًا  
لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ الرِّجَالِ  
أسلوب الأمر في البيت هو الفعل (إبك) معناه التوبیخ، توبیخ المخاطب على ما فرط وأضاع من ملك وسيادة.

٥— قال ابن الدمينة:

أَبْلَغَ أُمِيمَةَ أَنِي لَسْتُ نَاسِيَهَا  
وَلَا مُطِيعًا بِظَهَرِ الْغَيْبِ وَاثِبَهَا  
صيغة الأمر بالفعل (أبلغ) معناها التدله؛ لأن السياق يشير إلى رغبة الشاعر في

إظهار شدة حبه وشغفه بمحبوبته.

٦— وقال آخر:

عُرِجَ عَلَى الرَّوْضِ بَا نَدِيمِي  
وَمَلَ إِلَى ظِلِّهِ الظَّاهِلِ  
أَسْلَوبُ الْأَمْرِ بِالْفَعْلِينَ (عُرِجَ، وَمَلَ) يُفِيدُ الاتِّسَامَ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يُشَيرُ إِلَى أَنَّهُ  
يُخَاطِبُ صَدِيقًا أَوْ نَدِيمًا لَهُ، فَهُوَ نَدِيمٌ لَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْمَنْزَلَةِ.

٧— قال تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَذُوا لَا تَنْفَذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» [الرَّحْمَن / ٣٣].

أَسْلَوبُ الْأَمْرِ فِي الْآيَةِ بِالْفَعْلِ (فَانْفَذُوا) مَعْنَاهُ التَّعْجِيزُ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ فِي مَقَامٍ يُظَهِّرُ  
فِيهِ عَجزَ الْمُدْعَينَ عَلَى تَنْفِيذِ مَا أُمْرِوْبَهُ، وَهُوَ أَنْ يَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ، وَرَغْبَةِ مِنْهُ — عَزْ وَجْلٌ — فِي إِظْهَارِ ضَعْفِهِمْ وَهُوَ أَنْهُمْ.

٨— قال تعالى: «فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» [النُّور / ٣٣].  
أَسْلَوبُ الْأَمْرِ بِالْفَعْلِ (فَكَاتَبُوهُمْ) أَفَادَ مَعْنَاهُ الْإِبَاحةُ، أَيْ إِنَّ اللَّهَ يَأْذُنُ لَهُمْ  
بِمَكَاتِبِهِمْ، وَلَا حَظْرٌ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ لَا حَرجٌ عَلَيْهِمْ فِي تَرْكِهَا.

٩— قال عروة بن الورد:

فَسَرَّ فِي بَلَادِ اللَّهِ وَالْتَّمِسَ الْغَيْنِي  
تَعْشُ ذَا يَسَارَ، أَوْ تَمُوتُ فَتَعْذِرَا  
أَسْلَوبُ الْأَمْرِ بِالْفَعْلِينَ (فَسَرَّ، وَالْتَّمِسَ) أَفَادَ مَعْنَاهُ النَّصْحُ وَالْإِرْشَادُ.

١٠— قال المتنبي:

أَقْلُ اشْتِيَاقاً أَيْهَا الْقَلْبُ رُمَا  
رَأَيْتُكَ تُصْنَفِي الْوُدُّ مِنْ لِيسْ جَازِيَا  
أَسْلَوبُ الْأَمْرِ بِالْفَعْلِ (أَقْلُ ) مَعْنَاهُ التَّمِينُ؛ لِأَنَّهُ يُخَاطِبُ مَا لَا يَعْقُلُ (الْقَلْبُ)،  
وَيَطْلُبُ أَمْرًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ.

١١— وقال آخر:

يَا قَطْرُ عَمَّ دِمْشَقَ وَأَنْصَنْ مَنْزَلًا  
فِي قَاسِيُونَ وَحْلَهُ بَيْتٌ

أسلوب الأمر بالفعل (عم) أفاد التمني؛ لأنّه موجه إلى غير العاقل (القطر)، فهو يتمنى أن يعمّ خير ذلك القطر دمشق، ومن حلّ بهبتهما، جبل قاسيون.

١٢— قال الشاعر القروي (رشيد الخوري):

جَوَدُوا عَلَى صَاحِبِ الْمَلِيُونِ وَارْتَدَعُوا  
عَنْ عَذْلِهِ! فَأَشَدُّ الْفَاقَةِ الْطَّمَعُ

أسلوب الأمر بالفعلين (جودوا، وارتدعوا) أفاد السخرية والاستهزاء.

## تدرییات یطلب حلها

— بین المعانی المستفادة من اسلوب الامر فيما يأتي:

- ١— عش بالشعور وللشعور فإما  
دنياك کون عواطف وشعور  
إن هذا الحب لا يرضي ضميري
- ٢— اکبری عشرين عاماً ثم عودي  
فلسْتُمْ يَا فَرِزْدَقُ بِالرِّجَالِ  
٣— حذُوا كُحلاً وَمَخْمَرَةً وَعَطْسَأْ  
٤— قال تعالى: « رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُكْوَنَا وَكَفَرْ عَنَا سَيْئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ »  
[آل عمران/١٩٣].
- ٥— أولئك آبائي فجئني بهم  
إذا جمعتنا يَا حَرِيرُ الْمَحَامِعِ  
٦— أسيئي بنا أو أحسني لا ملومه  
لدينا ولا مقلية إن تقتلـتـ
- ٧— قال صلی الله عليه وسلم: «فانقووا الله في النساء واستوصوا هن خيراً».
- ٨— فاسْلِمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُمْتَعًا  
بِتَائِبَ الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ

## ٢— أسلوب النهي

النهي : طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، وله صيغة واحدة هي المضارع المسبوق بـ (لا) النافية الجازمة، نحو قوله تعالى: «**وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَقْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**» [الحجرات/١٢]، ومنه شعرًا قول أبي نواس:

لَا تَبْلُوكُ لِلَّيلِي وَلَا تَطْرُبْ إِلَى هَنْدٍ  
وَاشْرُبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمَراءَ كَالْوَرْدِ  
خروج النهي عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية:

والنهي — شأنه في ذلك شأن أسلوب الأمر — يخرج عن أصل معناه الذي وضع له إلى تحقيق أغراض بلاغية، إذا تختلف فيه الشرطان السابقان، وما الاستعلاء والإلزام كلامها أو أحدهما، وهذه الأغراض يرشد إليها السياق، وتدل عليها قرائن الأحوال، من ذلك:

### ١— الدعاء:

وذلك إذا كان النهي صادراً من العبد لربه؛ تأديباً في هني الذات الإلهية، نحو قوله تعالى: «**رَبَّنَا لَا تُرْغِبْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**» [آل عمران/٨]، وقوله أيضاً: «**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**» [يونس/٨٥].

ويتحقق هذا المعنى الرجاءً إذا كان النهي موجهاً من الأصغر إلى الأكبر، كقول النابغة في بعض اعتذارياته:

فَلَا تَرْكَنِي بِالْوَعِيدِ كَائِنِي  
إِلَى النَّاسِ مَطْلُبٌ بِهِ الْفَارُ أَحْرَبُ

## ٢- الالتماس:

وذلك حين يصدر عن شخص إلى مساويه قدرًا ومنزلة، نحو قوله تعالى على لسان سيدنا هارون مخاطبًا سيدنا موسى عليهما السلام: «**لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرُأْسِي**» [طه/٩٤]. ومنه قول ابن زيدون لولادة: **إِذْ طَالَ أَغْيَرَ السَّائِرِينَ لَا تَحْسِبُوا نَأِيكُمْ عَنَا يُعَيِّنُونَا**

## ٣- التهديد:

وهو فهي تلوح فيه معانٍ الوعيد والإندار، فالتهديد لأن المتكلم غير راض بفعل المخاطب. نحو قوله لولدك: (لا تنته عن اللعب)، و(لا تكف عن الشغب). ومنه قوله تعالى: «**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَةِ إِلَّا بِأَيْمَانِهِ أَحْسَنُ**» [الإسراء/٣٤].

## ٤- النصيحة والإرشاد:

وذلك عندما يكون النهي في مقام الإرشاد وإسداء النصيحة، كما في الآيات الآتية:

|   |   |
|---|---|
| <b>فَخَيِّرْ مِنْ إِحْيَا تِيْهِ السُّكُوتُ</b>     | <b>إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِنِّهُ</b>        |
| <b>فَكُلُّكُ عُورَاتٍ وَلِلنَّاسِ أَسْنَ</b>        | <b>لِسَائِكَ لَا تَلْفَظْ بِهِ عَزْوَرَةً امْرَأَ</b> |
| <b>فَلَا تَقْنِعْ بِمَا دُونَ النَّحْرِومَ</b>      | <b>إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرْوَمَ</b>            |
| <b>أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَقَالُ هُورُوا</b>      | <b>فَلَا تَنْطِقُوا إِلَّا صَوَابًا فَإِنِّي</b>      |
| <b>قَدْ قُلْتَ حَقًا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ</b> | <b>لَا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُولَعُهُ</b>    |

## ٥- التمني:

ويكثر — كما هي الحال في أسلوب الأمر — في ففي غير العاقل، نحو قول أبي

نواص مادحاً:

يا ناقٌ لا تسامي أو تبلغى ملكاً

تقبيل راحتيه والرُّكْنَن سِيَانٌ<sup>(١)</sup>

وقد يتحقق النهي معنى التمني إذا استعملت الصيغة في التعبير عن أمنية يرغب المتكلم في تحقيقها، بصرف النظر عن حال المخاطب إن كان عاقلاً أم غير عاقل، ومثال ذلك قول ابن الدمينة:

فلا تركي نفسي شعاعاً فإها

من الوجود قد كادت عليك تذوب

فالشاعر، وإن كان يخاطب حبيته من باب الالتماس، إلا أن في نفسه أمنية يطمح إلى تحقيقها وهي رغبته في ألا تدعه مشتاً للضياع، فهو التماس في ظاهره، تمن في جوهره، وهذا يؤكد أن بعض أغراض أساليب الإنشاء قد تتدخل فيما بينها، ويقى السياق وحده هو الكفيل بالكشف عن خفاياها وأسرارها.

#### ٦- التحقيق:

وذلك إذا كان النهي في مقام الخط من منزلة المخاطب وقدره، نحو قول

الخطيئة:

صعب وعش مستريحاً ناعم البال

لا تطلب المجد، إن المجد سلمه

وقول الآخر:

فليس تأكل إلا الميتة الضبيح

لا تخسروا من قتلتم كان ذا رمق

#### ٧- التأنيب والتوبية:

وفيه يحمل النهي معانٍ التوبية على ما صدر من المخاطب من سلوك يشنين صاحبه ويحط من قدره، فهو هي في ظاهره، تأنيب وتوبية في باطنها. ومثاله قوله تعالى: «وَلَا تُقْسِنُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا» [الأعراف/٥٦]، وعليه قول

<sup>(١)</sup> الرُّكْنَن: هو ركن الخطيم بالكة.

أبي الأسود الدؤلي:

عَارٌ عَلَيْكِ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمًا  
لَا تَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ

وقول المتنبي:

حَتَّى يَكُونَ حَشَّاكَ فِي أَحْشَائِهِ  
لَا تَعْذِلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَافِهِ

وقول إيليا أبو ماضي:

مَا أَنَا فَحْمَةٌ وَلَا أَنْتَ فَرْقَدٌ  
يَا أَخِي! لَا تَمِيلْ بِوْجَهِكَ عَنِ

#### ٨- التسلية والتصرير:

وذلك في مقام منح المخاطب شيئاً من التصرير والطمأنينة والمواساة، وبيان أن ما يفعله غير جائز، كقولك لمن يعاني أمراً: (لا تقنط من رحمة الله)، و(لا تعذب نفسك). ومنه قول النمر بن تولب:

فِإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَسَاجِزْتُ  
لَا تَحْزُنْ عَلَيِّ إِنْ مُتَفَسِّاً أَهْلَكْتُهُ

#### ٩- التبييض:

حين تستعمل صيغة النهي في مقام تبييض المخاطب، وبيان أن ما يطلبه لا يمكن الحصول عليه، نحو قول القائل: (لا تحاول الاعتذار قُضي الأمر)، ومنه قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [التحريم/٧]، وعليه قول المتنبي:

لَا تَطْلَبْنَ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْبَتِهِ  
إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَسْدَا حُتَّمُوا

هذه هي بعض الأغراض البلاغية التي يتحققها أسلوب النهي، وقد رأينا الاقتصار عليها؛ لأن في ذكر بعضها إغفاء عن ذكر الباقي.

## تدرییات محلولة على أسلوب النهي

— بين الأغراض البلاغية التي حققها أسلوب النهي فيما يأتي:

١— قال جبران خليل جبران:

فإنك لا تدری متى أنت راغب  
ولا تمنعْ ذا حاجة حاء راغبًا  
النهي في قوله (لا تمنعْ) أفاد النصح والإرشاد.

٢— قال عمر بن أبي ربيعة:

فلا تقتلني إنْ رأيْتِ صَبَابِيَّ إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِيَ  
النهي في قوله (فلا تقتلني) يفيد الالتماس؛ لأنَّه موجه إلى حبيبة الشاعر،  
والحبيبة في مرتبة تساوي مرتبة الشاعر، ويتحمل — مع هذا — الاستعطاف.

٣— وقال آخر:

لَا تَعْرِضْنَ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهً بِهَا بَنْدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِهِ  
النهي في قوله (لا تعرضن) معناه التبييس، تبييس المخاطب، ومحاولة ردعه عما  
ينوي القيام به، لاستحالة تحقيقه.

٤— لا تكن يابساً فتكسر، ولا تكن ليماً فتعصر.

النهي في قوله: (لا تكن) أفاد النصح والإرشاد.

٥— قال تعالى: «لَا تَمْدُنْ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» [الحجر / ٨٨].

النهي في قوله (لا تمدنْ) معناه التحقير والتوييج؛ لأنَّ هذا العمل مما يشين

صاحبه ويقلل من قدره.

٦— قال الشاعر:

لَا تَهْيَانِ عَنِ الْبَكَاءِ فَإِنَّهُ  
يُطْفِي لَهِبَ الْجَرْحِ فِي الْأَعْمَاقِ  
النهي في قوله (لا تهيان) موجه إلى رفيقي الشاعر، فهو يفيد الالتماس؛ لأنَّه  
صدر عن شخص إلى مساوته قدرًا ومنزلة.

٧— قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَحَدُّوْ بِطَائِهَ مَنْ دُونُكُمْ لَا يَأْتُوكُمْ  
خَيْلًا» [آل عمران/١١٨].

النهي في قوله: (لا تخدعوا) أفاد النصح والإرشاد.

٨— قال أحمد شوقي:

لَا تَسْمِعُوا لِلْمَرْجِفِينَ وَجْهَهُمْ  
فِمَصِبَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْ جُهَّاهُهُ  
النهي في قوله (لا تسمعوا) معناه النصح والإرشاد.

٩— وقال آخر:

لَا تَلُمْ كُفَّارِي إِذَا السِيفُ تَبَا  
صَحُّ مِنِ الْغَزْمِ وَالدَّهْرُ أَبِي  
النهي في قوله (لا تلم) أفاد الاعتذار والتصرير، وكان الشاعر يريد أن يقنع  
سامعيه بأن لا حيلة له ولا إرادة فيما حدث.

١٠— قال المتنبي:

لَا تلقَ دُهْرَكَ إِلَّا غَيْرُ مَكْتَرِثٍ  
مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَذَنَ  
النهي في قوله (لا تلق) معناه النصح والإرشاد.

١١— يا أيام الشباب لا تنقضي.

النهي في قوله (لا تنقضي) معناه التمني؛ لأنَّه يخاطب غير العاقل، وهو (أيام  
الشباب).

## تدريبات يطلب حلها

— بين المعاني المستفادة من أسلوب النهي فيما يأتي:

- ١— ولا تجلس إلى أهل الدنيا      فإن خلاوة السفهاء تعدي  
شجاع متى يذكر له الطعن يشتتِ  
ألا تبكيان لصخر الندى؟
- ٢— فلا تبلغاه ما أقول فإنه  
أعيبني جودا ولا تحمدا
- ٣— قال تعالى: ( لا تعتذروها فَدَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ) [التوبة / ٦٦].
- ٤— انظر إليهم ولا تعجبك كثرةهم  
فإنما الناس قلوا كلما زادوا  
فما حدا وادث الدنيا بقاء
- ٥— ولا تمرغ لحاذنة الليالي
- ٦— قال حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية تخاطب أبناءها:  
فلا يكلوني للزمان، فإني  
أخافُ عليكم أن تخينَ وفاني

### ٣— أسلوب الاستفهام

الاستفهام: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بواحدة من أدوات الاستفهام الإحدى عشرة، والتي يمكن جعلها حسب الدلالة في ثلاثة زمر:

الأولى: ما يدل منها على التصور والتصديق، وهي المهمزة.

الثانية: ما يدل على التصديق وحده وهي (هل).

الثالثة: ما يدل على التصور وحده، وهي سائر أدوات الاستفهام (من، ما، متى، أيان، أين، كيف، أني، كم، أي).

والتصور هو طلب تعين المفرد، كأن تقول: أخالد نجح أم محمد؟ فأن تكون معرفة أن نجاحاً قد حصل ولكنك تطلب تعين من أسند إليه النجاح، فيقال لك: خالد، أو يقال: محمد.

والتصديق هو طلب إدراك النسبة بين المسند والمسند إليه ثبوتاً أو نفيأ، كنسبة الفعل إلى الفاعل في (أقرأت كتاب سيبويه؟) ونسبة الخبر إلى المبتدأ في (هل العلم مفيد؟) فالسائل هنا يطلب إدراك نسبة القراءة إلى المخاطب أو الفاعل (التاء)، فإن تتحقق هذه النسبة أجب بـ: نعم، وإن لم تتحقق أجب بـ لا، وهذا الأداة إذا استخدمت في معرض الصديق اقتضت أن يكون الجواب عنها بـ نعم أو لا، ما لم تخرج عن معناها الاستنهامياً كما سترى بعد قليل.

المهمزة: وهي أم أدوات الاستفهام، تستخدم في السؤال للتصور أو للتصديق، ويليها المسؤول عنه مباشرة، ففي التصديق تقول: أحضر القاضي؟ فتجاب كما ذكر بنعم أو لا. كما في حديث أبي هريرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام صلّى

الاثنين في صلاة الأربع ركعات (لعلها العصر) وعندما أخبره ذو اليدين بذلك قال الرسول: أصدق ذو اليدين؟ فقال الناس: نعم، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ<sup>أثنين</sup> آخرين. الحديث.

وفي التصور تقول: أدبس في الإناء أم عسل؟ فيعين لك في الجواب واحداً منها (دبس) أو (عسل)، وهنا — في التصور — يذكر بعد المهمزة (أم) تسمى أم المتصلة المعادلة، متصلة لأن ما قبلها متصل بما بعدها أو لأن الاستفهام ينبع على ما بعدها، ألا ترى أنه في (أدبس في الإناء أم عسل؟) قد دخل (عسل) في صيغة السؤال؟ وتسمى المعادلة لأن الكلمة التي تأتي بعدها مباشرة ينبغي أن تعادل جنس الكلمة التي دخلت عليها همزة الاستفهام، إن اسمًا فاسم وإن فعلًا ففعل وإن حرفاً فحرف، لذلك لا يستقيم قوله (أحالد جاء أم ذهب) لأن اللفظ بعد أم فعل واللفظ الذي سُئل عنه همزة الاستفهام اسم، ثم إنك في السؤال المذكور تُسأل عن الفاعل (معنى) وليس عن الفعل، وإنما يستقيم إذا قلت: (أحالد جاء أم محمد) وإذا قلت: (أ جاء محمد أم ذهب) وهكذا: — أزيداً أكرمت أم حالداً؟

— أفي الخالية دبسك أم في الرق؟

— أراكباً جنت أم راجلاً؟

— أَكْرَمْتَ خالداً أم أهْتَهْ؟

قال المثقب العبدى:

|   |                                       |
|---|---------------------------------------|
| أريدُ الخيرَ أَيْهُما يليـنى            | وَمَا أَدْرِي وَقْدَ وَجَهْتُ وَجْهِي |
| أَمَ الشَّرَّ الَّذِي هُوَ يَتَغَيِّـنى | أَلْخَمُ الَّذِي أَنْـسَى أَبْغَـيَهُ |

ثم تأمل الآيات الآتية يتضح لك الأمر:

— (يَا صَاحِبَيِ السَّجْنِ أَرْبَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْفَـهَارُ ) [يوسف/٣٩].

— (تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكَةُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) [التحل/٥٩]. تَتَوَارَى

— (أَلَّهُمَّ أَرْجُلَ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدِي يَنْطِلُّونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَعْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُمْ ثُمَّ كَيْدُونِ فَلَا يُنْظِرُونِ) [الأعراف/١٩٥].

هل:

تستخدم في طلب التصديق فقط، لذلك لا يذكر بعدها أم المتصلة المعادلة لأن ذلك يؤدي إلى التناقض، فالسؤال — (هل) يقتضي جهلك بالحكم، وذكر المعادل بعدها يدل على معرفتك بالحكم فيجتمع في العبارة ذاتها علمك بالحكم وجهلك به، لو قيل: هل أقبل النهار أم أدركت أن الكلام قبل (أم) يدل على جهل السائل بنسبة الأقبال إلى النهار أتحققت أم لم تتحقق، وهي (أم) واللفظ الذي بعدها يدل على معرفته بالحكم وطلبه تعين مفرد، وهذا أوقعه في التناقض.

وعندما ترد (أم) بعد (هل) في الفصيح من الكلام تكون (أم) هذه منقطعة معنى (بل)، فتدل على الإضراب كما في قول قبيلة بنت النضر:

هل يسمع النضر إن نادته  
أم كيف يسمع ميت لا ينطقُ

وكذلك عندما ترد بعد الهمزة التي للتصديق، كما في قول الشاعر:

ولست أبالي بعد فقددي مالكا  
أموي ناءِ أم هو الآن واقعُ

فـ (أم) هنا منقطعة معنى بل، وهي تفيد الإضراب، والإضراب هو الانتقال من شيء إلى شيء أشد منه، والشاعر يتساءل هل الموت بعيد عنه؟ ثم يضرب عمما تسأله عنه ليقول: بل هو واقع الآن، لأنه لا معنى لحياته بعد موت مالك.

بين الهمزة وهل:

أما الهمزة فـ:

أ— تستخدم لطلب التصور والتصديق.

ب— يليها المسؤول عنه مباشرة.

ج— في معنى التصور يلزم بعدها أم المتصلة المعادلة، وإن حذفت مع المعادل  
قدرت، كما في قوله تعالى: **(فَالْأُولَاءِ الَّذِينَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَدْيَةِ إِلَيْهِمْ)**  
[الأنباء/٦٢]، والتقدير: أم غيرك؟

د— يقتضي ذكر المعادل بعدها في معنى التصديق كما في قول الرسول عليه  
الصلوة والسلام: أو مخرجني هم؟.

ه— لا يتقدم عليها حرف العطف، قال تعالى: **(أَلَمْنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ  
رُّبُو)** [هود/١٧]، وقال: **(أَوْ مَنْ كَانَ مِنْنَا فَلَا خَيْرَ لَهُ)** [الأنعام/١٢٢].

و— يجوز حذفها وتقديرها كما في قوله تعالى **(قَالَ فِرْعَوْنَ أَمْنِمْ بِهِ قَبْلَ  
أَنْ أَذْنَ لَكُمْ)** [الأعراف/١٢٣]، أي أمنتهم؟ وفي شعر عمر بن أبي ربيعة:  
لعمُرُكَ ما أدرِي وإن كُنْتَ دارِيَّا  
بسِعِ رَمَيْنِ الْجَسَرِ أَمْ بِشَانِ

والتقدير: أبسع؟

وأما هل:

أ— فستستخدم للتصديق وحده.

ب— لا يذكر بعدها معادل.

ج— إذا دخلت على الفعل المضارع حلصته للاستقبال، فلا يستقيم أن  
تقول: هل تضرب زيداً وهو آخرك؟

د— لا تدخل على الشرط، فلا يستقيم قوله، هل إن جئتني تكرمني؟

هـ— لا تدخل على المضارع المنفي، غالباً يستقيم قوله: هل لم يقبل حالداً؟

و— يكرر أذ يأتي بعدها الفعل: **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ)**

[الإنسان/١]؛ لذلك كان بعضهم يعرب المرفوع بعدها فاعلاً لفعل محنوف: هل  
خالد يحب الخير؟

بينما يمكن أن تدخل المهمزة على الشرط وعلى المضارع المنفي.

سائر الأدوات:

عرفت في النحو أن المهمزة وهل حرفان لا محل لهما من الإعراب، أما سائر  
الأدوات فهي أسماء ذات محل من الإعراب، وكل واحدة منها لها دلالة في  
الاستفهام:

من: يسألها عن العاقل كما في قوله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنِ افْتَرَى عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا» [العنكبوت/٦٨]، وحديث أبي هريرة أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ  
فقال: يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال:  
أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك.

ما: يسألها عن غير العاقل كما في قوله تعالى: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا  
مُوسَى» [طه/١٧]، فالسؤال عن العصا وهي كما ترى شيء غير عاقل، قال  
كثير:

ولا موجعاتِ القلب حتى تولستِ  
وما كنتُ أدرِي قبل عزَّةِ ما البَكَا  
ما: يسألها عن الزمان كما في قوله تعالى: «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ  
إِنْ كُثُرْمَ صَادِقِينَ» [يس/٤٨].

قال الشاعر:

متى يشتفي منك الفؤادُ المعذبُ      وسهم المنيا من وصالك أقربُ  
أيان: أيضاً للزمان، لكنها اختصت بزمن المستقبل وبالسؤال عن العظيم من  
الأمور، قال تعالى: «يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [القيامة/٦]، «يَسْأَلُونَكَ عَنِ  
السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» [الأعراف/١٨٧].

أين: يسألها عن المكان كما في قوله تعالى: «وَيَوْمَ تُخْشِرُهُمْ جَمِيعاً فَمَا  
تَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَئِنَّ شَرَكُوكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعَمُونَ» [الأنعام / ٢٢].

يقول أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس:

فاسأل بلنسيَة ما شَانَ مرسية وأين شاطِة أم أين حَيَانَ  
كيف: يسألها عن الحال كما في قوله تعالى: «وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
المُفْسِدِينَ» [الأعراف / ٨٦].

قال عترة:

كيف المزارُ وقد تربَعَ أهْلُهَا بعنزيتين وأهْلُهَا بالغيلم  
أكى: تستخدم بمعنى كيف، كما في قوله تعالى: «قَالَ رَبَّ أَكى يَكُونُ لِي  
غُلامٌ وَقَدْ يَلْقَنِي الْكَبِيرُ وَأَمْرَأِي عَاقِرٌ» [آل عمران / ٤٠].

قال الحنون:

يقول أنسٌ عَلَى بِحْسُونَ عَامِرٍ يرُوم سلوًا قلتُ أكى لِمَا يَا  
وستستخدم بمعنى من أين كما في قوله تعالى: «قَالَ يَا مَرْيَمُ أَكى لَكَ هَذَا»  
[آل عمران / ٣٧].

كم: يسألها عن العدد كما في قوله تعالى: «قَالَ قَائِلٌ مَنْتَهُمْ كَمْ لَيْشُمْ  
قَالُوا لَبِنَاتٍ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» [الكهف / ١٩].

أي: يسألها عن كل المعاني السابقة، فللعقل ولغير العاقل:  
يا ملاكي وكل شيء لديك  
المعاني التي تخرج إليها أدوات الاستفهام:

قلنا إن الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً، ولكن الاستفهام قد  
يراد منه غير ذلك، فمن المعاني التي يغلب خروج هزة الاستفهام - وهي أم-

الأدوات — إليها:

— الإنكار: في مثل قوله تعالى: «أَتَأْتُونَ الْفَاجِحَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ» [الأعراف/ ٨٠]، والإنكار مع التكذيب كما في «أَضْطَلَنِي النَّاسُ عَلَى الْبَيْنَ» [الصافات/ ١٥٣]، والإنكار مع التوبيخ في مثل قوله تعالى: «فَانظَرْلَهَا حَتَّى إِذَا رَأَكَاهَا فِي السُّبْطَيَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِتَعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا» [الكهف/ ٧١]. وأذكرك هنا بأن المنكر يقع بعد همزة الاستفهام مباشرةً، وكان في الأمثلة السابقة فعلاً، وقد يكون فاعلاً (من حيث المعنى) كما في قوله تعالى: «أَفَلَمْ تُسْمِعْ الصُّمُّ» [يونس/ ٤٢]، وقد يكون إنكاراً للمفعول كما في قوله تعالى: «أَغْيِرْ اللَّهُ أَنْجِذُ وَلِيًّا» [الأنعام/ ١٤].

— التهكم: كما في قوله تعالى: «قَالُوا يَا شَعِيبَ أَصْلَاثُكَ تَأْمِرُكَ أَنْ لَتُشْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» [هود/٨٧]، وكان شعيب عليه السلام كثير الصلاة مواطلاً على العبادة، فلما أمرهم وهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة واستهزءوا

٢—الوعيد: كما في قوله تعالى: (إِنْ مَوْعِدَهُمُ الْصَّابِحُ أَلَيْسَ الصَّابِحُ بِقَرِيبٍ) [هود/٨١].

٣- التقرير: كما في قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نذِيرٌ» [الملك/٨]، فإن الفرض هنا إقراراً لهم بمحاجة النذير، أي قد أتاكم نذير، ومن ذلك قول فرعون لموسى عليه السلام «أَلَمْ تَرَكَبْ فِينَا وَلَيْدًا» [الشعراء/١٨].

أراد فرعون تثبيت هذا المعنى، أي قد ربناك فينا وليديا.

قال حرير مادحاً:

الستم خيرٌ من ركب المطايَا . . . وأندى العالمين بطنونَ راحِ  
وهزة التقرير إذا دخلت على الموجب ثقته كما في قوله تعالى: **(أَلْلَهُ**

أَذِنْ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ》 [يونس/٥٩]، أي لم يأذن لكم، وإذا دخلت على المنفي نفته، ونفي المنفي إثبات، قال تعالى: «قَالَ اللَّمَّا أَقْلَلْتَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا» [الكهف/٧٥]، أي قلت لك ذلك فتحول المنفي إلى إثبات، وأمثلة هذه المهمزة في القرآن الكريم كثيرة وكذا في الفصيح من كلام العرب<sup>(١)</sup>.

٤- التسوية: كما في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوكُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» [البقرة/٦]، فالاستفهام هنا للدلالة على أن إنذار الرسول عليه السلام وعدمه بالنسبة لهم سواء.

أما الأدوات الأخرى فمن المعايير التي تؤديها:

١- النفي: كما في قوله تعالى: «هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ» [الأنعام/٤٧]، أي لا يهلك إلا القوم الظالمون، وفي: «هَلْ جَزَاءُ الْإِخْسَانِ إِلَّا الْإِخْسَانُ» [الرحمن/٦٠]. أي ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان، قال البحترى: هل الدهر إلا غمرة والخلاؤها وشيكًا ولا ضيقه وانفراحها

٢- النهي: كما في قوله تعالى: «أَنْخُشُوتُهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ» [التوبه/١٣]، أي لا تخشوه، قال الشاعر:

أَكَلَ امْرَئٍ تَحْسِبِينَ امْرَءًا وَنَارٌ تُوقَدُ فِي الْلَّيْلِ بِنَارًا  
أَيْ لَا تَحْسِبِي كُلُّ امْرَئٍ امْرَءًا.

٣- الأمر: كما في قوله تعالى: «وَقُلْ لِلَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمَّيْنَ أَسْلَمُتُمْ» [آل عمران/٢٠]، والمعنى: أسلموا، قال الشاعر:  
أَلَا أَرْعَوَهُ لَمَنْ وَلَتْ شَبِيهَهُ وَأَذْنَتْ بِمَشِيبِ بَعْدِهِ هَرَمُ

(١) إذا دخلت همزة الاستفهام على منفي فالجواب يكون بـ (بلى) إيجاباً وإيجاباً وبـ (نعم) سلباً ونفياً، قال تعالى: «الْأَسْتَ بِرَبِّكُمْ كَلُّوا بَلَى» [الأعراف / ١٧٢]، وإذا قلت: ألم يحن وقت الدرس، يكون الجواب بـ بلى قد حصلت - إيجاباً، أو نعم لم يحن نفياً.

أي فليرعو.

٤- التمفي: كما في قوله تعالى: «فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَةٍ فَيَشْفَعُونَا» [الأعراف/٥٣]، أي ليت لنا شفاعة، يقول الشاعر:

هل بالطلول لسائل رد  
أم هل لها بتكلم عهد  
أي ليتها ترد وتنكلم.

٥- التحقيق: فتأخذ الأداة معن (قد) التي قبل الماضي كما في قوله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ» [الإنسان/١]، وقوله: «هَلْ أَتَكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ» [الذاريات/٢٤].

٦- التعجب: كما في قوله تعالى: «وَقَالُوا مَا لِهُنَّا الرَّوْسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» [الفرقان/٧] تعجبوا كيف يأكل الطعام؛ لأنهم أرادوا أن يكون الرسول ملكاً، وتعجبوا من مشيته في الأسواق؛ لأنهم رأوا الأكاسرة والقياصرة والملوك الجبارية يتربعون عن الأسواق، وكان النبي عليه السلام يخالطهم في أسواقهم ويأمرهم وينهاهم<sup>(١)</sup>.

قال النبي في الحسي:

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

٧- التشويق: كما في قوله تعالى: «فَلْ أُرْتَبِكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا شَهْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» [آل عمران: ١٥].

٨- التهويل: كما في قوله تعالى: «الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ» [القارعة/١-٢]، «الْحَادِثَةُ (١) مَا الْحَادِثَةُ» [الحاقة/٢-١].

٩- التعظيم: كما في قوله تعالى: «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» [الرحمن/١٣].

قال طرفة:

إذا القوم قالوا منْ فتي حلّت أنسى  
عنيت فلم أكسل ولم أتبذر

(١) انظر تفسير القرطبي ٥/١٣.

## تدریبات محلولة على بحث الاستفهام

— دل على أسلوب الاستفهام فيما يأتي واشرح المعاني التي أدّها:

١— قال تعالى: «أَلَمْ يَجِدُكَ يَقِيمًا فَأَوْى» [الضحى / ٦].

الاستفهام هنا بالهمزة خرج إلى معنى التقرير، تقرير حقيقة يقُم النَّبِي عليه الصلاة والسلام، وذلك أن أباه مات وعمر النبي ستة أشهر، ثم ماتت أمّه وعمره ثمان سنوات، فكمله عمه أبو طالب.

٢— قال تعالى: «أَلَمْ لَهُلِكِ الْأُولَئِنَ (١٦) ثُمَّ لَتَبْعَثُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» [المرسلات / ١٦—١٧].

الاستفهام بالهمزة هنا خرج إلى معنى الوعيد، وهو وعيد لأهل مكة، والمراد — كما قال الرمخشري: ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثلما فعلنا بالأولين، ونسلك لهم سبيلاً لهم كذبوا مثل تكذيبهم.

٣— قال تعالى: «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» [الواقعة / ٨].

دل الاستفهام بـ (ما) هنا على معنى التعظيم.

٤— قال الشاعر:

أَتَرَكُ إِنْ قَلَّتْ دِرَاهِمُ حَالَدٌ  
زِيَارَةً — هِيَ إِنْ لَلَّهِ مِنْ  
أَسْلُوبِ الاستفهام بالهمزة معناه الإنكار، فالشاعر ينكر على نفسه أن يهجر (حالداً) بعدما ضاقت الدنيا عليه وقل ماله.

٥— قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ ثُنُجِيجُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) ثُوَمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَامِوَالْكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» [الصف / ١٠—١١].

الاستفهام بـ (هل) فيه معنى التسويق، تشويب المؤمنين لمعرفة هذه التجارة  
الرابعة التي تنحيمهم من العذاب، وهي الإيمان بالله ورسوله.

٦— قال تعالى: **(فَلَمْ يَا وَيَلْقَى اللَّهُ وَأَنَا عَجَزْ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)** [هود/٧٢].

الاستفهام بالهمزة هنا معناه التعجب من الإنجاب في هذا العمر، فزوج إبراهيم  
عليه السلام كانت قد طفت في السن هي وزوجها، لذلك قال لها الملائكة:  
أتعجبين من أمر الله؟

## تدرییات یطلب حلها

بین الأغراض البلاعنة التي حققها أسلوب الاستفهام فيما يأتي:

١— قال تعالى: «وَكَيْفَ يُكَفِّرُونَ رَأْلَمْ لَنَلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَلَيَكُنْمُ  
رَسُولُهُ» [آل عمران/١٠١].

٢— قال تعالى: «أَعْنَمَ اللَّهُ لِذَنْعَوْنَ» [الأنعام/٤٠].

٣— أَيْدِي الرَّبِيعُ أَيْ دِمْ [هـ] وَأَيْ قُلُوبُ هَذَا الرَّكِبِ شَقا

٤— أَنْ الرَّوْلَة، مَلِ أَنْ السَّحْرُومُ وَمَا  
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذْبٍ؟

٥— هَذِهِ الظَّهُولَةُ لِ سُقْمٍ وَإِعْيَاءٍ حَتَّامَ أَبْقَى وَقَدْ مَاتَ الْأَصْحَاءُ؟

٦— قال تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلَّ أَمْمَةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ  
شَهِيدًا» [النساء/٤١].

٧— قال تعالى: «كَيْفَ لَكَلَمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» [مرثيا/٢٩].

٨— مَالِ لِرَاكُمْ لَنْكِرُونَ مَكَانِي وَالشَّمْسُ لَا تُنْفِي مَعَ الإِشْرَاقِ؟

٤—أسلوب التمني

**المعنى:** طلب أمر محظوظ لا يتوقع حصوله لأحد أمرين:

١— إما لاستحالة الحصول عليه، نحو قوله تعالى: «يَا لَيْتَنَا لَرَدُّ وَلَا لَكَذْبٌ  
بِآيَاتِ رَبِّنَا» [الأنعام/٢٧].

٢— وإنما لكونه صعب المنال، غير مطروح في نيله، كقوله تعالى: « يَا لَيْتَ  
كُلَّا مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَارُونُ » [القصص/٧٩]، وقول أبي فراس عذابياً سيف الدولة:  
فليتكم تخلو والحياة مريرة وليتكم ترضي والأذ ام غضباب  
فالمعنى هنا مما يمكن تحقيقه، لكنه صعب المنال، بعيد الواقع.

أدوات التمني:

الأداة الموضوعة للتميي هي (ليت)، لكن ثمة أدوات أخرى تشتراك معها في طلب التميي، وأهم هذه الأدوات: هل، ولو، ولعل.

١- هل: الأصل في (هل) أنها حرف للاستفهام، لكنها تخرج عن هذا المعنى الذي وضعت له لتحقيق معنى التمني، وذلك لغرض بلاغي، هو إبراز التمني في صورة المستفهم عنه الممكن الواقعة، وذلك لكمال العناية به، والرغبة فيه.

فلو قلت مثلاً لمن لا تتوقع مساعدته: (هل لك أن تساعدني؟)، تكون قد حملت سؤالك نوعاً من التمني لتحقيق حاجتك. ومن هذا النوع قوله تعالى: **«فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَا لَنَا»** [الأعراف / ٥٣]، وقول الشاعر:

فـ (هل) هنا بمعنى (ليت); أي ليت لنا شفاء، وليت الأرمن اللاتي مضبن  
أيا منزلي سلمى سلام عليكمـ هل الأرمن اللاتي مضبن رواجعـ

رواجع، وهذا من الأمور التي يستحيل وقوعها، لأنهم يعلمون سلفاً أن لا شفاعة لهم، كما أن تلك الأزمات لن تعود ثانية، وقد استعملت (هل) التي يستفهمها عن أمر يمكن الوقع والحصول في موضع (ليت) لإظهار المتنى المستحيل في صورة المستفهم عنه الممكن الوقع؛ لكمال العناية به، والتوفيق إليه.

٢— (لو)، وهي حرف شرط غير جازم، تدل في أصل معناها على امتناع وقوع الشيء؛ لأنها حرف امتناع لامتناع، ومن هذا المعنى يشير التمني لها إلى عزة وقوع المتنى؛ لأن المتكلم يظهره في صورة المنع الصعب الوقع.

من ذلك قوله: (لو أن الحياة تحلو لنا)، معناه: أتمنى أن تحلو الحياة، لكن هذا لم يحدث؛ لأن أصل معنى (لو) هو امتناع الجواب لامتناع الشرط، فإذا ما أكسبناها معنى التمني أفادت أن المتنى عزيز صعب الوقع، والدليل على أن (لو) يعني (ليت) أنها دخلت على ما يستحيل وقوعه؛ فنصب المضارع بعدها بأن المضمرة بعد فاء السبيبة<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النوع أيضاً قوله تعالى: «لَوْ أَنْ لَنَا كُرَّةً فَتَبَرُّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرُّوا مِنْنَا» [البقرة/١٦٧]، وعليه قول مسلم بن الوليد:

واهـ لـأـيـامـ الصـبـاـ وـزـماـنـهـ      لوـ كانـ أـسـعـفـ بـالـقـامـ قـلـيـلاـ  
وقول أبي فراس:

أـقـولـ وـقـدـ نـاحـتـ بـقـرـيـ حـمـامـهـ      أـيـاـ جـارـتـاـ لـوـ تـشـعـرـينـ بـحـالـيـ؟ـ  
أـيـ:ـ لـيـتـ تـشـعـرـينـ بـحـالـيـ.

٣— (لعل): وهي من الأحرف الناسخة، ومعناها للترجح، أي طلب أمر محظوظ يمكن الوقع، لكنها تخرج عن هذا المعنى إذا طلب بها أمر مستحيل الوقع أو

<sup>(١)</sup> ينصب الفعل المضارع بعده مضمراً بعد فاء السبيبة وذلك إذا سبقت بالأمر، أو النهي، أو التمني، أو الاستفهام، أو العرض، أو التحضيض.

صعب المثال؛ فيتمنى لها، وتعطى كذلك حكم (ليت)، وينصب المضارع بعدها على إضمار (أن)، وذلك هدف تحقيق غرض بلااغي هو: إبراز التمني الصعب المثال، أو المستحيل الوقوع في صورة الممكن القريب، دلالة على كمال العناية به، والرغبة فيه.

من ذلك قوله تعالى: «... فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلَّنِي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ...» [القصص/٣٨]، وعليه قول الشاعر:

أَسِيرُ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ      لَعَلَّنِي إِلَى مَنْ قَدْ هُوِيَتُ أَطْمِرُ؟

وقد تستخدم (ليت) في سياق الترجي، وذلك لغرض بلااغي هو إبراز الأمر المتوقع حصوله بصورة المستحيل أو البعيد المثال، من ذلك قول النبي:

فَلَيَتْ هُوَ الْأَحَبَّ كَانَ عَذَلًا      فَحَمِلَ كُلُّ قُلُوبٍ مَا أَطَاقَ

فـ (ليت) هنا بمعنى (العل)؛ لأن المطلوب هنا أمر يمكن مطموعاً في حصوله، وقد آثر الشاعر استعمال (ليت) مع أن المقام لـ (العل) هدف إبراز الأمر المرجو المرتقب الواقع في صورة بعيد الواقع، الذي لا طماعية في الوصول إليه، وذلك لغرض المبالغة في الدلالة على بعد وقوعه.

وبكلمة أخرى: إن المعنى المراد هو الترجي، والأداة المستخدمة هي (ليت)؛ لأن المطلوب هنا يمكن مطموعاً في حصوله.

وألحقوا بأدوات التمني السالفة: (هلا، ولو لا، ولو ما)، وقالوا إنها تضيف إلى معنى التندم والتحضير معنى التبني، فهذه الأدوات إذا ما دخلت على الفعل الماضي أفادت التندم أو التوبيرخ، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التحضير.

مثال ذلك قول عترة:

هلا سألتَ الخيلَ يا بنةَ مالكِ      إنْ كنْتَ جاهِلَةً مَا لَمْ تَعْلَمِي

فـ (هلا) بمعنى لست، أي ليتك فعلت.

وقال تعالى: «لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ» [هود/١٢]

أي ليته أنزل...، وقال أيضاً: «لَوْمَا تَأْبَيْنَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ السَّادِقِينَ» [الحجر/٧]، بمعنى ليتك تأبينا.

## تدريبات محلولة على بحث التمني

— بين المعاني الأصلية المستفادة من صيغ التمني والصيغ المجازية  
التي تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال فيما يأتي:

١— قال الشاعر:

عَلِ الْلَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفِرْقِنَا جَسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُنِي  
(عل) هنا للترجي؛ لأن المطلوب هنا ممكن مطموء في حصوله، والأداة  
مستعملة في أصل وضعها.

٢— قال تعالى: «يَا هَاهَانَ ابْنِ لَيْ صَرْحَادَ عَلَى أَنْلَعَ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ  
السُّمُوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» [غافر/٣٦-٣٧].

(عل) هنا للترجي؛ لأن المطلوب غير مطموء في حصوله، والغرض البلاغي من  
استعمال (عل) في موضع التمني هو إبراز الأمر المستحيل في صورة الممكن.

٣— وقال آخر:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَاحْسِرْهُ بِمَا فَعَلَ الشَّيْبُ  
(ليت) هنا استعملت في أصل وضعها لأن المطلوب مما يستحيل حصوله.

٤— وقال جرير:

وَلَى الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَامُهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشَتَّرِي أَوْ يُرْجِعُ  
(لو) هنا للترجي؛ لأن المطلوب غير مطموء في حصوله، وقد استعملت (لو)

في موضع (ليت) للإشعار بعزة المتمي وإبرازه في صورة الممتنع؛ لأن (لو) تدل في أصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

٥— وقال آخر:

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتُوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِّيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصَرِ الْأَوَّل؟

(ليت) هنا للترجي؛ لأن المطلوب مطموء في حصوله، والغرض البلاغي من استعمال (ليت) في موضع (لعل) هو إبراز المرجو في صورة المستحيل وبالغاً في امتناع الحصول عليه.

٦— قال تعالى: «فَلَوْ أَنْ لَنَا كَرَةً فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» [الشعراء/١٠٢].

(لو) هنا بمعنى (ليت)؛ لأن المطلوب غير مطموء في حصوله، والغرض البلاغي من استعمالها هنا هو الإشعار بعزة المتمي وإبرازه في صورة المستحيل.

٧— قال البوصيري:

لَعْلُ رَحْمَةَ رَبِّيْ حَيْنَ يَقْسِمُهَا تَأْنِي عَلَى حَسَبِ الْعِصَيَانِ فِي الْقِسْمِ

(لعل) هنا للترجي، وهي مستعملة في أصل وضعها.

٨— وقال آخر:

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدْنُو لِي فَأَنْظِمُهَا عَقُودَ مَذْدِجٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِّي

(ليت) استعملت وفق الأصل في ثني أمر متعدد الوقع.

## تدريب يطلب حله

— بين المعاني الأصلية المستفادة من صيغ التعمي والصيغ المجازية  
التي تفهم من سياق الكلام فيما يأتي:

- ١— فللتَّ الليلَ فِيهِ كَانَ شَهْرًا وَمِرْئَةً هَارِةً مِنَ السَّحَابَ
- ٢— أَلَا لَيْتَ شُعْرِي هَلْ أَقُولُ قصْيَّةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَنْعَثُ
- ٣— فللتَّ الشَّامِينَ بِهِ فَلَوْهُ وَلَيْتَ الْعَمَرَ مُذَلَّهٌ فَطَالَ
- ٤— قال تعالى: « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبُّ ارْجِعُوهُ (٩٩) لَقَدِي أَغْمَلُ صَالِحًا » [المؤمنون / ٩٩ — ١٠٠].
- ٥— قال تعالى: « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَكُمْ أَنْ تُكَلِّمَ بِهَا شَيْخَالَكَ » [النور / ١٦].
- ٦— قال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا مِنْ أَنْتُمْ مِثْلَ مَا أَوْيَيْتِ فَارُونَ » [التتصص / ٧٩].

## ٥— أسلوب النداء

النداء: طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء ينوب مناب الفعل (أناي) أو نحوه. والنداء قد يكون طلب الإقبال فيه حقيقة مثل: يا سعاد، يا بُني، وقد يكون حكماً مثل: «يا جمال ألوهي مغة» [سبا/١٠].

وأدوات النداء ثمان: المهمزة — أي — يا<sup>(١)</sup> — آي — أيا — هيا — وا.

وهذه الأدوات — وفقاً للاستعمال — نوعان: المهمزة وأي نداء القريب، وباقى الأدوات لنداء البعيد.

وقد تخرج هذه الأدوات عن أصل معناها الذي وضعت له من حيث القرب والبعد؛ فینادی البعید بأداة نداء القريب، وینادی القريب بأداة نداء البعید للطائفية، من ذلك:

١— قد ينزل البعید منزلة القريب؛ فینادی بالهمزة وأي المختصتين بنداء القريب، وذلك لشدة استحضاره في ذهن المنادي، وكأن هذا البعید في جسده حاضر في قلبه ونفسه، فلا حاجة لمناداته بأدوات نداء البعید. ومن أمثلة ذلك:

أعلى<sup>٢</sup> إن تك بالعراق نسيتني      فأنا بمصر على هواك مقيم

المنادي هنا (علي) بعيد عن المتكلم، وكان مقتضى الظاهر أن ينادي به أحدي أدوات النداء الموضوعة للبعيد، لكنه خرج عن هذا الأصل فناداه بالأداة المختصة بنداء القريب، إشارة إلى قربه من قلبه، وحضوره في خاطره لا يفارقه، فكانه

<sup>(١)</sup> وهي أكثر أحرف النداء استعمالاً، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد، وأنه لا ينادي اسم الله عز وجل إلا بما، وقد تختلف، كما في قوله تعالى: «لوسف أغرض عن هذا» [يوسف/٢٩].

حاضرُ الحسد، ليس ببعيدٍ عن العيان.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر ينصح ولده بعيد عنه:

أَحْسِنْ إِنْ وَاعِظْ وَمَؤَدِّبْ فَافْهَمْ فِيَانِ الْعَاقِلَ الْمُتَّادِبْ

٢— وقد ينزل القريب منزلة البعيد القاصي؛ فينادي بغیر المزرة وأی،  
وذلك لأغراض منها:

أ— تعظيم شأن المنادى، كقولك مخاطباً الأمير وأنت في حضرته: (يا سمو  
الأمير) بدلاً من (أسمو الأمير). ومنه قول أبي نواس:

يَا رَبِّ إِنْ عَظَمْتَ ذَنْبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعَظَمُ

فالمنادى — هنا — قريب من المتكلم؛ بل هو أقرب إليه من نفسه، فهو يغیر  
المزرة وأی؛ للإشعار بأنه جليل القدر، عظيم الشأن، فكان بعد المسافة يفيد ما  
أفاده من علوّ المكانة.

ولمّا معنى آخر يمكن أن يستشف من هذا النداء، وهو أن الشاعر اختار هذه  
الأداة تأديباً منه في خطاب الذات الإلهية ومناداتها.

ب— تحفيز شأن المنادى، فينادي القريب بأداة نداء البعيد احتقاراً وامتنانًا،  
من ذلك قولك لمن بحضورتك: (يا هذا اتعظ)! و(يا هذا لا تنصرف حتى يوذن  
للك)، وعليه قول الشاعر:

أَيَا هَذَا أَنْطَمْعُ فِي الْمَعَالِي وَمَا يَحْظَى بِهِ إِلَّا الرِّجَالُ؟

د— مناداة الغافل، فينزل القريب منزلة البعيد لكونه حاضراً شكلاً، غائباً  
عقلأً، إما لغفلته أو لشروع ذهنه، أو ما سوى ذلك؛ فيعامل بذلك معاملة البعيد،  
فينادي بأداة البعيد، نحو قول الشاعر لمن هو بحضورته:

أَيَا جَامِعَ الدِّينَا لِغَيْرِ بِلَاغِيَةٍ مَنْ تَجْمَعَ الدِّينَا وَأَنْتَ ثَمُوتُ؟

## خروج النداء إلى أغراض بلاغية.

وقد تخرج صيغ النداء عن معناها الأصلي الذي وضعت له، وهو طلب إقبال المتكلم، إلى معانٍ أخرى، تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، من ذلك:

### ١- الزجر واللوم:

كقولك زاجراً ولدك علئي ثاديه: (أبُنِي إِلَى مَنْ تَلَهُ وَالْوَقْتُ يَدَاهِكُ؟)، ومن ذلك قول الشاعر:

أَيُّهَا الْقَلْبُ قَدْ قُضِيَتْ مَرَامِي  
فِي لَامِ الْوَلُوعِ بِالشَّهْوَاتِ

وقول الآخر:

يَا قَلْبَ حَسِيبَكَ مَا قَدْ ذَقْتَ مِنْ حَرَقٍ  
يَا قَلْبَ حَسِيبَكَ مَا قَدْ نَلَتْ مِنْ تَعَبٍ

### ٢- التحسر والتوجع:

ويظهر هذا المعنى جلياً في نداء الأيام السالفة، والمنازل الدارسة، والقبور، والمطابيا وما شابه ذلك، من ذلك قول ابن الرومي:

لِكُثُرِيْ يَا مَنَازِلِيْ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ  
أَفَقْرَتِيْ أَنْتِيْ وَهُنَّ مِنْكِيْ أَوْاهِلُ

### ٣- الحث والإغراء:

ويكون عندما تغيري المنادي بأسم أو لقب أو صفة يحبها أو يستحقها، نحو قولك جندي متعدد: (يا بطل تقدم)، أو قولك: (يا مظلوم تكلم). ومنه شعراً قول المتنبي:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي  
فِيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخُصْمُ وَالْحَكَمُ

وقوله أيضاً:

فَيَأْبَخَرَ الْبَحْرَوْرِ وَلَا أَوْرَى  
وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَشِي

#### ٤- التعجب:

نحو قوله: (يا له من كتاب مفید)، و(يا لها من قصة حمیلة) وعليه قول امرئ القيس:

فیالک من آیلِ کان لجومَةُ  
بکلْ مُعَارِ الفتل شدَت يَذْبَلِ  
وقول الفارعة بنت طريف ترثي أخاها الوليد:

کائِنکَ لم تَجِزَ عَلَى ابن طريف

#### ٥- الاختصاص:

والمقصود هنا ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه وتخصيصه بما تُسَبِّبُ إليه، كقولك: (أنا أعيش العلم أيها الرجل)، تقصد (أنا) لا غيري مختص من بين الرجال بعيش العلم، وعلى هذا فالمقصود بالرجل هنا هو المتكلم وليس من مخاطب، فيصبح المقام مقام فخر، ويحذف حرف النداء.

ويأتي الضمير متبعاً بإحدى الصور الآتية:

١— صورة الاسم المنصوب على الاختصاص سواء أكان معرفاً بـأ، كقولك: (نحن البلاطغين نفجر طاقات الكلام)، أم بالإضافة نحو: نحن أبناء يعرب أعراب الناس لساناً وأنضر الناس عوداً.

٢— أن يأخذ صورة المنداد، إلا أنه لا يجوز إظهار حرف النداء، نحو: (عليك أيتها الأم يتوقف مصير العائلة). أو (علي أيها الطالب اعتمد في حل المسألة).

٣— اسم معرف بالعلمية، نحو: بنا تميماً يكشف الضباب.

فليس المقصود فيما ذكر حقيقة النداء، أي طلب الإقبال؛ لأن المقصود هنا، هو المتكلم نفسه، وليس المخاطب، وهو لا ينادي نفسه، ولا يطلب إقبالها، لذلك حمل قوله على معنى الاختصاص بمعونة السياق.

## ٦- الاستغاثة:

هي النداء وقت نزول الكارثة حقيقة كانت أم مجازاً، والغالب على المستغاث به (المنادى) أن تسبقه لام الخبر الأصلية، وتكون مبنية على الفتح وجوباً. ومثال هذا النوع القول: (يا لله من تجبر الإنسان)، و(يا لصلاح الدين لنجدة فلسطين)، ومنه شرعاً:

يا لقومي، وبما لأمثالِ قومي لناسِ عوهم في ازيدِ  
٧- الندية:

وهو النداء وقت نزول الموت حقيقة كان أم مجازاً، وأكثر ما يستعمل هذا الأسلوب مصدراً بلفظ (وا)، نحو قول الحنون العامري:

فواكيدا من حبَّ مَنْ لَا يُحِبُّ وَمِنْ عَبَرَاتِ مَا لَهُ فَناءُ  
وقول كثير عزة:

فوا عجباً للقلب كيف اعترافه  
وللنفس لما وُطنت كيف ذلتِ  
وقول المتنبي في رثاء حدته:

فوا أَسْفَا أَلَا أَكِبَّ مُقْبَلاً  
لِأَمْسِكِهِ وَالصُّنْدِرِ الَّذِي مُلْقَا حَزْمَا  
٨- العجيب:

وذلك عندما تلصق بالمنادى ما يشعره برفع منزلته لديك، ومحبتك  
واهتمامك به، نحو قوله: يا حبيبي، يا صديقي، يا حياني، يا بنبي... .

٩- التضجر والتعجب:

نحو قول الشاعر:

يا هوم الحِيَاةِ فَكَسِي إِسَارِي وَأَرْكِسِي لِحَوْمَتِي وَنَفَارِي

وقول الآخر:

يا ليل قد طلت فهل مات السَّاحِر  
أم استحالت شمسه إلى القمر

وأخيراً نقول: إن معانى النداء تتلون — كذلك بتلون السياق ودلالات الإيماء  
التي تضفيها؛ فتكون زحراً، أو استغاثة، أو اختصاصاً، أو إغراء،... أو غير ذلك،  
فالأدلة لم تغير، وإنما تغير المعنى بحسب العبارة التي دخلت عليها. واللاحظ هنا أن  
أسلوب النداء كثيراً ما يرافقه هني أو أمر، ويقال أن تصحبه حملة خبرية أو  
استفهامية.

تنبيه:

ما يجدر التنبيه إليه — وكما ذكرنا — أن الخبر والإنشاء قد يقع أحدهما موقع  
الآخر، فيقع الخبر موقع الإنشاء، ويحل الإنشاء محل الخبر، ولا يتم ذلك إلا ضمن  
ضوابط معينة، وبائران خاصة يدل عليها السياق، ولأغراض بلاغية محددة، وإليك  
تفصيل ذلك:

**أولاً: وقوع الخبر موقع الإنشاء:**

قد يحل الخبر محل الإنشاء لأغراض، منها:

١— التفاؤل، ويكون ذلك باستعمال الفعل الماضي نحو: (رحم الله فلاناً)، أو  
(سدد الله خطاك)، و(عصمك الله من الزيل)... وغير ذلك، فإن هذه الصيغ أخبار  
في ظاهرها، إنشاء في طلبها؛ لأن أصلها: (رب ارحم فلاناً)، وليس سدد الله خطاك...  
وهكذا، فإن استعمال الخبر في موضع الإنشاء هو لإظهار التفاؤل لأن دلالة الفعل  
الماضي تؤكد حصول الأمر.

ومنه شرعاً:

أتاني، أبى اللعن، أنسك لُمْتَنِي      وتلك التي أهتمُ منها وأنصَبُ  
ف نوع الكلام خبر، لكن المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له.  
٢— إظهار الحرص على وقوعه: كقولك لمن يرجو بلوغ هدف: (حقق الله

للك ما تريده)، و(بلغك مرادك)، فيورده بلفظ الماضي قصداً إلى إظهار الرغبة الملحّة، والحرص الشديد على وقوع هذا الأمر.

٣- الاحتراز عن صورة الأمر تأدباً وتلطفاً، كقولك لمن تريده منه حاجة: (يراعي السيد طلي)، و(ينظر المدير في موضوع إجازتي)، فهذا وأمثاله أكثر أدباً وتلطفاً من قولك: راع، وانظر.

٤- جمل المخاطب على المطلوب منه بأسرع السبل، كقولك لصديق لك: (تزوّني غداً، وأطلعك على ما لدى)، فتكون هذه الصيغة قد حملته على تنفيذ المطلوب بالطف السهل وأسرعها.

ثانياً: وقوع الإنشاء موقع الخبر، أي أن ظاهر العبارة إنشاء وحقيقةها خبر، أما أغراضه البلاغية فمنها:

١- إظهار العناية بشأنه، نحو قوله تعالى: «**قُلْ أَمْرِ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**» [الأعراف/٢٩]، فعطّف جملة إنشائية (وأقيموا) على جملة خبرية (أمر ربى)، ولكن أصل المعنى (إقامة وجوهكم)، فهي إنشاء في ظاهره، خبر في حقيقته، ف تكون العبارة: قل أمر ربى بالقسط وإقامة وجوهكم.. أما الغرض من ذلك فهو إظهار العناية بشأن الصلاة، تعظيماً لقدرها، وجليل منزلتها.

٢- الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق، نحو قوله تعالى: «**قَالَ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**» [هود/٥٤]، فعطّف فعل الأمر (ashhadوا) على جملة خبرية (إن أشهد)، لكن فعل الأمر هنا في حقيقته خبر، على معن (إن أشهد الله وأشهدكم أن بريء مما تشركون)، والغرض البلاغي من ذلك هو تحاشي مساواة شهادة الله بشهادتهم.

## تدريبات محلولة على أسلوب النداء

أولاً: بين صيغ النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعها في نداء القريب أو البعيد، وما خرج منها عن ذلك:

١- قال المفضل الضبي:

أَبْنَى لَا تَبْرُدْ وَلِيْس بِعَالِدْ      حَتَّى وَمَنْ تَصْبِبُ الْمَنْوَنْ بِعَهْدْ  
أنزل المنادى البعيد منزلة القريب، فنودي بأداة خاصة بخطاب القريب، وهي المزءة، إشارة إلى قربه من نفسه، وحضوره في خاطره، فكأنه حاضر الجسد ليس بغائب عن عيانه.

٢- قال سوار بن المضرّب:

يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ شَهَادَكَ مَوْعِظَةٌ      أَوْ يُخَدِّثُنَّ لَكَ طُولَ الدَّهْرِ نِسْيَانًا  
أنزل المنادى القريب منزلة البعيد، فنودي بأداة البعيد (يا)، إشارة إلى أن المنادى غافل لا، فكأنه غير قريب.

٣- قال الفرزدق:

أَوْلَئِكَ آبَائِي فَحْنَى بِمِثْلِهِمْ      إِذَا جَهْتَ أَيَا جَرِيرًا الْمُحَامِعَ  
أدأة النداء هنا هي (يا) في قوله (يا جرير)، وقد نودي بما القريب خلافاً للأصل، إشارة إلى أن خطابه جريراً منحط القدر، وضيع الشأن، فكأنه بعده درجة في الانحطاط بعد في المسافة.

٤— قال المتنبي:

أيا رب قد أحسنت عوداً وبذلةٍ  
إلى فلم يتهض بِإحسانك الشكر  
أدأه النداء (أيا) في قوله (أيا رب)، وقد نواديَّها القريب على حلاف الأصل،  
إشارة إلى علو مرتبة النادى.

ثانياً: بين الأغراض البلاغية التي حققها أسلوب النداء فيما يأتي:  
أريحانة العينين والأنسف والخشأ  
الآليت شعرى هل تغيرت من بعدى؟  
النداء بالمحنة في قوله: (أريحانة...) معناه الحث والإغراء؛ لأن الشاعر يناديها  
بصفة محبة يرى أنها تليق بها.

٢— وقال آخر:

دعوك يا كليب فلم تُجسِّي وكيف يُحييني البلدُ القفار  
النداء بـ (يا) في قوله: (يا كليب) يفيد التحسر؛ لأنه ينادي من لم يعد له  
وجود.

٣— وقال آخر:

يا أبا القاسم الذي كنت أرجو ه لدَهْرِي قطعت مستان الرجاء  
النداء بـ (يا) في قوله: (يا أبا القاسم) يفيد التحسر، فهو يتحسر على ذاك  
الرجاء الذي عقده على أبي القاسم.

٤— وقال غيره:

فوا لَهْفي والقَسْرُ يَسِي وَيَسِي على نظرةٍ من تلْكُمُ النظراتِ  
النداء بـ (وا) في قوله (فوا لهفي) معناه الندب، فالشاعر يندب حاله وما آل  
إليه من فراق أحبته فرافقاً لا عودة منه.

٥— قال بشر بن أبي حازم:

فِي الْنَّاسِ لِلرَّجُلِ الْمُغَنَّى  
طَوَالُ الدَّهْرِ إِذْ طَالَ الْحِصَارُ

النداء بـ (يا) في قوله (يا للناس) معناه الاستغاثة، فهو يستغيث طالباً النجدة  
لنصرة ذاك الذي طال حصاره.

٦— وقال آخر:

يَا لَيْلَ الصَّبْ مَىْ غَدَه  
أَقِيمَ السَّاعَةَ مَوْعِدَه

النداء بـ (يا) في قوله: (يا ليل..) معناه التضجر والتحير، فالشاعر طال عليه  
ليله وسهده، وهو يأمل بانفراج قريب، لكن ليله يأتي عليه ذلك.

٧— وقال آخر:

أَعْدَاءُ مَا لِلْعِيشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ  
وَلَا لَخْلِيلٍ بِحَجَّةٍ بَخْلِيلٍ

النداء بالهمزة في قوله: (أعداء) معناه التحسّر، التحسّر على فراقه، وعلى زوال  
كل همجة بغيابه.

٨— قال أبو العلاء المعري:

فَوَا عَجَباً كَمْ يَدْعُونِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ  
وَوَأْسَفَا كَمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلٌ

النداء بـ (وا) في قوله (فوا عجبا) يفيد التعجب، التعجب مما انقلب عليه  
الحال من ادعاء الناقص الفضل، وادعاء الفاضل النقص. وتحتمل كذلك (التدبر)،  
أي يندرج الحال الذي وصل إليه حال البشر.

٩— وقال غيره رائياً:

يَا مَوْتَهُ لَوْ أَفْلَتَ عَثْرَتَه  
يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَهُ لَفَدَ

النداء بـ (يا) في قوله: (يا موتة، يا يومه) معناه الزجر واللوم، فهو يزجر

الموت والأيام، ويلومهما على عدم الرفق والثأري في سلبه هذا الإنسان العزيز.

١٠— وقال آخر:

يا ليلة لست أنسى طيّبها أبداً  
كان كُلُّ سرورٍ حاضرٌ فيها  
النداء بـ (يا) في قوله (يا ليلة) يفيد التحسّر والتوجّع، فالشاعر يتحسّر على  
تلك الليلة وما كان له فيها من همة وسرور، حتى باتت في خاطره، أبداً لا  
تفارقـه.

## تدرییات یطلب حلها

— دل على أسلوب النداء في الأمثلة الآتية، وبين المعاني المستفادة منه:

- ١— قال تعالى: **«وَكُوَّبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ»** [النور/٣١].
- ٢— يا طَاهِرَ البَانِ فَدْ هَيَّجَتْ أَشْحَانِي
- ٣— حَجَبَوْهَا عَنِ الرِّبَاحِ لَأَنِي
- ٤— فِي لَائِمِي دُعِيَ أَغَالِي بِقِيمَتِي
- ٥— يا دَارِ عَاتِكَةٍ حُسْنَتْ مِنْ دَارِ
- وزِدْتِنِي طَرَّابِيَا طَاهِرَ البَانِ  
قُلْتُ يَا رَبِّيْخُ بِلْغِيْهَا السَّلَامَا  
فَقِيمَةٌ كُلُّ النَّاسِ مَا يَحْسَنُونَه  
سَيْرَتُ فِيْكَ وَفِيْمَنْ فِيْكَ أَشْعَارِي

## **الفصل الثاني**

### **أحوال الإسناد**

الجملة — المسند إليه — المسند — المتعلقات بالفعل.

الحذف: حذف المسند إليه — حذف المسند — حذف متعلقات الفعل.

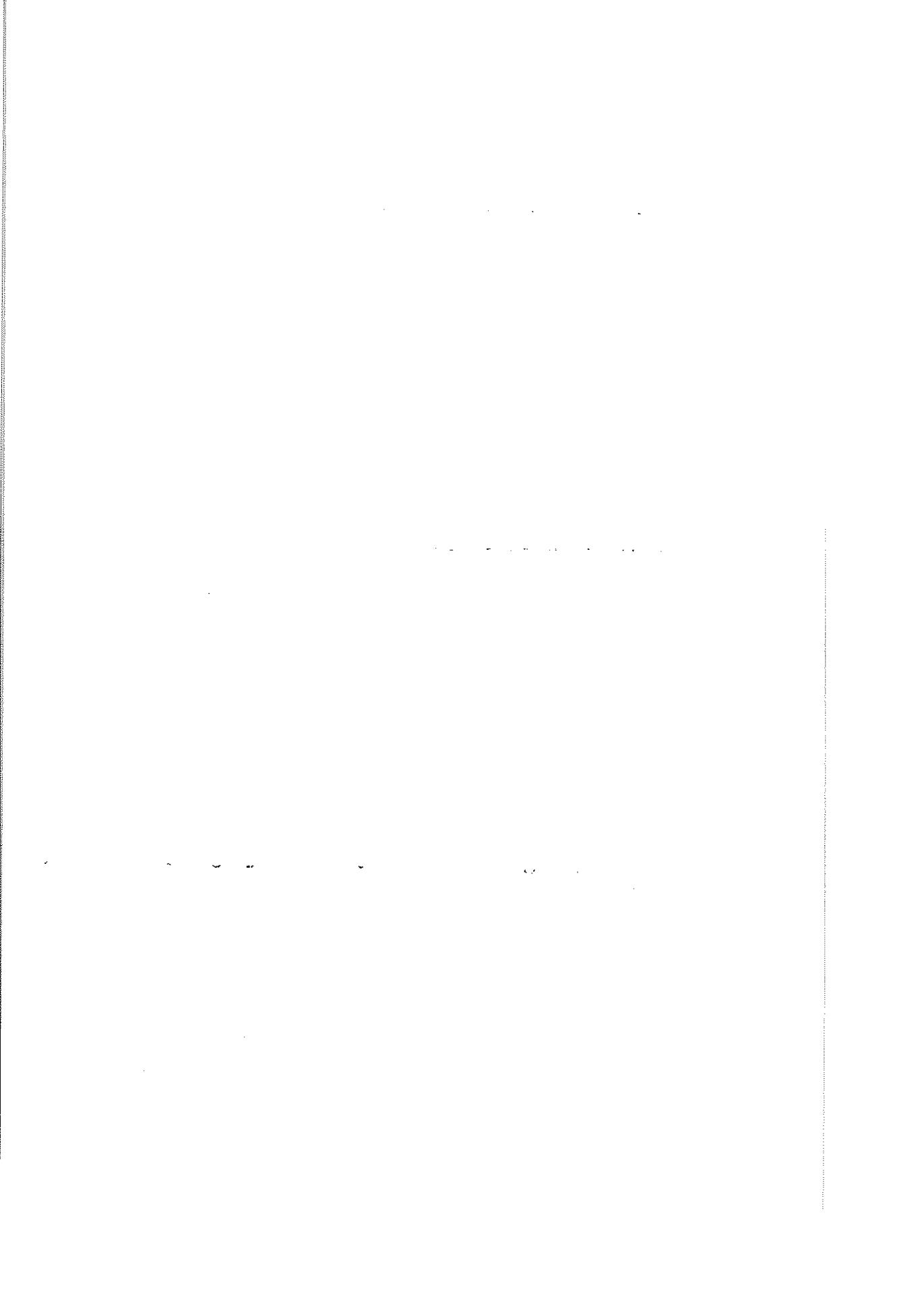
الذكر: ذكر المسند إليه — ذكر المسند — ذكر المتعلقات.

التعريف: تعريف المسند إليه — تعريف المسند.

النفي: نفي المسند إليه — نفي المسند.

التقدير: تقديم المسند إليه — تقديم المسند — تقديم المتعلق بالفعل.

تفيد المسند إليه بالوصف، بالإبدال منه، بتوكيده، بالعطف عليه، ببيانه.



## أحوال الإسناد

المعروف أن الجملة في لغتنا العربية قسمان:

الجملة الاسمية، وهي المؤلفة من المبتدأ والخبر (العلم مفيد) أو من إن واسمها وخبرها كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾** [طه / ١٥].

والجملة الفعلية، وهي التي تبدأ بالفعل كما في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾** [التوبه / ١٢٨].

وقول الشاعر:

أضاعوني وأيَّ فتنَ أضَاعُوا      ليوم كريهة وسداد ثغر؟

ويبين الاسمية والفعلية فرق في المعنى، لأن الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها فإذا قلت: (زيد منطلق) لم يند إثبات الانطلاق لزيد، وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت (انطلق زيد) أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد، وكل ما كان زمانيا فهو متغير، والتغير يشعر بالتجدد، لذلك فإن **﴿يَرْزُقُكُمْ﴾** في قوله تعالى **﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾** [فاطر / ٣]، لا يدل على مجرد كونه — عز وجل — معطيا للرزق، بل على كونه معطيا للرزق في كل حين وأوان، بينما (واسط) في قوله تعالى: **﴿وَكَلَّمُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾** [الكهف / ١٨]، ليس الغرض منه إلا إثبات البساط للكلب دون زمانه<sup>(١)</sup>.

والجملة لا تفيض معنى إلا إذا توفر فيها مسند إليه ومسند، مسند إليه يحکم عليه

<sup>(١)</sup> انظر نهاية الإهaz / ٧٥.

في الكلام، ومسند يحکم به، لذلك سُمي البلاغيون المسند إليه مُحکوماً عليه، وسموا المسند مُحکوماً به.

والنسبة بين المسند إليه والمسند تسمى إسناداً كما عرفت في بحث الخبر، فإذا كانت هذه النسبة حقيقة كان إسناداً حقيقياً، وإذا كانت غير حقيقة كان إسناداً مجازياً، وإليك بيان ذلك:

نقول: (استتبط الخليل قواعد العروض) فالمسند إليه (الخليل) هو الركن الأساسي في الجملة، والمسند هو (استتبط) ولما كانت نسبة الاستباط إلى الخليل حقيقة قلنا: هذا إسناد حقيقي.

ونقول: (بني الأَمْرِ الْمَدِينَةِ) فالمسند إليه (الأمير) والمسند فعل (بني) ولكن نسبة البناء إلى الأمير غير حقيقة لأن الذي بنى بالفعل هم العمال وليس الأمير، وإنما أمر بالبناء فَبَنَى، ولما كانت نسبة البناء إلى الأمير كما قلنا غير حقيقة قلنا إنه إسناد مجازي.

وكذا في الجملة الاسمية نقول: (النهار مضيء) فالمسند إليه (النهار) والمسند (مضيء) ونسبة الإضاءة إلى النهار حقيقة فهو إسناد حقيقي. أما لو قلنا في وصف رجل متبع (نهاره صائم) فالمسند إليه (نهره) والمسند (صائم) لكن نسبة الصيام إلى النهار غير حقيقة لأن النهار لا يصوم وإنما يصوم المرء في النهار، فهو إسناد مجازي.

وقد سُمِّي عبد القاهر الجرجاني — واضح نظرية النظم — الإسناد المجازي المحاز العقلي تارة والمحاز الحكمي تارة أخرى، ومثل له بقول الصلطان العبدى:

أشاب الصغير وأفنى الكبير

وقال: إن المجاز هنا واقع في إثبات الشيب فعلًا للأيام ولكن الليلي<sup>(١)</sup>. وقال البلاغيون في تعريفه هو إسناد الكلام إلى غير ما هو له في الحقيقة، وجعلوا منه قولهم (سرّي الخبر) وأسعدني لقاوكم) وما إلى ذلك. وترى الحديث عن المجاز مفصلاً في كتاب البيان، وإنما يهتم علم المعاني بالحديث عن المسند إليه والمسند وما يلحقهما من ألفاظ في الجملة كالمفعول والظرف وغيرهما.

وقيل الكلام على هذه الأشياء ينبغي أن تعرف مواطن المسند إليه ومواطن المسند في العبارة العربية.

مواطن المسند إليه:

أ— المبتدأ الذي له خبر كما في قوله تعالى: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)** [الفتح/٢٩].

ب— ما كان أصله مبتدأ كما في قول كعب:

إنَّ الرَّسُولَ لَسِيفٌ يَسْتَضِئُ بِهِ مهندٌ مِنْ سَيِّفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ

ج— الفاعل كما في قول بشار:

أَظْنَ الدَّجْى طَلَّتْ وَمَا طَالَتْ الدَّجْى وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلَ هُمْ مَرْحَى

د— نائب الفاعل كما في قوله تعالى: **(فَإِذَا لَفَخَ فِي الصُّورِ لَفْخَةً وَاحِدَةً)** [الحاقة/١٣].

ه— مرفوع المبتدأ المشتق كما في قوله: ما محمود فضلك.

وقول الشاعر:

أَنْجَزْ أَنْتَمْ وَعْدَا وَثَقْتَ بِهِ أَمْ اقْتَفيْتَ جَمِيعاً لَهْجَ عَرْقَوبِ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٢٧، وأسرار البلاغة ص ٣٢٠.

(٢) عرفت في النحو أن (أنتم) هنا فاعل لاسم الفاعل (منجز) وقد سد مسد خبره، فلم يعد (منجز) وهو مبتدأ مشتق بمحاجة إلى خبر وإنما أكفي بمرفوعه.

## مواطن المسند:

أ— الفعل التام كما في قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ)** [الفاتحة/٥].

وقول ابن الوردي:

اعتنى ذكر الأغاني والغزل      وقل الفصل وجائب من هزل

ب— اسم الفعل كما في قوله تعالى: **(فَلَا تَقْلِيلٌ لَهُمَا أَفْ)** [الإسراء/٢٣].

وقول الشاعر:

فهيئاتٌ هيئاتٌ العقيقُ وَمَنْ بَهَ      وهيئاتٌ خلٌ بالعقيق نواصِلَةٌ

ج— خبر المبتدأ كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام (كل تسيحة صلقة، وكل  
تحميصة صلقة).

د— خبر إنَّ و كان كما في قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)** [آل عمران/١٥٥]  
، و قوله تعالى: **(لَيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ لَذِيرًا)** [الفرقان/١].

ه— المبتدأ المشتق المستغنِي عن الخبر كما في قول الشاعر:

أهضروه ليلي على أنْ أزورهـا      ومتَحَذِّذـا لها أنْ تراـنيـا

وقول الشاعر:

أقطـنـ قـومـ سـلـمـيـ أـمـ نـسـوـاـ ظـعـنـاـ      إـنـ يـطـعـنـواـ فـعـجـيبـ أـمـ مـنـ قـطـنـاـ  
وـمـاـ لـيـسـ مـسـنـدـ إـلـيـهـ وـلـاـ مـسـنـدـ مـنـ كـلـمـاتـ الـعـبـارـةـ فـهـوـ قـيـدـ،ـ وـقـدـ يـسـمـيـ فـضـلـةـ كـالـفـاعـلـ  
وـالـتـسـيـزـ وـالـحـالـ وـأـدـوـاتـ الـشـرـطـ وـالـنـفـيـ وـالـبـارـجـ وـالـمـحـرـرـ وـالـظـرـوفـ وـالـتـوـابـ.

وقد تعرض للمسند إليه والمسند والمفعول والظرف وغير ذلك أحوال مثل الخذف والذكر،  
والتقدير والتأنير، والتعريف والتتکير، ستحدث عنها مشيرين إلى أن المسوغات البلاغية التي  
تدعو إلى حذف المسند إليه مثلاً أو ذكره أو تقديمها أو تعريفه قد تكون ذات المسوغات التي  
تدعو إلى تلك الأحوال في المسند وفي غيره، والحديث عنها في موضع يغنى عن الحديث في  
موضع آخر.

## الحذف والذكر

### الحذف

الحذف عند البالغين أحد طرق التعبير التي تترى المعنى وتعمله، لذلك أُوتُوهُ عنابة خاصة، يقول الجرجاني: «هو باب دقيق المسارك لطيف للأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى ترك الذكر أفسح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وبتحذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون ياتاً إذا لم تبن»<sup>(١)</sup>. فهو عنده وجه من وجوه التعبير بهيئ المخاطب متعدة نفسية شبيهة بالسحر، ويحدث عنده تحريكاً للخيال.

وقد اهتم البالغيون بحذف المسند إليه والمسند والمفعول، ورأوا الحمال والروعة تتجلىان في العبارة عندما يحذف ركن من أركانها أو شيء مما يتعلق بها، ووصلوا وراء ذلك داعي بلاغية شيء ومعانٍ مختلفة ولكنهم أدركون أنه يفقد قيمته عندما لا يقوم في العبارة دليلاً عليه إذ يصبح نوعاً من الإلغاز أو التعمية، وليس شيء أبعد عن بلاغة العرب وفصاحتهم مثل الإلغاز والتعمية. ولا يكون الحذف عيناً وإنما وفق شروط حددتها العرب بلغتهم واستبططها البالغيون بمنتهيهم.

#### حذف المسند إليه:

أكثر مواضع المسند إليه حذفًا في الكلام البلجيح الحالة التي يسميها البالغيون القطع والاستئناف، كان أقول لك (عرفت زيداً في المكتبة فوجده رجلاً عجباً للعلم

<sup>(١)</sup> دلائل الاعجاز / ١١٢

شغوفاً بالمطالعة والبحث، أنشدني شعراً له فكان من أجمل ما أنشدتُ، فتى يحب  
الخير ويسعى إليه)، ألا ترى أنني قطعت الكلام عند (أنشدت) واستأنفت بلفظ  
(فتي) مرفوعاً على أنه غير لمبدأ مذوف وتقدير الكلام هو فتي، هذا الحذف جاء  
على القطع والاستئناف، وهو أن يذكروا الرجل ثم يقولوا فتي من صفاته كيست  
وكيت، وهذا كثير في كلامهم وفي شعرهم، تقرؤه في مدحهم كقول إبراهيم بن  
العباس الصولي:

سأشكر عَمِراً ما تراحتْ مِنِّي  
أيادي لم تمنِ وإن هَيَ جَلَتْ  
فَتِي غَيْرِ مَحْجُوبٍ الغَنِيُّ عنْ صَدِيقِهِ  
وَلَا مَظْهَرُ الشَّكُورِ إِذَا النَّعْلُ زَلتْ  
والمراد: هو فتي، فحذف المستند إليه (هو).

وتقرؤه في هجائهم كقول الأقيشر الأسدي في ابن عم له موسى سأله فمنعه،  
وقال: كم أعطيك مالي وأنت تنفقه فيما لا يعنيك، والله لا أعطيك، فتركه حتى  
اجتمع القوم في ناديهما وهو فيهم، فشكاه إلى القوم وذمه، فوثب إليه ابن عممه  
فلطممه، فأنشأ يقول ضمن أبيات:

سريعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِ يَلْطُمُ وَجْهَهُ  
وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعٍ  
حَرِيصٌ عَلَى الدِّينِيَا مُضِيَّعٌ لِدِينِهِ  
وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِعَصِيرٍ  
والمراد: هو سريع، هو حريص.

وتقرؤه في شعرهم وهم يذكرون أطلاهم متشوقين، كقول عمر بن أبي ربيعة:  
اعتداد قلبك من ليلى عوائده وهاج أهواك المكتونة الطلل  
وكل حيران سارٍ ماؤه خضل<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> قوله: لا أنيس به، المعصرات: الرياح العاصفة أو السحاب، أذاع المعصرات به، ذهب به وطمسمه، الحران  
السارى: المرن يجري ليلاً، قال الجرجاني: لا يظن هنا أن (ربيع) بدل من (الطلل) لأن الربيع أكثر من الطلل، والشيء  
يبدل ما هو مثله أو أكثر منه، فاما الشيء من أقل منه ف fasad لا يتصور، الدلال ص ١١٢.

والمراد: هو ربع.

وتقرؤه في غزهم كقول بكر بن النطاح:

العين تبدي الحب والبغض  
وتنظر الإبرام والنقض  
درة ما أنصفتني في المسوى  
ولا رحمة الجسد المنقضى  
غضبي ولا والله يا أهلاها  
أطعم البارد أو ترضي  
والمراد هي غضبي.

ويجذف العرب المسند إليه بعثباً للحشو في الكلام وذلك عندما لا يتحقق من ذكره فائدة.

كأن يكون في حوار الاستفهام كما في قوله تعالى: **«وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطَمَةُ** (٥) **نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ**» [المزمزة/٥-٦]، والمراد: هي نار الله، وقوله تعالى: **«وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَّةُ** (١٠) **نَارٌ حَامِيَّةٌ**» [القارعة/١٠ - ١١] المراد: هي نار.

أو يكون بعد القول كما في قوله تعالى حكاية عن زوج إبراهيم: **«فَصَكَّتْ**  
**وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجَزُ عَقِيمٍ**» [الذاريات/٢٩]، والمراد أنا عجوز، وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وفرعون: **«قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** (٢٣) **قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَئْنَهُمَا**» [الشعراء/٢٣ - ٢٤] والمراد: هو رب، قال الشاعر:

فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يَقَالُ  
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَخْلَ يَسْرِي بِأَهْلِهِ  
وَالمراد: هو بخيل.

أو يكون بعد الفاء الرابطة لحوار الشرط كما في قوله تعالى مشبها الإنفاق في سبيل مرضاته بجهة في ربوة يتضاعف مقصوها: **«فَإِنْ لَمْ يُصْبِهَا وَأَبْلَغْتَهُ** (٢٦٥) **لِنَخَالِطُهُمْ فَلَا خَوْافَكُمْ**» [البقرة/٢٦٥]، والمراد: فهو طلاق، وقوله تعالى: **«وَإِنْ تَخَالِطُهُمْ فَلَا خَوْافَكُمْ**»

[البقرة/ ٢٢٠]، والمراد: فهم إخوانكم.

أو يكون معروفاً لدى المخاطبين فلافائدة من ذكره كما في قوله تعالى: **﴿كُلَا  
إِذَا بَلَقْتِ التَّرَاقِي﴾** [القيامة/ ٢٦]، والمراد: إذا بلغت الروح التراقي، وكما في  
قول حاتم الطائي:

أَمَّا وَيَوْمَ يَغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَسَدِ  
إِذَا حَشِّرْجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ هَا الصَّدَرُ  
وَالْمَرَادُ: حَشِّرْجَتْ الرُّوحُ.

ويجذبون المسند إليه إذا وجدوا أن ذكره لا يتوجه إليه غرض في الكلام، كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ  
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾** [الأنفال/ ٢]، فأنت ترى أن الفعلين (ذكر) و(تلبي) بنياً للمجهول فحذف فاعل كل منهما وهو المسند إليه لعدم تعلق الغرض بشخص الذاكر أو التالي، والمفعول به (الله) و(آياته) صار نائباً للفاعل<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ لَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ﴾** [النحل/ ١٢٦]  
أي بمثل ما عاقبكم الناس به.

ويجذبونه إذا كان همهم منصباً نحو المسند يوجهون المخاطب إليه كما في قوله تعالى: **﴿لَمْ يَلْمِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ لَهَارٍ بِلَاغٍ فَهُلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [الأحقاف/ ٣٥] أي هذا بلاغ، ويكثر هذا النوع من الحذف في الأمور الجسمانية كما في قوله تعالى **﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمْرًا﴾** [الزمر/ ٧١] أي وساق الملائكة الذين كفروا، وقوله تعالى **﴿وَجِيءُ بِهِمْ بِمِثْلِ مَا بِهِمْ﴾** [النحر/ ٢٣] أي وجاء الملائكة الموكلون بذلك بجهنم.

ويجذبون المسند إليه التزاماً بحرفية العبارة أو اتباعاً للاستعمال السوارد عنهم؛

<sup>(١)</sup> المذوق هنا هو فاعل (ذكر) وفاعل (تلبي) أي المسند إليه المفهومي، أما نائب الفاعل (الله) و(آياته) فهو مسند إليه بالفظ لأنه لابد لكل مسند من مسند إليه إلا يكن حقيقياً فالناس عنه.

فالعرب تقول: (رميَّةٌ من غير رام) ونحن إذا أردنا أن نتمثل هذا المثل ونستشهد به نورده بصيغته التي جاء بها من غير أن نذكر المسند إليه المذوف، إذ التقدير: هذه رمية أو هي رمية وكذلك قولهم (شنشنة أعرفها من أترع) <sup>(١)</sup> أي هذه شنشنة.

ومنه حالات أخرى لا يمكن حصرها، والأمر متوقف على حال المخاطب أو على علاقة المتكلم بالمخاطب، وما ذكرناه هنا وما ذكره البلاغيون لا يمكن أن يمثل إحصاء شاملًا لكل الدواعي التي توجب الحذف، وإنما نقدم صوراً ونماذج يمكن أن يهتدى بها ويختذل حذوها، والأمر نفسه يقال في الأحوال التي سنعرض لها كالذكر والتقديم والتأخير والتعريف والتشكير.

#### حذف المسند:

عرفت أن المسند خبر أو فعل، وقد أشار الجرجاني إلى حذف المسند (الخبر) عندما يكون في العبارة (إن) المؤكدة إذ تغنى هذه عن الخبر فيورث حذفه المعنى عمّقاً وتوكيداً كقولهم لمن سأله: هل لكم أحد إن الناس ألب عليكم؟ فيقولون: إن زيداً وإن عمرأ، أي إن لنا زيداً وإن لنا عمرأ، ومنه قول الأعشى:

إِنْ مَحَلَّاً وَإِنْ مَرْتَحَلَّاً وَإِنْ فِي السُّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلَّاً <sup>(٢)</sup>

والتقدير إن لنا في الدنيا ماحلاً ولنا عنها مرتاحلاً، فأنت ترى أن سياق المعنى دل على المذوف وأنت لو ذكرت الخبر لكان في كلامك حشو لا ضرورة له.

ومن دلالة السياق على المذوف ما يُتبع فيه قواعد العرب في كلامهم:  
كحذفهم الخبر بعد (إذا) الفجائية عند من عذها حرفاً كما في قوله: خرجت

<sup>(١)</sup> لأبي أخرم الطائي وكان له ابن عم عاص يقال له أخرم فمات وترك بين فوثبوا يوماً على جدتهم أبي أخرم فادمه، فقال:

إِنْ بَنِيَّ ضَرْبَهُ وَنِي بَنِيَّ الدَّمِ شَنْشَنَةَ أَعْرَفُهَا مَنْ أَشْرَزَهُ

والشنشنة: العادة، وذهبت العبارة مثلاً.

<sup>(٢)</sup> لو اسقطت (إن) لم يمسن الحذف لأكملها الحاضنة له والمكلفة بشأنه، انظر دلال الاعجاز ٢٤٧.

فإذا زيد، أي فإذا زيد بالباب أو فإذا زيد موجود، ولا يصح الحذف إلا إذا أراد المتكلم هذا المعنى ودل السياق عليه، ويتحقق إن لم يرد كما في قوله تعالى: «فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» [بس/٢٩]، وقوله تعالى: «فَإِذَا هِيَ تَضَاءَ» [الأعراف/١٠٨].<sup>(١)</sup>

وبعد (لولا) شريطة أن يكون الخبر كوناً مطلقاً كقول المستضعفين لرؤسائهم الذين استكروا «لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ» [سبأ/٣١] فالمستند وهو خير (أنتم) مخدوف تقديره: موجودون. ومنه قول جرير في رثاء زوجه:

لولا حياءً هـا جـى اـسـتعـبـارـ

ولزرت قـبرـكـ والـحـبـبـ يـزارـ

أما إذا أـرـيدـ التـقـيـدـ فالـواـجـبـ الذـكـرـ كـماـ فيـ قـوـلـكـ: لـوـلاـ القـوـمـ مـحـسـنـونـ هـلـكـ

الـفـقـراءـ.

ويجذفون المستند (الخبر) إذا كان المستند إليه نصاً في اليمين كما في قوله تعالى: «لَعْمَرْكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكْرٍ تَهُمْ يَغْمَهُونَ» [الحجر/٧٢]، والتقدير: لعمرك قسمى، قال لبيد في رثاء أخيه:

لـعـمـرـكـ مـاـ تـدـرـيـ الضـوـارـبـ بـالـحـصـىـ

وـلـاـ زـاجـرـاتـ الطـيـرـ مـاـ اللـهـ صـانـعـ

ويجذفون المستند للالة ملفوظ عليه كما في قوله تعالى واصفاً الجنة «أَكُلُّهَا دائم وظليها» [الرعد/٣٥]، المراد: وظلها دائم، وقد دل عليه ( دائم) الأولى، وقوله تعالى: «الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمُ الطَّيَّابَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ» [المائدة/٥]، والمراد: والمحصنات حل.

قـالـ ضـابـيـ البرـجمـيـ وـهـوـ فيـ السـجـنـ

فـمـنـ يـكـنـىـ بـالـمـدـيـنـةـ رـحـلـهـ

فـإـنـ وـقـيـارـهـ الـغـرـبـ

<sup>(١)</sup> لم يقع الختير بعدها في القرآن إلا مذكورة (المغني) ٨٧.

<sup>(٢)</sup> قيار اسم الفرس أو الجمل، ولعل السر في تقليل قيار على خير إن قصد التسوية بينه وبين الشاعر في التحرر على الأغتراب.

قيار مبتدأ وخبره (المسند) مذوف للدلالة عبر إن عليه والتقدير: وقيار غريب.

وقال جميل:

أتوني فقالوا يا جميل تبدل  
شينة أبداً لا فقلت لعلها  
أي لعلها تبدل فحذف المسند.

ويحذفونه إذا كان واقعاً في جواب لسؤال كما في قوله تعالى «**وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**» [الزخرف / ٨٧]، والتقدير: ليقولن خلقهم الله، بمعنى ذلك في مثل هذا الموضع «**فَلَمَّا كَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْيَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**» [التحريم / ٣].

ويحذفون المسند (ال فعل) إذا جاء مفسراً بمذكور من لفظه كما هي الحال بعد (لو وإن وإذا) الشرطيات وهنا يدل الحذف على معنى الاختصاص وتقوية الحكم.  
فمثلاً (لو) قوله تعالى: «**قُلْ لَوْ أَنْ شَاءْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَمْ سَكُنْتُمْ حَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ**» [الإسراء / ١٠٠]، والتقدير: (لو تملكون تملكون) تكرر الفعل للتخصيص ثم حذف الفعل الأول، ولما حذف انفصل ضميره والمعنى: لو ملك أحد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى لأمررين أحدهما أنه لا بد أن يمسك منها لنفقة وما يعود بمنفعته، والثاني أنه يخاف الفقر ويخشى العدم؛ والله تعالى يتعالى في وجوده عن هاتين الحالتين<sup>(١)</sup>.

قالوا في المثل: لو ذات سوار لطمتي<sup>(٢)</sup>، والتقدير: لو لطمتي ذات سوار لطمتي يدل على ذلك إبراهيم (ذات) فاعلا لفعل مذوف يفسره المذكور.

ومثلاً (إن) قوله تعالى: «**وَإِنْ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا لَشُوزًا أَوْ إِغْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا**» [النساء / ١٢٨]، والتقدير: إن خافت

<sup>(١)</sup> تفسير القرطبي ١٠ / ٣٣٥.

<sup>(٢)</sup> مثل يضرب له بعينيه اللذين.

امرأة بدليل ذكر المفسر (حافت) الآتي.

وقوله تعالى: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِزْنَاهُ» [التوبه / ٦]، أي: وإن استجبارك أحد، وأحد في الآية فاعل لفعل مذوف مفسر بالمذكور وجملة المذكور تفسيرية.

ومثال (إذا) قوله تعالى: «إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَافِرُ انتَهَرَتْ» [الانفطار / ١ - ٢]، والتقدير: إذا انفطرت السماء انفطرت، حذف الفعل (المسند) لدلالة (انفطرت) الثاني عليه، ومنه للمعنى:

وإذا الشیخ قال أَفَ فما ملَّ حیاةً وإنما الضعف ملأ

والتقدير: وإذا قال الشیخ.

وهكذا فلهم يختلفون المسند سواء أكان خبراً أم كان فعلاً اختصاراً للكلام أو زيادة في تقوية الحكم وتوكيده، أو تجنباً للخشوع والتكرار، أو اتباعاً لأساليب العرب وقواعدهم.

حذف متعلقات الفعل:

المراد ب المتعلقات الفعل — كما عرفت — الألفاظ التي ترتبط بالفعل ارتباطاً وثيقاً فلا يكتمل المعنى حتى يقع الفعل عليها، والبالغون عندما يتحدثون عن هذه المسميات، يعنون بالمعنى والظرف<sup>(١)</sup>، ويقيسون عليهما غيرها.

قال الجرجاني: «ال الحاجة إلى حذف المفعول أحسن و اللطائف فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعزب وأظهر»<sup>(٢)</sup>.

وال فعل المتعدي هو الذي يأخذ المفعول لكن قد يكون مراد العرب من استخدام هذا الفعل هو أن يقتصروا على إثبات معنى الفعل للفاعل من غير أن يتعرضوا للذكر

<sup>(١)</sup> الظرف عند البالغين المفعول فيه أو المخار والمحروم.

<sup>(٢)</sup> دليل الإعجاز / ١١٨.

المفعول، وهنا يغدو الفعل المتعدى — من حيث الظاهر — كال فعل اللازم الذي لا يأخذ مفعولاً، لأنه لو تعدد لانتقض الغرض وتبدل المعنى.

ألا ترى أنك إذا قلت: زيد يعطي الدنانير، كان غرضك بيان حسن ماتناوله الإعطاء لا بيان كونه معطياً، أما إذا مدحته فقلت: هو يعطي وينع — مثلاً — بمحذف مفعول يعطي ومفعول يمنع فإن غرضك إثبات معنى الإعطاء للفاعل (المدح)، وهذا الحذف يختزل المبالغة ويطلق الخيال ليبحث عن المفعول فلا يجد له.

تدبر الآن قوله تعالى: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** [الرمر / ٩]، تجده أن المراد: هل يستوي من له علم ومن ليس له علم أي إثبات العلم هؤلاء وعدم العلم هؤلاء، والكلام هنا لا يحتاج إلى ذكر المعلوم (المفعول)، وإنك إذا قدرت فقلت: الذين يعلمون الفقه أو الحديث أو الفلك تكون قد ضيقـت من أفق الفعل وجعلته مقيدة بجهة وليس هذا مقصوداً.

ومن هذا قوله تعالى: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْبَى آمَنُوا وَأَتَقْوَاهُنَّا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخْلَنَاهُمْ بِمَا كَذَبُوا يَكْسِبُونَ)** [الأعراف / ٩٦]، فالمراد إطلاق وصفهم بالتكذيب دون تحصيصهم بما كذبوا به بدليل أنه في موضوع آخر جاء **(وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا)** [يونس / ٧٣].

فالعرب تحذف المفعول إذا كان غرضها إثبات معنى الفعل للفاعل على الإطلاق.

ويحذفونه لدلالة السياق عليه كما في قوله تعالى: **(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُطُ السَّرِزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْبِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [سـبا / ٣٦]، أي لا يعلمون أن الله هو القابض والباسط، ومنه قوله تعالى: **(وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رُّبُوكَ الْحَقُّ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَؤْمِنُونَ)** [الرعد / ١]، أي لا يؤمنون بإنزاله إليك من ربك<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> انظر الاشارة إلى الإيمان / ١٧.

ويحذفونه اختصاراً كما في قوله تعالى: «مَن يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَن يُضْلِلُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْتَشِدًا» [الكهف/١٧]، أي من يهده ومن يضلله، وقوله تعالى: «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» [الفرقان/٤١]، أي بعثه، ومن هذا قولك: أصغيت إليه أي أدنى، وأغضبت عليه أي بصرى.

ويحذفون المفعول إن لم يتعلق بذكره غرض، اقرأ قوله تعالى: «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُوْنِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذَوَّدَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا فَقَالَتَا لَا نَسْتَقِي حَتَّى يُصْبِرَ الرَّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْئٌ كَبِيرٌ» (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثَمَّ قَوْنَى إِلَى الظَّلَلِ فَقَالَ رَبِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» [القصص/٢٣ - ٢٤] تجد أن المفعول حذف في أربعة مواضع لأن المعنى: وجد عليه أمة من الناس يسقون أغناهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا: لا نستقي غمنا، فسقى لهما غنمهما<sup>(١)</sup>، والغرض أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأةين ذود، وأنهما قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقي، فاما ما كان المسقي أغناها أم إيلاءً بذلك أمر لا يتعلق به غرض، ولو قال: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما لجائز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم مثلاً.. يقول الزمخشري: «إن موسى عليه السلام رحم تلکما المرأةين لأنهما كانت على الزياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقיהם إيل»<sup>(٢)</sup>.

ويحذفون المفعول به إذا جعلوا الفعل كنایة عنه، يقول البرقوقي: «وهو أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجري ذكره أو دليل حال، إلا أنك تنسيه نفسك وتخفيه»<sup>(٣)</sup>. ومثاله قول البحترى في المعتز بالله:

<sup>(١)</sup> انظر دلائل الإعجاز/١٢٤.

<sup>(٢)</sup> الكشاف/٣/١٦٢.

<sup>(٣)</sup> انظر حاشيته على كتاب التلخيص/١٢٧.

**شجو حساده وغيظ عداه**      أَن يرِي مبصِّرٌ ويسمع واع  
 مدح الخليفة المعتز ويعرض بال الخليفة المستعين، فحذف مفعول (يرى) ومفعول  
 (يسمع) أي: أَن يرِي مبصِّر محسنه ويسمع واعٍ أخباره وأوصافه، ومعنى البيت:  
 أَن محسن المعتز وفضائله يكفي فيها أَن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه  
 المستحق للخلافة وأن أحداً لا ينبغي أن ينمازعه عليها، فلا يشجي حساده وغيظ  
 عداه مثل أَن يكون ثمة مبصِّر يرى وسامع يعي، ويتمتّي حساده وأعداؤه ألا  
 يكون في الدنيا مبصِّر أو سامع. فكأنَّ فعلَيْ (يرى) و(يسمع) في الشطر الثاني كانا  
 كناية عن المفعول. معنى أنهما دلّاً عليه وهو مجنون.

ويجذبون المفعول به لدفع توهّم إرادة غير المراد أي إذا كان ذكره يوهم غير  
 المقصود، كما في شعر البحترى يمدح أبا الصقر الشيباني يذاكراً حماماً المدوح  
 وصيانته له ودفعه نوائب الزمان عنه:

**وكم ذُدتَّ عني من تحامل حادث**      وسورة أيام حزن إلى العظم  
 أي حزن اللحم إلى العظم، لكن الشاعر أَسقط المفعول (اللحم) لتحقيق غرض  
 في نفسه، فقد خشي — إن ذكره — أَن يتوهّم السامع في البدء غير ما أراد فيتوهم  
 أَن الحزن قبل ذكره ما بعده لم ينته إلى العظم وأنه كان في بعض اللحم، فحذفه  
 ليزيل هذا الوهم.

ثم إن العرب تحذف المفعول به بعد أفعال المشيئة أي في موضع البيان بعد  
 الإيمان، وأمثلة هذا في القرآن الكريم لا تكاد تخلصى.

من ذلك قوله تعالى: «**وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلُّ نَفْسٍ هَذَا هَا**» [السجدة/ ١٣]،  
 أي ولو شئنا هداية الأنفس لآتينا كل نفس هداها.

وقوله تعالى: «**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا**» [آل عمران/ ٢٥٣]، أي ولو شاء الله  
 ألا يقتلوا ما أقتلوا.

ومن الشعر قول طرفة:

فَإِنْ شَتَّ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شَتَّ أَرْقَلْتْ مَخَافَةً مُلْوِيًّا مِنَ الْقَدَّ مُحَصِّدٍ<sup>(١)</sup>

أي إن شئت عدم الإرقال لم ترقل وإن شئت الإرقال أرقلت.

وهذا الحذف من أبلغ الحذف، والكلام الذي بعده يدل عليه، إلا ترى أن حواب الشرط في بيت طرفة (لم ترقل) دل على المفعول المذوف؟ وكذا (أرقلت).

ويجب أن يدل ما بعده عليه، فإنه لا يمكنك في قوله تعالى، مثلاً: «مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضَلِّلُهُ» [الأنعام / ٣٩] تقدير أي مفعول لـ (يشاء) سوى كلمة (ضلالة) التي فهمتها من الجواب (بضلالة) لأنّ تعلق الفعل المذكور بالمفعول المذوف تعلق طبيعياً لا غرابة فيه.

نقول هذا لنتنقل إلى الجهة التي يمتنع فيها مثل هذا الحذف وهي التي يكون فيها تعلق الفعل بمفعوله غريباً كما في قول الخزيمي يرثي أبي الميدان:

ولو شَتَّ أَبَكَى دَمًا لَبَكِيَّهُ      عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّرِيرِ أَوْسَعُ فتعلق فعل (شت) بمفعوله هنا وهو (البكاء دماً) غريب فليس من شأن الإنسان أو ليس من عادته أن يبكي دماً، لذلك امتنع الحذف.

وقد يجذف العرب المفعول مراعاة للنظم في الشعر كما في قول النابغة الذبياني:

شَافِرُهَا الرَّاقُونَ مِنْ سَوَءِ سَهَا      تَلْقَهُ حِينَا وَحِينَا تَرَاجِعُ وَالْمَرَادُ: تَرَاجِعُهُ، لَكِنَ الرُّوِيُّ (العين المشحومة) أَجَأَ الشَّاعِرَ إِلَى حَذْفِ المَفْعُولِ، وَقَدْ يَأْتِي ذَلِكَ مَرَاعَاةً لِلْفَالِصَّلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «فَأَمَّا مَنْ أَغْنَى وَأَثْقَى (٥) وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَتَيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخْلَ وَأَسْتَغْنَى (٨) وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَتَيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)» [اللليل / ٥ - ١٠]

<sup>(١)</sup> يتحدث عن نافته، والإرقال: سرعة السير، والقد: السوط من الجلد، والمصب: المقتول.

فمن الممكن أن يكون مفعول اتفى قد حذف ليتناسب مع (الحسنى) و(اليسرى).  
وربما حذفوا المفعول لاستهجان ذكره كقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيتُ  
منه — أي رسول الله ﷺ — ولا رأى مني» تزيد العورة.

يقول البهاء زهير:

ما قلت أنت ولا سمعت أنا  
هذا حديث لا يليق بنا  
إن الكرام إذا صحبتم لهم  
سترروا القبيح وأظهروا الحسنا  
يريد: ما قلت فحشا أو ما قلت مكروها.

وئمه حالات أخرى لحذف متعلقات الفعل تفهم من سياق العبارة فيها.



## الذكر

اعلم أن ذكر المسند إليه أو المسند أو ما يتبع ذلك من أركان الجملة هو الأصل في التركيب، فمن أين لك أن تفهم — مثلاً — قصد الشاعر:

ورزقك ليس ينقصه التأني وليس يريد في الرزق العنا  
لو حذف المسند إليه (رزقك).

ومن أين لك أن تفهم قصد الشاعر:

إنما الدنيا متاع زائل فاقتصر فيه وحده منه ودع  
لو حذف المسند (متاع).

وهذا الذكر أساس لا يستغني عنه الكلام؛ لأن ذلك يقع في اللبس والإهمام، وقد تتبع البلاغيون الحالات التي يذكر فهي المسند إليه واستنبتوا منها معانٍ مثل: زيادة الإيضاح والتقرير كما في قوله تعالى: **(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)** [آل بقرة/٥]، فـ (أولئك) الثانية — وهي مسند إليه — ذكرت لتقرر أن المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما آتاهم الله ويتؤمنون بما أنزل إلى محمد وإلى من قبله من الأنبياء ويتؤمنون بالأخرة أن هؤلاء أهل للفرح<sup>(١)</sup>.

البرك بلفظ المذكور أو التلذذ بذكره كأن تقول: الله كريم، الله عظيم، الله

<sup>(١)</sup> ليس في (أولئك) الأولى شاهد لأن حذفها يخل بالمعنى، أما الثانية فمن الممكن حذفها وتكون العبارة (أولئك على هدى من ربهم وهم المفلحون)، إلا أنها ذكرت للغرض الذي شرحناه.

حليم، قال الشاعر:

محمدٌ خيرٌ رسل الله كلهم  
والمعروف أن الإنسان يكثر من ذكر مَنْ يحبُّ أو مَنْ يُحْبَّ، قال مالك ابن الريب  
التميمي :

ألا لِي شِعْرٍ هَلْ أَيْسَنَ لِيلَةَ  
فَلِيَتِ الْغَضْنِيَ لَمْ يَقْطُعْ الرَّكْبَ عَرْضَهُ  
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضْنِيِّ لَوْدَنَا الْغَضْنِيَ  
فَالْغَضْنِيَ اسْمَ يُحْبِّ الشَّاعِرِ وَيُحْبَّ إِلَيْهِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَبَعْضِ الْبَيْتِ  
الثَّالِثِ مَسْنَدًا إِلَيْهِ.

بسط الكلام: عندما تلقى صديقاً تحبه، فيسألوك عن أخبارك لا تكتفي بـأن  
تقول له: (بخير)، وإنما تقول على سبيل المثال: (أنا بخير وأهلي بخير وأمورى  
جيدة...) حباً في إطالة الحديث معه.

انظر ما قاله موسى عليه السلام عندما سأله الله عز وجل: «**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**  
**يَا مُوسَى** (١٧) **فَالْهُيَّ عَصَنَاهُ أَتَوْكَأُّ عَلَيْهَا وَأَهْشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَكَيْ فِيهَا**  
**مَارِبٌ أُخْرَى** » [طه / ١٧ - ١٨]. فذكر (هي) - وهي مسند إليه - وكان  
حذفها - لو حذفت - ينسجم والقاعدة التي مرت معاك في حذف المسند إليه  
لأنه واقع في جواب لسؤال، لكن ذكرها رغبة في إطالة الكلام مع مَنْ يُحِبُّ بدليل  
أنه ذكر بعدها (أتوكأ عليها وأهش لها...) وهي أمور لم يُسأَل عنها.

— تعظيم المسند إليه: كما في قول المتنى مادحاً سيف الدولة:

(١) الغضا شعر بيت في الرمل، أرجحى: أسوق أو أحجز، الفلاص جمع قلوص وهي الناقة، والنراحي جمع ناجية وهي السريعة.

فأنت لسوء الدين والله عاقد  
وأنت أبو الهيجا ابن حمдан يا ابنته  
تشابة مولود كريم والد  
الشاهد لفظ (أنت) في الشطر الثاني والثالث إذ كان يمكن أن يقول: فأنت  
حسام الملك ولواء الدين وأبو الهيجاء.. لكن ذكره تعظيمياً.  
وتتبع البلاغيون الحالات التي يذكر في المسند وذكروا منها:

ضعف القرينة: كأن تقول: الجاحظ كاتب والمتني شاعر، فالمسند (شاعر)  
ذكره واحب هنا لأن حذفه يوحي بأن المتني كاتب أيضاً وهذا غير مراد، فالقرينة  
المفهمة في (الجاحظ كاتب والمتني) ضعيفة غير منبعة بشعري المتني، قال حاتم  
الطائي:

أماوي إنَّ المَالَ غَادٍ ورائِحَةٌ  
فأوله شكر وآخره ذكر  
الشاهد (ذكر).

التعريف بجهل السامع أو (المخاطب) وغباءه: كما في جواب إبراهيم عليه  
السلام عندما سأله قومه **(قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْثَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ٦٢)** قال  
**بَلْ فَعَلْتُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** [الأنبياء / ٦٢ - ٦٣] فذكر المسند ( فعله ) وكان حذفه  
— لو حذف — ينسجم بلاغياً والقاعدة التي عرفت في بحث الإنشاء لأنهم سألوه  
عن الفاعل (أنت)، فلو قال (بل كبيرهم) لكان جواباً صحيحاً، لكن أراد أن  
يعرض بجهل هؤلاء السائلين ويتهمهم من غبائهم فلو لم يكونوا كذلك لما اعتقادوا  
أهلاً آلة، ولو كانت تضر أو تنفع لدافعت عن نفسها، فذكر المسند هنا وهو فعل  
(فعله) تعريض بعدم فهمهم وسوء تفكيرهم وضعف اعتقادهم.

إفاده التجدد إذا كان فعلًا والثبوت إذا كان اسمًا، فالفعل يدل على التجدد  
والخدوث ويتضمن الزمن من غير أن يحتاج إلى قرينة ظرفية (أمس - اليوم -  
غداً)، أما الاسم فيفيد الثبوت والاستقرار مجردًا من الزمن.

ولتدرك الفرق بينهما أقرأ قوله تعالى **«إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعٌ لَهُمْ»** [النساء / ١٤٢] أخير عن المنافقين بفعل (يُخَادِعُونَ) أي يخدعون الخداع المرة تلو المرة، وفي ذلك تقييد بالزمن لضعفهم، وأخير عن ذاته — عز وجل — بلفظ (خادع) وهو اسم يفيد الثبوت والقوة والاستقرار.

ومنه قال الشاعر:

كلَّ امرئٍ راجع يوماً لشيمته  
 وإن تخلَّقَ أخلاقاً إلى حين  
 فرجوع المرأة إلى طبعه ونجاته أمر ثابت لذلك جيء بالمسند اسمياً فقيل (راجع)،  
 أما (تخلق) فهو فعل يدل على التجدد والحدوث لأن المرأة يصطنع ذلك اصطناعاً أو  
 يظهر هذه الأخلاق أحياناً.

**إفادة التخصيص بالمسند إليه** كما في قوله تعالى **«لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْنٌ  
 وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»** [البقرة / ١١٤]، فبشرى كأهل مكة الذين كانوا يمنعون المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام ويعنون النبي عليه السلام من الصلاة عند الكعبة لهم في الآخرة عذاب عظيم، وقد أفاد ذكر المسند (هم) هنا التخصيص بالمسند إليه (عذاب) أي أنهم يستحقون هذا العذاب كما استحقوا الهوان والذلة في الدنيا<sup>(١)</sup>. ومن هذا القبيل قول الرسول عليه السلام — في حجة الوداع (إن لسانكم عليكم حقاً، ولكم عليهم حق)، الشاهد في ذكر المسند (لكم).

ورأى البلاغيون في ذكر متعلقات الفعل أن المفعول به إذا ذكر في الكلام كان غرض المتكلم وقوع الفعل عليه كما في قوله تعالى **«وَإِذْ تَجِئُنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَهِّبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْقِطُونَ نِسَاءَكُمْ»** [البقرة / ٤٩]. فإن المراد إفادة وقوع الفعل (يسومون) على المفعول (كم)، والفعل

<sup>(١)</sup> ليس الشاهد في (هم) الأول لأن ذكره أصل هنا وحده يفهم المعنى.

(يذبحون) على المفعول (أبناءكم)، والفعل (يستحiron) على المفعول (نساءكم) وقل  
مثل ذلك في الأبيات التالية:

أحب من الإخوان كل مواتٍ  
ويحافظني حيَاً وبعد مماتي  
فمن لي بهذا ليت أتني وجدته  
تصفحت إخواني فكان أقلهم

وكُلْ غَضِيبُ الْطَّرْفِ عَنْ هَفْوَانِي  
وَيَحْفَظُنِي حَيَاً وَبَعْدَ مَمَاتِي  
فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْمَحْسَنَاتِ  
عَلَى كُثْرَةِ الإِخْوَانِ أَهْلَ ثَقَانِي

وقد يفيد ذكر المتعلق معنى التخصيص كما في قوله تعالى: «وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» [يونس / ٧٣]، فالمراد من ذكر (آياتنا) — وهو متعلق الفعل —  
تخصيص وصفهم بما كذبوا به، ومنه قول الشاعر:

الضاربين بكل أبليس مخدّم والطاععين بجماع الأضفان<sup>(١)</sup>  
فقد قصر المدح على الضاربين بالسيف لا بغierre والطاععين بجماع الأضفان لا  
غيرها وهكذا.

---

<sup>(١)</sup> بجماع الأضفان كتابة عن القلوب.

## تدريبات محلولة على الحذف

اذكر دواعي حذف المسند إليه فيما يأتي:

١— قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «أعطوا الطرق حقها، قيل، وما حقها يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». حذف المسند إليه (المبتدأ) لوقوعه في جواب لسؤال، المراد: حقها غض البصر، أو هو غض البصر، فذكره هنا حشو لافائدة منه لأنه مفهوم من السياق.

٢— قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادُهُمْ إِيمَانًا» [الأنفال/٢].  
حذف المسند إليه (الحقيقة) هو فاعل (ذكر) وفاعل (تلا) لأنه لا يتحقق غرض من ذكره، فالمؤمنون بمجرد أن يذكر اسم الله عز وجل ويلفظ به تفزع قلوبهم لذكره استعظاماً له وهيئاً وإحالاً أيًّا كان الذاكر، وأيًّا كان التالي، لذلك بني الفعلان للمجهول.

٣— قال تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلُ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَرَكَّبُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبَصِّرُونَ (١٧) صُمُّ بَنْكُمْ غُمَيْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [البقرة/١٨].  
حذف المسند إليه (المبتدأ) على سبيل القطع والاستئناف، المراد: هم صم، والغرض ذمهم وتحقيرهم.

٤— قال لبيد:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُ<sup>وَنَّ</sup> إِلَّا وَدَائِعٌ      وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يُرَدَّ الْوَدَائِعُ

حذف المسند إليه (الحقيقي) وهو فاعل ترد مراعاة للقافية، فالروي في القافية  
عين مضمومة، ولا يستقيم أن يقول الشاعر مثلاً: وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يُرَدَّ اللَّهُ الْوَدَائِعُ،  
كما أن الوزن لا يسمح له بذلك.

## تَدْرِيُّبٌ يُطْلَبُ حَلّهَا

السؤال الأول: اشرح الدواعي التي اقتضت حذف المسند إليه أو المسند فيما يأتي:

١— ملوكُ إخْرَوْانِ إِذَا مَا مَدَحُوهُمْ أَحَكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَقَرَبُ

٢— قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ (٨) فَأَمْهَلَهَا وَيْلَةً ﴿ ٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَّةً ﴿ ١٠﴾ تَارِ حَامِيَّةً ﴿ [القلعة/٨— ١١] .

٣— إِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَا وَأَنْتُمْ بَغَةً مَا بَقِيَّا فِي شَقَاقِ

٤— إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا هُوَانًا هَا كَانَتْ عَلَى النَّسْلِ أَهُونًا

السؤال الثاني: اشرح الدواعي التي اقتضت حذف المفعول فيما يأتي:

١— أَنْتُوكَ الَّذِي إِنْ سَرَكَ الْأَمْرُ سَرَهُ وَإِنْ سَاءَ أَمْرٌ ظَلَّ وَهُوَ حَرِينٌ

٢— أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمْرَأَهُ الْأَمْرُ

٣— قال تعالى: ﴿ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضَلِّلُهُ ﴾ [الأنعام/٣٩].

٤— قال تعالى: ﴿ لُعْلَةٌ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَغْشَى ﴾ [طه/٤٤].

٥— قال تعالى: ﴿ وَأَبْصِرُهُمْ فَسَوْفَ يَبْصِرُونَ ﴾ [الصفات/١٧٥].

## التعريف والتتكيّر

المعرفة: ما دل على شيء بعينه، والنكرة: ما دل على شيء لا بعينه، أي إن النكرة يفهم منها ذات المعين فحسب، ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع، والمعرفة يفهم منها ذات المعين، وكونه معلوماً للسامع.

وقد تناول النحاة هذين المبحثين بالدراسة والبحث؛ فتحدوّا عن أشكال التعريف وأنواعه، وبينوا مواضع التتكيّر، لكن دراستهم لم تتجاوز الناحية الإعرابية الشكليّة. أما البلاغيون فقد اخندت دراستهم بعداً أعمق، فلم يكتفوا بذلك، وإنما توغلوا في دراستها من وجهة نظر فنية، فيبينوا أغراضها وأسرارها البلاغية، والطائف التي تؤديها.

### أ— التعريف:

المعرفة خمسة أنواع، أعرّفها بالترتيب: الضمير، العَلَمُ بأ نوعه، اسم الإشارة، اسم الموصول، المخلّ بـ (أـل)، المضاف إلى غير الضمير من المعارف السابقة.

والتعريف يقع في المسند إليه والمسند، وإليك تفصيل ذلك:

### — تعريف المسند إليه:

الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنّه المحكوم عليه، أو لأنّه العنصر الثابت الذي يجب أن يكون معلوماً، وإلا ما كان الحكم عليه بیناً مفيداً.

### أولاً— تعريفه بالضمير:

والتعريف بالضمير يرد في أحد المقامات الثلاثة، وهي: مقام التكلّم، ومقام

الخطاب، ومقام الغيبة، في حال الإفراد والثنية والجمع.

### أ— مقام التكلم:

ويكون عندما يتحدث المتكلم عن نفسه، فيقول: (أنا) في حال الإفراد، و(نحن) في حال الجمع<sup>(١)</sup>، مثل ذلك قوله تعالى: «أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَسَاعْدِنِي» [طه/١٤]، قوله سبحانه: «تَعْنَنْ نَفْصُلُ عَلَيْكُمْ تَبَاهُمْ بِالْحَقِّ» [الكهف/١٣].

ومنه قول حافظ إبراهيم متحدثاً بلسان اللغة العربية:

أَنَّ الْبَحْرَ أَحْشَائِهِ الْتُّرُ كَامِنٌ      فهل سألوا الغواص عن صَدَفَاتِي

ومنه قول الشاعر:

وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لَا سَخِطْنَا      وَنَحْنُ الْأَحْذَنُونَ لَا رَضِينَا

فواضح من إيراد المسند إليه معرفاً بضمير التكلم في البيتين الاعتزاد بالنفس مع الفخر وثمام الفائدة.

### ب— مقام الخطاب:

ويكون حين يتوجه الكلام إلى مخاطب واحد أو أكثر ماثل أمام المتكلم، من ذلك قوله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ أَضْطَفَ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُؤْنِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [البقرة/١٣٢].

ومنه قول أمامة الشعومية تمخاطب ابن الدعينة الشاعر:

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي      وَأَشَمْتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلْوُمُ

وأصل الخطاب أن يتوجه به إلى مشاهد معين، لكنه قد يخرج عن معناه،

فيخاطب:

١— غير المشاهد، إذا كان مستحضرأً في القلب، راسحاً في البال والخاطر،

<sup>(١)</sup> يرى البلاغيون أنه لا فرق بين أن يكون ضمير المتكلم منفصلاً مثل (أنا) أو متصلة مثل (أنتاء...).

فيعامل معاملة المخاطب المشاهد الماثل أمام العيان.

من ذلك قوله تعالى: «أَلَّا مَوْلَانا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة/٢٨٦].

- ٢— مخاطبة غير العين: إذا قُصد تعميم الخطاب، وتوجيهه إلى كل من يتأنى خطابه في أي زمان، وأي مكان، من ذلك:
- (أنت تسأل ونحن نجيب).

— قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ» [الفيل/١].

— قوله أيضاً: «وَلَوْ تُؤْتِي إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاسِكُسُوا رُءُوسَهُمْ» [السجدة/١٢].

وقول النبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً      وحسب المنيا أن يكن أمانياً

وقول المعربي:

فإن خلائق السفهاء تُعدي      ولا تجلس إلى أهل الدنيا

فضمير المخاطب هنا لم يتوجه إلى واحد بعينه، وإنما انتقل من معين مقصود إلى معين غير مقصود، يصلح أن يخاطب به كل من يتأنى خطابه حتى المتكلم نفسه.

٣— مقام الغيبة:

ويكون عندما يقصد التعبير عن الغائب من حيث إنه غائب لتقدير مرجعيه.

ويأخذ تقدم المرجع ثلاثة صور:

١— أن يتقدم لفظاً تحقيقاً، نحو قوله تعالى: «فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بِيَقْنَاتِنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» [الأعراف/٨٧] ومنه قول النبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان      هو أول وهي الحال الثاني

٢— أن يتقدم تقديرًا: نحو قوله: (نعم رجلًا عمرو) عند من يجعلون (عمرو) مبتدأ مؤخراً، والجملة قبله خبراً مقدماً. فالمستند إليه (فاعل نعم الضمير المقدر بـ

هو) يرجع إلى عمرو.

٣— أن يتقدم معنى: إذا دل عليه لفظ سابق من جنسه، أو تومي إليه قرينة حال؛ مثال النوع الأول، قوله تعالى: **(وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَرْجِعُوكُمْ فَأَرْجِعُوكُمْ هُوَ أَذْكَرُ لَكُمْ)** [النور / ٢٨]؛ فضمير الغائب «هو» عائد على معنى الرجوع، المفهوم من قوله (ارجعوا)؛ أي: وإن قيل لكم ارجعوا، فالرجوع أذكي لكم.

ومثال ما كان مرجعه قرينة دلت عليه قوله تعالى: **(حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْجِجَابِ)** [ص / ٣٢]، فإن سياق الكلام الدال على فوات وقت الصلاة يدل على أن التواري للشمس.

وقد لا يسبق ما يدل عليه، كما في ضمير الشأن، نحو قوله تعالى: **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)** [الإخلاص / ١]، وقوله أيضاً: **(فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)** [الحج / ٤٦]، فضمير الغيبة هنا لم يسبق اسم ظاهر يرجع إليه، لذلك يسمى ضمير الشأن أو القصة، ويغلب هذا النوع عند شیوع مرجع الضمير، أو إدعاء أنه شيء معلوم لا يستحق كثيراً من التنبيه، فيكون تقديره في الآية الثانية: «على أنه القصة أو المسألة التي تعرفوها...».

## ٢— تعريفه بالعلمية:

العلم: هو الذي يعين مسماه مطلقاً ويميزه من غيره، فتحن حين نقول: (زيد) أو (عمر) فإما يتعين في ذهن الجماعة الشخص المسمى بمجرد إيراد اسمه.

ويتحقق بالعلم و— عند النهاة — الكنية واللقب، أما الكنية: فهي ما صدر بآب أو أم، كأبي بكر، وأم سلمة. واللقب: وهو ما أشعر ب مدح أو ذم، كزيس العابدين... .

ويؤتى بالمسند إليه معرفاً بالعلمية؛ لأن المقام يقتضي التعريف بالعلم، وأن ثمة مزايا يتحققها العلم دون غيره من المعارف، من ذلك:

١— إحضاره بعينه في ذهن السامع باسم مختص به، لتمييزه من غيره، نحو قوله تعالى: **«قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِلَهُمْ عَصَوْنِي»** [نوح / ٢١]، وقول كعب بن زهير:  
بانت سعاد فقلبي اليوم متسلولٌ متيم إثرها لم يُفْسَدْ مكبولٌ

وقول ابن الرومي في رثاء المغية بستان:

بستان أضحتى الفؤاد في وله  
يا نزهة السمع منه والبصر

٢— لتعظيم المسند إليه أو تحقيره، كما في الكني والألقاب الصالحة لذلك.

فمثالي التعظيم: أقبل أبو الخير، وزارت أم الفضل، وكان الفاروق مثلاً يختذل به.  
ومثال التحقيير: جاءت حمالة الخطيب، وإبليس يحبيل الخير شرا، وأبو جهل  
حارب الإسلام والمسلمين.

٣— للتفاؤل أو التشاوُم: وذلك في الأعلام التي تحمل إيحاءات أو معانٍ في  
التفاؤل أو التشاوُم.

فمثالي الأول: زارنا سعيد، ودعتنا هناء، وأقبلت أم فرح، ووصل أبو النور، فلا  
شك في أن مثل هذه الأسماء توحى بالبشر، وتدعو إلى التفاؤل في قلب من  
يسمعها.

ومثال الثاني: حرب في ضيافتكم، ودموع في طريقها إليكم، والحرّاج في  
دياركم. فإن مثل هذه الأسماء تثير في النفس مشاعر التطير والتشاؤم والنفور.

٤— التبرك باسمه: وذلك في الأعلام التي يتبارك المرء بذكرها، فيحلو له ترددتها  
لما تضفيه على نفس المتكلم من طمأنينة وراحة. من ذلك مثلاً قولك: (الله أعطاني)  
جواباً من سألك: هل أعطاك الله؟ فتأتي بالمسند إليه علماً باسمه المختص به دون  
العدول إلى الضمير وذلك للتبرك بذكره.

٥— التلذذ بذكره: ويكثر هذا في شعر الغزل والنسيب والمدح، إذ يخلو للشاعر  
أن يذكر اسم محبوبته ويرددده؛ ليطلق ما في جوارحه من وجده وصباة. من ذلك

قول مجانون ليلي:

بالله يا طبيات القاع قلن لنا:  
ليلي منكن ألم ليلى من البشر

فمقتضى سياق الحديث أن يقول (ألم هي)، لكنه عدل عن هذا، وأثر إعادة ذكر الاسم ثانية، تلذاً بتردد اسمها.

٦— إظهار التعجب: نحو قولك: على رفع هذه الصنارة، وسعاد حاكت هذا الشوب، وعمرو فاز بالجائزة، فجيء بالمسند إليه معرفاً بالعلمية لغرض إظهار التعجب.

٧— التسجيل على السامع: ويغلب هذا الفرض كثيراً في الفصل بين الخصومات، وتدوين الشهادات أمام القضاء، وتثبيت العقود، وفي الموضع الذي يحتاج فيها إلى إقرار وثبت وتسجيل على السامع، حتى لا يجد إلى الإنكار سبيلاً. مثال ذلك:

— على هذا احتلس الأموال.

— زينب غشت في الامتحان.

— عمر سلب سعيداً ماله.

ونحو قول القاضي لشخص: هل أقرَ عمرو بحقك؟ فيقول: عمرو أقر بحقِّي، فجاء بالمسند إليه علماً، ولم يقل (هو) لثبت الحكم وتسجيله، حتى لا يتأتى له الإنكار فيما بعد.

٣— تعريفه بالإشارة:

والإشارة قد تكون للقريب، مثل: هذا وهذه. وقد تكون للمتوسط، مثل: ذاك. وقد تكون للبعيد، مثل: ذلك، وتلك.

ويؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأغراض، منها:

١— تمييز المسند إليه أكمل تمييز، بإحصاره في ذهن السامع حسناً، نحو قولك: هذا والدي، هذا أستاذ البلاغة...

٢— تعظيم المسند إليه بالقرب أو بالبعد، مثال الأول قوله تعالى: **«إِنْ هَذَا**  
**الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ»** [الإسراء/٩]، فجاء بالمسند إليه اسم إشارة  
للقريب؛ لغرض التعظيم بتزيل قربه المعنوي، وحضوره في النفس والخاطر متصلة  
القرب المكاني.

أما تعظيمه بالبعد، فمثاله قوله حاضر في المجلس: ذلك المهندس الذي خطط  
لبناء السد.

ومنه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز تتحدث عن يوسف — عليه السلام —  
وهو أمامها: **«فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تَتَّقِنِ فِيهِ»** [يوسف/٣٢] ولم تقل فهذا، وهو  
حاضر أمامها، رفعاً لمترنه، وإظهاراً لتميزه في الحسن، وتمهيداً لاستحلاب العذر في  
الافتتان به.

٣— تحبير المسند إليه بالقرب أو بالبعد: مثال الأول قوله: أهذا الذي يغتابك؟  
أهذه التي تخشاها؟ ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان أبي جهل مشيراً إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم: **«أَهَذَا الَّذِي يَذُكُّرُ أَهْلَهُكُمْ»** [الأنباء/٣٦]، وقوله:  
**«وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعْبٌ»** [العنكبوت/٦٤].

ومثال تحبيره بالبعد، قوله لمجلسه في مجلسك: (ذلك البخيل الذي يكنز  
أمواله ولا ينفقها)، (ذلك الواشي الذي أشعل الفتنة بين العائلتين).  
ومنه في القرآن الكريم قوله سبحانه: **«إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَيَاءَهُ»**  
[آل عمران/١٧٥].

٤— القصد إلى التبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جديرة من أجل تلك  
الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة، من ذلك قوله — مثلاً —: العرب الأوائل  
نشروا الحضارة الإسلامية شرقاً وغرباً، وبنوا المراكز الثقافية، وخلفوا لنا تراثاً  
عظيماً، أولئك يستحقون منا كل الإكبار والإجلال.

ومنه قوله تعالى: «**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْقِبَّةِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يُنفِقُونَ**»<sup>(٣)</sup>  
**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقَنُونَ**<sup>(٤)</sup> **أُولَئِكَ عَلَىٰ**  
**هُنَّى مَنْ رَبُّهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَلَحُونَ**»<sup>(٥)</sup> [آل عمران/ ٢ - ٥]، جاء بالمسند إليه اسم إشارة مع  
 أن المقام للضمير؛ بقصد التنبية على أهم أحقياء بسبب تلك الأوصاف التي اتصفوا بها، بما يحيىء  
 بعد اسم الإشارة، من هدایة وفلاح.

**٥- التهديد والإرهاب للمخالفين:** كما في قول رجل في بيعة يزيد: «إذا مات  
 هذا فهذا ( وأشار إلى معاوية ويزيد )، ومن أبي، فهذا ( وأشار إلى سيفه )».«  
 وأخيراً نقول: إن التعريف باسم الإشارة يأخذ معناه من السياق والمقام، فيتلئون  
 بلوغه، فيكون للتعظيم أو للتحقير مع أنه في حقيقته واحد.

#### **٤- التعريف باسم الموصول:**

يعرف المسند إليه باسم الموصول لأغراض كثيرة منها:

**١- عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، نحو قوله متحدثاً**  
 عن شخص قابله، لكنك لا تعرف اسمه: (الذي رأيته يوم أمس في بيتك إنسان  
 فاضل)، ونحو قوله: (الذي استعار الكتاب مني أمس غاب اليوم)، فجيء بالمسند  
 إليه معرفاً باسم الموصول، لعدم علم المخاطب شيئاً عن أحواله سوى الصلة، أي  
 إنه الوسيلة الوحيدة للمعرفة.

**٢- استهجان التصريح بالاسم الدال على ذات المسند إليه إن كان منفراً في**  
 معناه أو لفظه. مثال الأول قول الفقهاء: (الذي يخرج من أحد السبيلين ناقض  
 للوضوء)، ويقصد بالسبعين: القبل والذر، فطوي اسم المسند إليه صراحة لقبه،  
 ولحماية المخاطب من سماعه.

ومثال ما كان منفراً في لفظه: بعض الأسماء التي لا يستحسن ذكرها؛ فيلجم  
 المتكلم عند ذلك إلى التهرب من نطق الاسم الصريح إلى اسم الموصول، من ذلك

— مثلاً — قولك مستعيباً عن ذكر اسم صديق لك يُدعى برغوث، أو كلبي، أو ما شابه ذلك من الأسماء المنفرة، الذي دعاني إلى الحفل صديقي.

٣— زيادة التقرير في الغرض المسوق له الكلام: نحو قولك: يهددنا الذي فتحنا له قلوبنا قبل بيوتنا، وأساء إلينا الذي أكرمناه.

ومنه في القرآن الكريم ما رددته كتب البلاغة من قوله تعالى: « وَرَأَدَةُ الْيَسِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ » [يوسف/٢٣]، فجاء بالمسند إليه اسمًا موصولاً عوضاً عن التصريح باسمها (زليخة)؛ لتأكيد الغرض الذي سبق الكلام من أجله، وهو عفة سيدنا يوسف وزناهته، لأنه كان في بيتها، وأمام عينها، وليس ثمة ما يعيق بينه وبينها. فلو ذكر اسمها الصريح هنا، لما أفاد ما أفاد من هذا المعنى.

ومنه شرعاً:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده      ولا الصباة إلا من يعانيها  
 جاء بالمسند إليه اسمًا موصولاً لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو تأكيد صدقه فيما يدعوه من ألم الصباة والعشق.

٤— التفحيم والتهويل تعظيمياً أو تحفيراً. نحو قولك:

— أصحاب العرب ما أصاهم من الحرور والويلات.

— جاءه من العطایا ما جاءه.

— غمرني من السرور ما غمرني.

ومنه قوله تعالى: « إِذْ يَقْشَى السُّدْرَةَ مَا يَقْشَى » [النجم/١٦]. جاء بالمسند إليه اسمًا موصولاً لغرض التفحيم والتهويل؛ أي شيء عظيم لا يمكن وصفه لشدة أو قوته أو عنقه.

ومن التحفيز قولك: إن الذي يتبع الشيطان خاسر، فالصلة تفيد أن الخير من نوع الخسران.

٥— تشويق المخاطب إلى الخبر ليتمكن في ذهنه: نحو قولك: (الذى أثار موجة من التصفيق حصل على جائزة الجامعة في الأدب)، أو قولك: (الذى أدهشنى قدرة فلان على الخداع). وعليه قول أبي العلاء المعري:

والذى حَسَّرَتِ الْبَرِّيَّةَ فِيهِ حَيْوَانٌ مُسْنَدَّثٌ مِنْ جَمَادٍ

٦— التنبية على خطأ وقع فيه المخاطب أو غيره: نحو قولك لصديفك: (إن الذي تحسبه صديفك أساء إليك)، و(إن التي ظلتها مجتهدة غشت في الامتحان). ومنه قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَذَغُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادَ أَمْثَالُكُمْ» [الأعراف/١٩٤]، ونظيره شرعاً قول عبدة بن الطيب:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوُّتُهُمْ إِخْرَاجُكُمْ يَشْفَعُونِي غَلَيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضْرِعُوا فَالشاعر يحاول — هنا — أن يزيل ما علق في محللة المخاطب (ومخاطبون أولاده) من ثقة هولاء الناس، فأتى بالمسند إليه اسمًا موصولاً ليتحقق ما يريد.

٧— الإيماء إلى تعظيم شأن الخبر أو تحقيقه: وهو أن يتوتى في مطلع الكلام بأمر يساعد الفطن على معرفة نوع الخبر، فإذا ما قلت مثلاً:

— إن الذي يرعى حرمة الناس.

— إن التي تحب لمساعدة الآخرين.

— إن الذي يحافظ على الممتلكات العامة.

تشعر بأنك على دراية وعلم بمعرفة أخبار هذه الجمل حتى قبل أن تلقي على مسامعك، فتعرف أن الذي يرعى حرمة الناس يستحق الإكبار، وأن من تساعد الآخرين لابد أن تناول ثمار عملها.. وهكذا، فإنك تجد نفسك تعرف أخبار المسند إليه دون أن يذكر على مسامعك.

ومن هذا قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ» [غافر/٦٠].

وقول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمِّكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
يَسَّادَ عَالَمَهُ أَعْزَزَ وَأَطْوَلُ

— التهكم بالمسند إليه: نحو قوله:

— الذي يعالج المرضى لا يعرف الطب.

— الذي احتلس الأموال العامة تصب مديراً.

— ومنه قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْتَنُونَ)** [الحجر/٦].

٥— تعريفه بـ (أ) <sup>(١)</sup>:

ويرد المسند إليه معرفاً بـ (أ) لغرضين:

أولاً: الإشارة لها إلى شيء من أفراد الحقيقة، واحداً كان أم أكثر، معهود خارجاً بين المتكلم والمخاطب. وتسمى (لام العهد الخارجي)، وتتألف على ثلاثة أنواع:

أ — لام العهد الخارجي الصريح: وهي التي يتقدمها اسم نكرة مذكورة صراحة، نحو قوله: (كتبت رسالة، لكن الرسالة ضاعت)، و(زارنا ضيف، فأكرمت الضيف)، وعليه قوله تعالى: **(اللَّهُ كَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ كَوْرِهِ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي زُبْجَاجَةِ الزُّبْجَاجَةِ كَأَكْهَا كَوْكَبٌ دَرَّيٌّ)** [النور/٣٥]، جاء المسند إليه: (المصباح — الزجاجة) معرفاً بـ (أ) للإشارة لها إلى معهود خارجاً صريحاً؛ لتقدم ذكرهما صراحة منكرين (مصباح — زجاجة).

ب — لام العهد الخارجي الكنائي: وهي التي لا يتقدم للمعرفة بـ (أ) ذكر صريح، وإنما يتقدم ذكرها كناية، أي مبهماً تعينه القرآن، كقوله تعالى: **(وَلَيْسَ**

(١) هناك من قال إن التعريف هو اللام وحده، وأن الألف زيدت قبلها ليتوصل إلى النطق بالساكن، و(أ) هزفها هزة قطع إذا لم تصل بشيء بعدها، لذلك يجب إظهارها نطقاً وكابة لأنها في هذه الحالة تكون علمًا. التعبو

**الذَّكْرُ كَالْأَنْثَى**» [آل عمران/٣٦]، فجاء بالمسند إليه معرفاً، للإشارة هــا إلى معهود في الخارج عهداً كنائياً، وهو ما استفيد من معنى (ما) في قوله: «**رَبِّ إِلَيْنَا  
لَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**»؛ لأن العتق لخدمة بيت المقدس، هو من اختصاص الذكور دون الإناث.

ـ لام العهد الخارجي العلمي أو الحضوري: وهي ما لا يتقدم لمدخلها ذكر مطلقاً، لا صريحاً ولا كنائياً، ولكنها تطلق إما على حاضر مائل أمام العيان، أو على غائب، لكنه معلوم للمخاطب، مثل النوع الأول، قوله مشيراً إلى حاضر: (أجاد الحاضر في بحثه). ومثال النوع الثاني: قوله: (الأستاذ سيداتر اليوم)، فحيث بالمسند إليه معرفاً ـ (أــلــ) للإشارة هــا إلى معهود في الخارج، وهو معلوم للمخاطب.

وعلى هذا قوله تعالى: «**إِذْ يُبَابِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**» [الفتح/١٨]، وقوله أيضاً: «**إِذْ هُمَا فِي الْقَارِ**» [التوبـة/٤٠]، أي: الشجرة والغار المعهودين. ثالثاً: الإشارة بــ (أــلــ) إلى الحقيقة نفسها، وذلك عندما يكون مدخلها موضوعاً للحقيقة والماهية. وتأتي على ثلاثة أنواع:

ـ لام الحقيقة أو لام الجنس: وهي ما يشار هــا إلى الحقيقة نفسها، دون ما ينطوي تحتها من أفراد، نحو قوله تعالى: «**الْمَالُ وَالْبَنِينَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» [الكهف/٤٦]، وقول المعرــي:

والخِلُّ كَلَامَءُ يَتَدَدِّي لِي ضَمَائِرُ  
        مع الصــفاء وَيُخْفِيــها مــعــ الــكــدرــ  
ومنه كذلك قوله: «الرجال أقوى من النساء».

فحيــء بالمسند إليه في هذه الأمثلة معرفــا بــ (أــلــ) للإشارة هــا إلى الحقيقة نفسها، دون ما ينطوي تحتها من أفراد، أي جنس المال، وجنس البنين، وجنس الخل، وجنس الرجال، وهذا لا ينافي أن يكون بعض أفراد حقيقة النساء ـ مثلاً

— أقوى من بعض أفراد حقيقة الرجال.

ب — لام العهد الذهني: وهي التي يقصد بها فرد منهم من أفراد الحقيقة، إذا قامت القرينة على ذلك، نحو قوله: «المحتاج في ضمائرنا»، فأنت لا تقصد محتاجاً معيناً، بل هو فرد منهم من أفراد حقيقة المحتاجين.

ومن هذا النوع قوله تعالى: **«وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ**» [يوسف/١٣]، فهو — حتماً — لا يشير إلى ذئب معين في الخارج، وإنما إلى فرد غير معين من أفراد جنس الذئاب. ونظيره أيضاً قوله: **«مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ لَمْ يَعْمَلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَعْمَلُ أَسْفَارًا**» [الجمعة/٥].  
ومنه شرعاً:

وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَوْمَ بِغَيْرِ كَدٍ سَيْذِرُ كُهَا مَنْ شَابَ الْعَرَابَ  
ح — (أ) الاستغراف: وهي التي يراد بها جميع أفراد الحقيقة، عند قيام قرينة على ذلك، وهي نوعان:

أ — (أ) الاستغراف الحقيقي: وهي التي يقصد بها كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة، فتكون بمعنى (كل)، مثل قوله تعالى: **«إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلْوَعًا**» [المعارج/١٩]، فجاء بالمسند إليه (الإنسان) معرفاً بـ (أ)، لأن القصد إلى جميع الأفراد التي يتناولها لفظ (الإنسان) لغة، والدليل على ذلك هو الاستثناء في قوله: **«إِلَّا الْمُصْلَنِ**» [المعارج/٢٢].

ب — (أ) الاستغراف العربي: وهي التي يقصد بها كل مما يتناوله اللفظ بحسب العرف أو العادة، نحو:

— امثل الطلاب لأوامر المديرين.

— نقاش المعلمون بعض القضايا التربوية.

— أضراب العمال عن العمل.

فحيء بالمسند إليه معرفاً — (أول) للاستغراق العرفي، إذ لا يقصد بالطلاب أو المعلمين، أو العمال جميع طلاب أو معلمي أو عمال الدنيا، وإنما مجموعة من الأفراد التي تتناوحاً هذه الألفاظ في العرف المتفق عليه.

وصفوة القول: إن (أ) التعريفية على قسمين:

أ — (أ) العهد الخارجي: وهي ثلاثة أقسام: (أ) العهد الخارجي للصريح، و(أ) العهد الخارجي المكتائي، و(أ) العهد العلمي بنوعها الحضوري وغير الحضوري.

ب — (أ) الحقيقة: وهي ثلاثة أقسام: (أ) الحقيقة أو الجحسن، و(أ) العهد الذهني، و(أ) الاستغراف بتنوعها: الاستغراف الممتعي، والاستغراف العرفي.

<sup>(١)</sup> ٦—تعريف المسند إليه بالإضافة:

يؤتي بالمسند إليه معرفاً بالإضافة لأغراض بلاغية، منها:

## ١- إفادة الاختصار والإيجاز:

نحو قوله: (اقتصر طلابي تأجيل موعد الامتحان)، فحاء بالمسند إليه (طلابي) معرفاً بالإضافة لافادة الاختصار، إذ هو أوجز من قوله: اقتصر الطلاب الذين أتقوه بتدریسهم تأجيل الامتحان.

ومنه شعراً قول جعفر بن علبة الحارثي:

**هَوَىٰ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِيِّ مُصْنَعٌ** جَنِيبٌ وَجَتْمَانٌ بِمَكَّةَ مُؤْتَقٌ<sup>(٢)</sup>

عُرِفت كلمة (هوای) بالإضافة لأنها أدعى للإيجاز والاختصار من قوله: «إن الذي أهواه»، وهذا الاختصار جاء معيناً صادقاً عن حال الشاعر التي يضيق فيها السجن من ناحية، ويشتد وله وحزنه على فراق حبيته من ناحية أخرى.

<sup>(١)</sup> نظر البلاغيون إلى المضاد والمضاف إليه على أنها كملة واحدة أو جزء لا ينفصل.

<sup>(٤)</sup> المصعد: الذي أبعد في السماء، حيث المستقيم، الذي يتقدم قومه فيتبعونه.

## ٢— إغفاء الإضافة عن تفصيل متعدد:

نحو قوله: (أهل الشام يسلمون عليك)، فجاء بالمسند إليه معرفاً بالإضافة متعدد تعداد أهل الشام، أو تسميتهم فرداً فرداً، وعليه قوله تعالى: «وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبَّشُونَ» [الحجر/٦٧]، وقول مروان بن أبي حفصة: **بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْلَّقَاءِ كَائِنُهُمْ أَسْوَدُهَا فِي غَيْلٍ خَفْانَ أَشْبَلُ**

## ٣— إغفاء الإضافة عن تفصيل حال دونه مانع مع تيسره:

نحو قوله: (قادة البلاد في الاجتماع اليوم)، أو (أساتذة الكلية قرروا كذلك)؛ و(علماء اللغة ناقشوا بعض القضايا)، فجاء بالمسند إليه معرفاً بالإضافة تحاشياً من تقلص بعض الأسماء على غيرها، أو منعاً من حدوث حرج في تقديم اسم دون غيره دون مقتضى لذلك.

وقد يكون التعريف بالإضافة يغنى عن تفصيل تركه أرجح لجهة، مثل قول الحارث بن وعلة الجرمي:

**قَوْمِي هُمْ قُتُلُوا، أَمِيمَ، أَخْرِي فَإِذَا رَمِيْتُ يُصِيبُنِي سَهْنِي**  
فقد آثر الشاعر أن يأتي بالمسند إليه معرفاً بالإضافة في كلمة (قومي)، تحاشياً منه من ذكر الأسماء التي شاركت بقتل أخيه، إذ لو فعل، لكان في ذلك اهانة واضحة لبعض الأشخاص، مما قد يثير نوازع الحقد والفتنة.

٤— تضمن الإضافة تعظيمًا لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما:  
مثال تعظيم شأن المضاف: (خادم الوزير يُعد الطعام)، ومنه قوله تعالى: «إِنْ عَبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» [الحجر/٤٢]، وقوله: (خادم الحرمين الشريفين)، فجاء بالمسند إليه معرفاً بالإضافة تعظيمًا لشأن المضاف، أي الخادم في المثال الأول والثالث، والعبد في المثال الثاني.

ومثال تعظيم شأن المضاف إليه قوله: (سائقى وصل)، و(مكتبي صار جاهزاً)،

و(مؤلفاتي كثيرة)، فالمقصود هنا تعظيم شأن المتكلم، وهو هنا المضاف إليه، بأن له سائقاً أو مكتباً... أو غير ذلك.

ومثال تعظيم غير المضاف والمضاف إليه، قوله: (صديق المدير في زيارتنا)، إذ تنضوي على تعظيم لشأن المتكلم بأن صديق المدير في زيارته، والمتكلم هنا ليس المضاف ولا المضاف إليه، وإن كان فيها تعظيم للمضاف، لكنه غير مراد هنا.

٥— تضمن الإضافة تحفيراً لشأن المضاف أو المضاف إليه أو غيرها:

فمثال الأول قوله: (ابن المرتشي قادم)، تحفيراً لهذا الابن بأن أباه مرتشي.

ومثال الثاني قوله: (ضارب زيد آت)، تحفيراً لزيد بأنه مضروب.

ومثال النوع الثالث قوله: (ولد المحتلس يصاحب زيداً)، ففي الإضافة هنا تحفير لشأن زيد بأنه من أصحاب ابن المحتلس، وهو هنا ليس مضافاً ولا مضافاً إليه، وإن كان في العبارة تحفير لشأن المضاف، لكنه غير مراد.

وتحفه أغراض أخرى غير ما ذكر، مثل: تضمن الإضافة اعتباراً لطيفاً، والاستهزاء والسخرية، والتشريف، وغير ذلك من دواعي الإضافة التي لا تخفي على صاحب الذوق السليم.

## — تعريف المسند:

الأصل في المبتدأ أو المسند إليه أن يكون معرفة، لأنك تخبر عنه؛ أما الخبر أو المسند فالاصل فيه أن يكون نكرة؛ لأنه بجهول للمخاطب، لكن هذا المسند قد يأتي معرفة لأغراض بلاغية مقصودة، منها:

١— إفاده التعيين أو التخصيص، ويعبر عنه البلاغيون بقولهم: إفادة السامع حكمًا بأمر معلوم عنده، بإحدى طرق التعريف على أمر معلوم له كذلك.

مثال ذلك قوله: (زيد الفارس)، تقصد اتصاف زيد بالفروسيّة دون غيره من تعرف، فتأتي بالمسند إليه أولاً لأنّه المعلوم للسامع، ثم تأتي بالمسند إليه ثانياً لأنّه المجهول للمخاطب، فتجعله خيراً أو مسندًا.

ويمعن آخر، أننا نقدم الأمر الثابت، أو الوصف الذي يعرفه المخاطب أولاً وبجعله المسند إليه، ثم تأتي بالأمر المتغير وبجعله خيراً أو مسندًا. أما إذا كان المخاطب يعرف أن أحد الأشخاص يتتصف بالفروسيّة، ولكنه لا يدرى من هو، فمن مقتضى الحال أن نقول: (الفارس زيد).

٢— المبالغة في القصر، إذا كان التعريف بـ (أ) الجنسية: وذلك في حال كان الخبر خاصاً بالمبتدأ لا يتجاوزه إلى غيره سواء أكان حقيقة أم إدعاء. فمثلاً الأول قوله: (أحمد الرئيس)، إذا كان هذا الوصف لا يصدق على سواء، ومثله: محمد الخاتم للأنبياء، فهذا الوصف لا يصدق على أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وادعاء نحو قوله: (الجاحظ الأديب)، فجيء بالمسند معرفاً بـ (أ) لقصد قصر الأدب على الجاحظ قصراً ادعائياً للمبالغة في اتصافه بالأدب، وكان لا أديب سواء.

٣— أن يُقصر عليه على سبيل الحقيقة لا بالنظر إلى ذاته؛ بل بالنظر إلى القيد

بظرف أو حال، نحو قوله: (هو الحكيم عندما يستشار)، فالمقصود هو الحكيم في حالة معينة لا غير ، وهي كونه عندما يستشار، وليس في كل الأحوال، ومنه أيضاً القول: (هو الفارس عندما يتقدّم الفرسان)، (وهي المدبرة عندما تستراجع الإيرادات)، وعلى هذا قول الأعشى:

**هُوَ الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْمُصْطَفَأَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا<sup>(١)</sup>**

فقصص هبة المائة من الإبل على إحدى الحالتين، إما مخاضاً وإما عشاراً، لا هبتها مطلقاً.

٤— تقريره للمسند إليه وبيان أن ثبوته له أمر مقرر لا يشك فيه، نحو قول

حسان بن ثابت:

**وَإِنْ سَنَامَ الْحَمْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بْنُو بَنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالْدُكَ الْعَبْدُ**  
فجاء بالمسند معرفاً بـ (آل) في قوله (العبد)، لغرض تقرير صفة العبودية على والده، بمعنى أنه بلغ فيها مرتبة لا تخفي على أحد.

---

<sup>(١)</sup> المخاض: الخواض من النوق، العشار: ج عشراء، وهي من النوق كالنفسياء من النساء، أو التي مضى على حملها عشرة أشهر.

## النكير

قلنا: إن النكارة هي ما شاع في جنسه دون أن يدل على معين، فإذا قلت: (زارنا رجل)، و(هذه امرأة)، فإنهما لا يدلان على رجل بعينه، ولا على امرأة بعينها، بل يصلحان لكل رجل وامرأة.

واعلم أن اللفظ النكارة هو الذي يقبل (ال) التعريف، مثل: (كتاب، علم)، فيمكن أن تصبح: (الكتاب، العلم).

وقد يرد المسند إليه نكارة لتحقيق أغراض بلاغية، منها:

١— الإفراد: أي الدلالة على فرد غير معين من أفراد جنسه؛ لأن المتكلّم لا يعلم عنه أي شكل من أشكال التعريف من علمية أو صلة أو غيرها إلا ما يفيده لفظ النكارة، نحو قوله: (سأّل طالب عنك)، وعليه قوله تعالى: **«وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى»** [القصص / ٢٠]، أي: فرد واحد من أشخاص الرجال لا أكثر، فقصد إلى إيراد المسند إليه نكارة؛ لأن الغرض هنا ليس تعين اسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، فهو زائد عن الحاجة، وإنما الهدف هو توجيه الأنظار إلى مضمون القصة المتعلقة بالموعظة والذكرى.

٢— التعظيم والتحقير: نحو قوله في الغرض الأول: (لزید آراء صائبة، ولـه دراسات عميقة)، ومنه قوله تعالى: **«وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»** [البقرة / ١٧٩]، أي حياة عظيمة. وقوله: **«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ خَرِيصٌ عَلَيْكُمْ»** [التوبه / ١٢٨].

ومنه شرعاً قول أبي العתاهية راثياً:

وَكَانَتْ فِي حِسَابِكَ لِي عِظَاتٌ  
وَأَنْتَ الْيَوْمَ أُونَّعْظُ مِنْكَ حَيَا  
فَجَاءَ الْمَسْنَدُ إِلَيْهِ فِي الْأَمْثَلَةِ (آرَاءٌ — دراسات — رسول — عِظَاتٌ) نَكْرَةٌ  
لِلتَّعْظِيمِ.

وَمِنَ التَّحْقِيرِ قَوْلُكَ — مَثَلًاً — : (وَصَلَى مِنْ عَطَابِهِ شَيْءٌ)، تَرِيدُ: شَيْئًا حَقِيرًا.  
وَمِنْهُ فِي غَيْرِ الْمَسْنَدِ وَالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى  
شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ » [الْمَائِدَةَ / ٦٨].

وَقَدْ اجْتَمَعَ التَّعْظِيمُ وَالتَّحْقِيرُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أُضِيقُهُ  
وَلِلَّهِ مِنِّي وَالْخَلَاعَةُ جَانِبٌ  
فَالْتَّكْبِيرُ فِي كَلْمَةِ (جَانِبٌ) الْأُولَى يُفِيدُ التَّعْظِيمَ؛ أَيْ لِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ عَظِيمٌ لَا  
أَفْرَطَ فِيهِ، وَفِي الْأُخْرَى يُفِيدُ التَّحْقِيرَ، أَيْ: لِلَّهِ مِنِّي وَالْخَلَاعَةُ جَانِبٌ هِينٌ حَقِيرٌ، وَقَدْ  
دَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَقَامَ مَقَامٌ فَخْرٌ وَمَدْحٌ، وَفِي هَذَا يَتَرَجَّحُ جَانِبُ الْخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ.  
٢— التَّقْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ: فَمَثَلُ النَّوْعِ الْأُولَى قَوْلُكَ: (أَرِبَاحِي مِنْ هَذَا الْمَشْرُوعِ  
شَيْءٌ لَا يُذَكِّرُ)، وَقَوْلُكَ أَيْضًا: (لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْاِمْتِيازَاتِ شَيْءٌ) وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ  
تَعَالَى: « وَلَئِنْ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابٍ رَّأَكُمْ » [الْأَنْبِيَاءَ / ٤٦]، أَيْ نَفْحَةٌ  
بَسيِطةٌ، وَتَحْتَمِلُ التَّحْقِيرَ.

وَنَظِيرُهُ شِعْرًا قَوْلُ الْمُتَنَبِّي:

وَلِيُسْ يَصْرُخُ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ  
إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ  
فَجَاءَ بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ نَكْرَةٌ لِإِفَادَةِ التَّقْلِيلِ، وَتَحْتَمِلُ كَذَلِكَ التَّحْقِيرِ.  
وَمِنَ التَّكْبِيرِ قَوْلُكَ: (إِنَّ لَهُ لِمَزَارِعَ وَأَطْبَانًا)، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: « فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ

**فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مَّنْ قَبْلِكَ** ) [آل عمران / ١٨٤]، أي: رسول كثيرون<sup>(١)</sup>.

وتحتمل — كذلك — التعظيم، أي: رسول كثيرون معظمون.

ومنه قول الشاعر:

وَلِيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
فَجَاءَ بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ نِكْرَةً، لِإِفَادَةِ التَّكْبِيرِ، أَيْ: نَجْمٌ كَثِيرٌ.

٤— قصد النوعية: أي أن يكون القصد نوعاً خاصاً من أنواع الجنس، مثل قوله تعالى: **«وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ»** [البقرة / ٧]، أي نوع من الغشاوات أو الأغطية، وهو غطاء التعامي عن آيات الله.

ومنه قول الشاعر:

لَكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ  
إِلَّا الْحَمَّاجَةَ أَعْيَتْ مَنْ يَدَاوِيهَا  
أَيْ: ثمة دواء خاص لكل داء.

٥— قصد إخفائه عن المخاطب، نحو: (نقل إلى طالب أنسك غششت في الامتحان)، و(حدثني رجل أنت اغتبتي)؛ فحييء بالمسند إليه نكرة لغرض إخفاء الاسم عن المخاطب؛ خشية أن يلحقه أذى من المخاطب، أو يوضع في موقف حرج.

تنكير المسند:

وينكر المسند لأغراض منها:

١— عدم إرادة تعينه أو حصره، نحو: (زيد طبيب)، فحييء بالمسند نكرة لإفادته الإخبار بصفة زيد، لا حصر الطب فيه.

(١) الفرق بين التعظيم والتکبر أن الأول ينظر فيه إلى النوعية والكيفية، وعلى المرتبة، وبعد المنزلة، أما الثاني: فالللاحتظ فيه الكمبات، والمقدرات، والعدد، لكن هذا لا يمنع أن الانتقال بينهما سهل، شأنهما شأن سهولة الانتقال — كذلك — من التقليل إلى التحقيق.

٢— إفادة التفحيم والتعظيم، نحو: (إنَّ أَحْمَدَ طَيْبٌ)، فأراد بالتنكير هنا أسمه متصف بصفة تحمل في معناها التفحيم والرفعة.

٣— إفادة التقليل: كأن يقول: (تصحي من عطياته شيء)، أي شيء قليل لا يذكر، ومنه قوله تعالى: (إِلَّا مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) [غافر/٣٩]، فنكر (متاع) للتحقيق، أي: متاع حقير صغير، وتحتمل أيضاً معنى التقليل.

٤— إفادة التكثير: نحو قوله تعالى: (هَذَيِّ لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة/٢]، أي هدى كثير.

٥— إتباع المسند إليه في التنكير: نحو (رجل قادم إلينا)، فكلمة (قادم) — وهي الخير — جاءت نكرة، لأن المبتدأ (رجل) نكرة.

#### تنكير غير المسند إليه والمسند:

وينكر غير المسند إليه والمسند للأغراض نفسها التي ذكرت في تنكير المسند إليه والمسند، من ذلك:

١— بيان النوعية، نحو قوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرَأً فَسَاءَ مَطْرَأُ الْمُنْتَرِينَ) [النمل/٥٨]، أي أمطرن أنواعاً خاصاً من المطر، يعني هنا الحجارة وما شاهدها.

٢— التعظيم والتهويل، كقوله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَلَاذُكُوا بِحَرْبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [البقرة/٢٧٩]، يريده: بحرب عظيمة أو رهيبة.

٣— التحقير: كما في قوله تعالى: (إِنَّ لَطْنَ إِلَّا ظَنٌّ وَمَا لَحْنٌ بِمُسْتَقِيقِينَ) [الجاثية/٣٢].

٤— التقليل: نحو قول النبي:

فَيَوْمًا يَخْيَلُ نَطْرُدُ الرُّؤُومَ عَنْهُمْ  
وَيَوْمًا يَجُودُ نَطْرُدُ الْفَقَرَّ وَالْجَذْبَرَ  
يريد: يخيل قليلة العدد، وبجود يسرٍ من فيض جودك.

وما يحدّر التنبّيـه إلـيـه هـنـا أـنـ التـكـيرـ والـتـعـرـيفـ فـيـ تـفـسـيـهـمـ لاـ يـدـلـانـ عـلـىـ أيـ أـغـرـاضـ أـوـ لـطـائـفـ بـلـاغـيـةـ،ـ وإنـماـ تـدـرـكـ هـذـهـ الـلـطـائـفـ وـالـأـغـرـاضـ مـنـ السـيـاقـ وـمـعـونـةـ الـقـرـائـنـ؛ـ فـالـسـيـاقـ هـوـ الـذـيـ يـدـلـ عـلـىـ الـمـقـصـودـ مـنـ هـذـاـ التـكـيرـ،ـ أـوـ ذـاكـ التـعـرـيفـ،ـ وـهـوـ الـذـيـ يـرـجـعـ غـرـضاـ دـوـنـ آـخـرـ.

## تدرییات محلولة على أسلوب التعريف

— بين الدواعي التي اقتضت تعريف المسند إليه أو المسند بإحدى طرق التعريف:

١— أنا الذي يجدهوني في صدوره لا أرتقي صدرًا منها ولا أرد

عُرف المسند إليه بالإضمار (أنا)؛ لأن المقام مقام تكلم، وبقصد إظهار المدح.

٢— قال تعالى: «فَقَسَّاهَا مَا غَشَّى» [النجم / ٥٤].

عرف المسند إليه بالاسم الموصول بقصد التفحيم والتهويل.

٣— أحمد يلاحق الأفاعي في أو كارها.

عرف المسند إليه بالعلمية؛ لغرض إظهار التعجب من أمر أحمد.

٤— ترَاهُ إِذَا مَا جَتَّهُ مُتَهَلِّلاً كائِنَ تُعْطِيهِ الْذِي أَتَتْ سَائِلَهُ

انتقل ضمير المخاطب من معين مقصود إلى غير معين؛ لإرادة تعميمه على كل من يتأتى خطابه.

٥— جاء الذي تقدم خطبة ابتك بالأمس.

عرف المسند إليه بالاسم الموصول، لعدم علم المتكلم بالأحوال المختصة به سوى الصلة.

٦— قال تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ» [العرس / ٣].

عرف المسند إليه بـ (أى) في كلمة (الإنسان) للدلالة على الاستغراف الحقيقي، أي جميع الأفراد التي يتناولها لفظ (الإنسان)، بدليل الاستثناء الوارد بعدها، وهو

قوله: **«إِلَّا الَّذِينَ آتَيْنَا»**

فَقَدْ بَطَّلَ السُّحْرُ وَالسَّاحِرُ

عَرَفَ المسند إليه بالعلمية (موسى) بقصد إظهار التعجب من موسى عند رميه العصا، وعرف (السحر) و(الساحر) بـ (أى) للعهد العلمي.

أَتَتِ الْحَبِيبُ وَلَكِنِيْ أَعُوذُ بِهِ

عُرِفَ المسند بـ (أى) في الكلمة (الحبيب) بقصد المبالغة في القصر، وكان لا حبيب لديه سواه.

٩— قال أبو نواس:

مَضِيَّهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلٍ شَارِها

عُرِفَ المسند إليه بالاسم الموصول بقصد التفحيم والتهويل.

١٠— عمرو هذا غش في الامتحان.

عُرِفَ المسند إليه بالعلمية بقصد التسجيل على السامع، حتى لا يتأنى له الإنكار.

١١— سلام صديقتك نجحت.

عُرِفَ المسند إليه بالعلمية بقصد التفاؤل بلفظ سلام.

١٢— (الذي يخرج من الفم لا ينقض الموضوع إلا بشروط).

عُرِفَ المسند إليه بالاسم الموصول لاستهجان التصریع بذكر ما يخرج من الفم، والنفور منه.

١٣— إن عباد الله يحبون الخير للجميع.

عُرِفَ المسند بالإضافة لقصد تعظيم المصاف؛ إذ عَظَمْ شَأْنَهُمْ بإضافتهم إلى الله سبحانه وتعالى.

٤— طلبة الكلية يقيمون احتفالاً.

عرف المسند إليه بالإضافة، لإغفاء الإضافة عن تفصيل متذر.

٥— على الخطيب عندما يغيب الخطباء.

عرف المسند بـ (أ) لفقدان قصر المعرف على ما حكم عليه، وفقاً للقيد الذي قيد به؛ أي: حين يغيب الخطباء.

٦— قال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء / ٩].

عرف المسند إليه باسم الإشارة (هذا) لفرض تعظيمه بالقرب.

٧— إن الذين يخالفون الأنظمة والقوانين سينالون جزاءهم.

عرف المسند إليه باسم الموصول (الذين) للإعاء إلى نوع الخبر، والإشارة إلى أنه نوع من العقاب.

٨— تلك هي مبادئي، فما هي مبادئك؟

عرف المسند إليه باسم الإشارة (تلك) بقصد تعظيمه بالبعد.

## تدرییات محلولة على أسلوب التنکیر

— بین دواعی تنکیر المسند إلیه أو المسند أو غيرها فيما يأتي:

١— قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِيَنِي وَلَكِنْ  
نُكِرُّ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ (قليل) لإفادة التعظيم، أي قليل عظيم منك، لأن قليل صغير  
منك يكفيني فكيف لو كان كثيراً وهذا مبالغة في المدح، والله أعلم.

٢— قال ابن أبي المسط:

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُشَبِّهُ  
كلمة ( حاجب) الأولى تفيد التعظيم، والثانية تفيد التحقير.

٣— آراؤهُ وعطاياهُ ونعمتهُ  
نُكِرُّ الْمَسْنَدَ (رحمة) لإفادة التفحيم والتعظيم، أي رحمة عظيمة.

٤— حِكْمٌ وغَيْرَ ضَمَّنَهَا قَصْدِيَّتِهِ.

نُكِرُّ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ (حكم) لإفادة التفحيم والتعظيم.

٥— قال تعالى: **(وَلَا يُجِيظُونَ بِشَيْءٍ مَنْ عَلِمَهُ إِلَّا بِمَا شَاءَ)** [البقرة / ٢٥٥].  
نكرت كلمة (شيء) للدلالة على التقليل، أي لا يحيطون بشيء قليل يسر من  
علمه.

٦— قال السموءل:

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مِنْ تُحْيِرُهُ  
نُكِرُّ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ (جبل) لإفادة التعظيم، أي جبل عظيم.

٧— قال تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَاءٍ)** [النور / ٤٥].

تنكير الكلمة (دابة) يحتمل الإفراد والتوعية، أي خلق كل فرد من أفراد الدواب،  
أو كل نوع، وتنكير (ماء) يفيد التوعية، أي نوع خاص من المياه.

٨— إنه قاض.

نكر المسند في الكلمة (قاض) لافادة التفخيم والتعظيم، أي إنه متصرف بصفة  
تحمل في معناها الرفعة والتفخيم.

## تدرییات یطلب حلها

أولاً: بین نوع التعريف والأغراض البلاغية التي اقتضت تعريف المسند إليه أو المسند فيما يأتي:

- ١- قال تعالى: **«فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ»** [النجم / ١٠].
- ٢- **إِنَّ الَّذِي الْوَحْشَةَ فِي دَارِهِ**  
مُؤْسِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْمِهِ
- ٣- هنا سوق الحميدية، وذلك جبل قاسيون.
- ٤- **إِلَّا إِنَّمَا الدُّنْيَا غُضَارَةٌ أَيْكَةٌ**
- ٥- **حَيَّثُكَ عَزَّةُ بَعْدَ الْمَهْرِ وَأَنْصَرَقْتُ**
- ٦- طاف الخيال بأصحابي فقلت لهم
- ٧- **أَوْلَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبَنَاءَ**
- ٨- ينشدون النصر الفرزدق بعلما

ثانياً: بین الموعدي التي اقتضت تكير المسند إليه أو المسند في الأهمية الآتية:

- ١- **وَلِلْفَرَّالَةِ شَيْءٌ مِّنْ تَلْقَتْهُ**  
ونورها من ضيائخته مكتسب
- ٢- قال تعالى: **«أَكَرِّيْكَابُ أَخْكِمَتْ آيَةُهُ»** [هود / ١].
- ٣- **لِي فِيلَكَ يَا يَلِلُ أَهْنَاتُ أَرَدَهَا**
- ٤- قال شخص: إنك أهملت واجباتك.

## التقديم والتأخير

يقول صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني: إن هذا الباب «باب كثير الفوائد جمّ المحسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بدعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن رائقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان»<sup>(١)</sup>.

جعل العرب لكلّ كلمة موضعًا، فال فعل في الجملة قبل الفاعل، والفاعل قبل المفعول، ويأتي المبتدأ قبل الخبر، اقرأ قول علي بن الجهم:

وعاقبة الصبر الجميل جميلة  
وأفضل أخلاق الرجال الفضائل  
ولا عارَ أنْ زالت عن الحر نعمة  
ولكنَّ عاراً أنْ يزول التحمل  
وما المالُ إِلَّا حسنةٌ إِنْ ترکَهُ  
وغُصْمُ إِذَا قدمتَهُ متبعٌ

تجده في البيت الأول أن المبتدأ في مكانه والخبر في مكانه، وتجده في البيت الثاني أن اسم لكنَّ وخبرها في موضعهما، وكذا المبتدأ والخبر في البيت الثالث.

فهذا هو الأصل، إلا أنه قد يقدمون لفظاً ويؤخرون آخر إذا كان في بيتهما يسُوئ ذلك، فالتقديم ليس عيناً في الكلام بل يعني أن يكون وراءه داع بлагي، فقولك (زيداً أكرمت) غير قولك (أكرمت زيداً)، وقولك (العلم مفيد) غير قولك (المفيد العلم) وهكذا.

<sup>(١)</sup> دلائل الإعجاز (بتحقيق محمود شاكر) / ١٠٦ .

يمثل الجرجاني لذلك فيقول: وإذا قلت: (أأنت فعلت؟) فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه، وإذا قلت: (أفعلت؟) فبدأت بـال فعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهماك أن تعلم وجوده.

وذهب يحيى بن حمزة العلوى مذهبًا بديعًا في حديثه عن التقىم، فذكر أن تقدم بعض الألفاظ على غيرها قد يكون تقدماً بالرمان كما في قوله تعالى: **«وَعَادُوا وَنَمُودُ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ»** [العنكبوت / ٣٨]، فعاد قبل نمود، أو تقدماً بالذات كما في قوله تعالى: **«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»** [العنكبوت / ٤٢]؛ لأن العزيز هو الغالب وأنه تعالى لما عزَّ في ذاته بالغلبة حكم على كل شيء، أو تقدماً بالشرف، كما في قوله تعالى: **«فَاغْسِلُوهُ وَجْهَكُمْ وَأَنْدِينِكُمْ»** [المائدة / ٦] فالوجه أشرف من اليد<sup>(١)</sup>.

وقد رصد البلاغيون مواطن التقىم في العبارة العربية فرأوا وراءها مسوغات وداعية بلاغية مختلفة.

تقىم المستند إليه:

يتقدم المستند إليه؛ لأنَّه الأهم والأصل، ألم أذكر لك قبلُ أنه محكوم عليه، فالأسأل في الحكم عليه أن يتقدم، إلا إذا كان ثمة سبب للعدول عن تقديمِه كالفاعل مثلاً لأنَّ مرتبة العامل في العربية التقدم على المعمول كما في قولك (يسعى خالد للخير) فالعامل الفعل (يسعى) وقد عمل في الفاعل (خالد) فوجب أن يتقدم الفعل، ولو تقدم الفاعل لغداً مبتدأ.

فمن الحالات التي يتقدم فيها المستند إليه (المبتدأ):

١— تمكن خبره في ذهن السامع أو المخاطب؛ لأنَّ في المبتدأ تشويقاً إليه كما في قول أبي العلاء المعري:

<sup>(١)</sup> انظر الطراز ٢ / ٥٨.

**والذي حارت البرية فيـه حيوانٌ مستحدث من جماد**  
فلفظ (الذي) وهو المستند إليه تقدم فتلهم السامع لعرفة الخبر، فالإنسان الذي  
حارت البرية في أمره، لمْ يخلق وماذا أريد به؟ وما أشبه ذلك حيوانٌ مستحدث من  
عناصر حامدة لا حياة فيها ولا حراك، قوله (والذي حارت) جالب لتوجيهه  
السامع إلى ما يترتب عليه من حكم وتفصيل، وهذا الجلب إنما حصل من ذكر  
المستند إليه مُقدّماً.

وقل مثل ذلك في قول الشاعر:

**أحقُ الناس في الدنيا بعيـب مسيء لا يـالي أن يعاـبا**  
٢— ومنها أن يكون المراد تعجيز المسرة كأن تخرب صاحبك عن نتيجته في  
الامتحان فتقول له: (النجاح حليفك) مقدّماً المستند إليه (النجاح) لتوقع في أذنه  
مباشرة هذا الخبر المفرح.

٣— ومنها أنه يتقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي مثل قوله: (ما أنا قلت هذا)  
أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك ونبوته لغيرك، لذلك يمتنع أن يقال:  
(ما أنا قلت هذا ولا غيري) لأنَّ فيه تناقضًا، فالقول قد قيل كما عرفت، ولا بد له  
من فاعل، فمن قاله إذن؟

يقول المتبنّي:

**وـما أنا أـسـقـمت جـسـمي بـه وـلا أنا أـضـرـمت فيـ القـلـبـ نـارـا**  
والمعنى أن هذا السقم الموجود والضرم الثابت ما أنا جالب لهما، والقصد هنا  
نفي كونه فاعلاً لهما وليس نفيهما، ومنه قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (ما  
أنا حملتكم ولكن الله حملكم).

وهذا مختلف عن قول النابغة الذبياني:

**ما قـلتُ مـن سـئـعـ مـا أـتـيـتـ بـه إـذـا فـلا رـفـعـتـ سـوـطـيـ إـلـىـ يـديـ**

لأن المراد هنا نفي القول وليس نفي كونه فاعلاً.

قال السكاكي: وما يفيد التخصيص ما يمحكه الله عز وجل عن قوم شعيب وهو قوله تعالى: **(وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِغَيْرِنِّي)** [هود/٩١]، أي العزيز علينا يا شعيب رهطك لأنك لكونهم من أهل ديننا، ولذلك قال عليه السلام في جواهم: (أرهطي أعز عليكم من الله).

وقد أفاد هنا من الرمخشري الذي أشار إلى أن بحث الضمير بعد حرف النفي (وما أنت) دل على أن الكلام في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل: (وما أنت علينا بعزيز بـل رهـطـك هـم الأعزـةـ).

تلك الحالة من حالات التقدم — وقد اتصل المسند إليه بالنفي وأخـيرـ عنه بالفعل — أفادـتـ التـخصـيـصـ كماـ أـسـلـفـتـ، فإذاـ كانـ المسـنـدـ إـلـيـهـ غـيرـ مـسـبـوقـ بـنـفـيـ فقدـ يـدـلـ عـلـىـ التـخصـيـصـ كـمـاـ فـيـ قولـكـ: (أـنـاـ قـلـتـ هـذـاـ) وـقـوـلـهـمـ فـيـ المـثـلـ: (أـتـعـلـمـنـيـ بـضـبـ أـنـاـ حـرـشـتـهـ) أـيـ اـخـتـصـصـتـ بـحـرـشـهـ، قالـ تعالى: **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ لَمَّا**  
**يَتَوَفَّاكُمْ)** [التحـلـ / ٧٠]، أي أنه جـلـ جـلـاهـ اـخـتـصـ بـخـلـقـكـمـ.

وقـالـ تـعـالـيـ: **(وَمِنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَغْرَابِ مَتَّقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَيْتَةِ مَرَدُوا عَلَى**  
**الثَّاقِبِ لَا تَعْلَمُهُمْ كَعْنَ تَعْلَمُهُمْ)** [التـوبـةـ / ١٠١]، فـهـؤـلـاءـ مـرـنـواـ عـلـىـ الثـاقـبـ وـدـرـواـ بـهـ فـلـاـ يـعـلـمـهـ إـلـاـ شـخـنـ وـلـاـ يـطـلـعـ عـلـىـ أـسـرـارـهـ غـيـرـنـاـ لـإـبـطـالـهـ الـكـفـرـ فـيـ قـلـوـهـ.

أـوـ يـدـلـ عـلـىـ التـاكـيدـ<sup>(١)</sup> وـتـقوـيـةـ الـحـكـمـ وـمـنـ ثـمـ تـقـرـيرـهـ فـيـ ذـهـنـ السـامـعـ كـفـولـكـ: (هـوـ يـعـطـيـ الجـزـيلـ)، مـؤـكـداـ أـنـ عـطـاءـ الجـزـيلـ مـنـ دـأـبـهـ وـعـادـتـهـ وـمـقـرـأـ ذـلـكـ فـيـ ذـهـنـ السـامـعـ، وـمـنـهـ قولـهـ تعالى: **(اللَّهُ يَسْتَهِنُ بِهِمْ)** [البـقـرةـ / ١٥]، قالـ طـرـفةـ اـبـنـ العـبدـ:

نـحنـ فـيـ المـشـتـاءـ نـدـعـوـ الـجـفـلـيـ      لـاـ تـسـرـيـ الـآـدـبـ فـيـنـاـ يـتـقـرـرـ<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> عـطـفـ عـلـىـ (يـدـلـ عـلـىـ التـخصـيـصـ) قـبـلـ أـسـطـرـ.

<sup>(٢)</sup> المشـتـاءـ: وقتـ الشـتـاءـ. الجـفـلـيـ: الدـعـوـةـ الـعـامـةـ، الـآـدـبـ: الدـاعـيـ إـلـىـ الـمـادـةـ، يـتـقـرـرـ: يـدـعـوـ النـقـرـىـ وـهـيـ الدـعـوـةـ الـخـاصـةـ.

يؤكد كرم قبيلته ويقرره في ذهن السامع.

٤— ومن حالات تقليل المسند إليه — وهو مبتداً — بناء الفعل عليه كما في قوله تعالى:  
﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي تَرَزَّلُ الْكِتَابُ وَهُوَ يَوْمَ الْحِسَابُ﴾ [الأعراف / ١٩٦] فلا يستقيم المعنى هنا إلا بتقليل المسند إليه (هو) ليين عليه الفعل إذ لو جيء بالفعل (يتول) غير مبني على الاسم (الضمير) لنبأ اللفظ عن المعنى ولزوال المعنى عن الحال التي يعني أن يكون عليها.

٥— ومنها أن يدل المسند إليه على العموم كما في قولك: (كل طالب لم يحضر) فتفني الحضور عن كل أحد من الطلاب، قال أبو العناية:  
ما كل رأي الفتى يدعو إلى رشد      فإن بدا لك رأي مشكل فقف

٦— ويرى البلاغيون أن المسند إليه يجب تقديمها إذا كان لفظ (مثل) أو (غم) كناية عن شيء كان تقول: (مثلك لا يدخل)، ولا أحد يتصف بصفاتك إلا أنت، قال المتنبي:

مثلك يثنى المزن عن صوبه      ويستر الدمع عن غربه<sup>(١)</sup>  
أو تقول: (غيري يجهل قيمة العلم) على معنى أنني لا أحجهله، قال أبو ثمام:  
وغيري يأكل المعروف سحتاً      ويشحب عنده يضر الأحادي  
تقديم المسند:

الأصل في المسند إذا كان خيراً (أيضاً) أن يتأخر، لكنه قد يتقدم للداعي بلاغية منها:

١— أن يريد المتكلم قصر المسند إليه على المسند وهذا ما يسمى إفاده التخصيص كأن تقول: (عربي أنا) فقد قصرت نفسك على الانتساب إلى العرب

<sup>(١)</sup> ثثنى: بصرف، صوبه: انصباه، غرب الدمع: مجرأه من العين.

دون أن تتجاوزهم إلى قوم آخرين.

تدبر قوله تعالى في وصف حمر الجنة «لَا فِيهَا غُولٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزَفُونَ» [الصافات / ٤٧]، تجد أن المسند (الخبر) وهو (فيها) تقدم على المسند إليه (غول) فأفاد هذا التقدم الاختصاص والمعنى نفي الغول (وهو ما يغتال عقل الإنسان ويفسده) عن حمر الجنة دون أن يتعداها إلى حمر الدنيا لأن حمر الدنيا مس克راً فيها ما يغتال العقل ويفسد التفكير فقصر نفي الغول على حمر الجنة وحدها.

ومنها قوله تعالى: «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» [الروم / ٤٤]، فقد دل بتقديم المسند (عليه) على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر، قال ابن دراج القسطلي يمدح خيران العامري:

لَكَ الْخَيْرُ فَدُّ أوْفِي بِعَهْدِكَ خَيْرَانُ  
وَبِشْرَكَ قَدْ آتَاكَ عَزْ وَسُلْطَانُ

فقدم الخبر (لك) لإفادته معنى التخصيص.

٢— إفاده أن المسند خير لا نعمت: وأنت تحفظ أن الخبر هو الجزء المتم الفائدة في الجملة، فقولك: (الشمس ساطعة) جملة تامة المعنى لبنائها على المبتدأ والخبر، أما قولك (الشمس الساطعة) فكلام يحتاج إلى غيره ليتم معناه؛ لأن الصفة فيه (الساطعة) لم تؤد المعنى كاملاً، بيان ذلك في قول حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> مدح الرسول عليه الصلاة والسلام:

لَهُ هُمْ لَا مُتَهَى لِكَبَارِهَا  
وَهُمُ الصَّغْرَى أَجْلَى مِنَ الدَّهْرِ  
فَقَدِمَ (لَهُ) وَهُوَ الْخَيْرُ (الْمَسْنَدُ)، وَلَوْ قَالَ: (هُمْ لَهُ) لَتَوَهَّمَ السَّامِعُ أَنَّهُ صَفَّةٌ لَا  
خَيْرَ، إِنَّمَا أَرَادَهُ الشَّاعِرُ خَيْرًا.

ومن هنا قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَيْهِ حِينٌ» [البقرة / ٣٦]، أي لكم يا آدم وحواء في الأرض موضع استقرار وتمتع بالعيش إلى يوم القيمة، فلو

<sup>(١)</sup> وينسب لغيرة.

قال: (مستقر لكم) لا يتحمل أن يكون (لكم) صفة لا خبراً والمراد خبريته.

٣— ويتقدم لغرض التشويق إلى ذكر المسند إليه كما في قول محمد بن وهيب مادحاً المعتضي:

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا بيهجتها شمسُ الضحى وأبو اسحاقَ والقمرُ

فقدم المسند (ثلاثة) تشويقاً لمعرفة المسند إليه (شمس الضحى).

وقول الآخر:

ثلاثةٌ ليس لهَا إِيَّابُ الوقتُ والحمالُ والشبابُ

٤— ويتقدم المسند إذا كان الاهتمام به ذاته كما في قوله تعالى: **(أَفَيَالْهُ شَكٌ)** [إِبْرَاهِيمٍ / ١٠]، قال الرمخنشي أدخلت هزة الإنكار على الطرف (أي على الجار والمحرور وهو المسند) لأن الكلام ليس في الشك وإنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يتحمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه<sup>(١)</sup>.

٥— وقد يتقدم لضرب من التعجب كما في قوله تعالى: **(قَالَ أَرَاغِبَتِ أَنْتَ عَنْ أَلْهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ)** [مَرْمٌ / ٤٦]، فهذا تعجب وإنكار لرغبة إبراهيم عليه السلام عن آلهة أبيه لأن هذه الآلهة في زعمهم لا ينبغي أن يرغب عنها أحد، فقدم المسند (راغب) على المسند إليه (أنت).

وربما تقدم الخبر مراعاةً لمشاكلة رؤوس الآي والفوائل القرآنية كما في قوله تعالى: **(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرُ)** [القيامة / ١٢]، فقدم (إلى ربك) وهو الخبر (المسند) ليناسب الآيات: **(فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨) وَجَمِيعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ ١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرُ)** [القيامة / ٧ — ١٢] فالتقديم هنا ليس من جهة

<sup>(١)</sup> انظر الكشاف ٢٩٥ / ٢

الاختصاص فحسب بل للمطابقة اللغوية في تناسب الآي وتشاكلها.

قال يحيى بن حمزة العلوى: ومن دقيق التقدم — تقدم المسند — وغريه قوله صلى الله عليه وسلم، وقد سئل عن التوضؤ بماء البحر فقال مجيئاً السائل: (هو الطهور ماوه والحلّ ميته)، وإنما قدم الخبر على المبتدأ في الأمرين جميعاً لغرضين: أما أولاً فلأنه يدفع بذلك إنكار من يذكر الحكمين جميعاً: جواز التوضؤ وحل ميته، لأنه ربما يسْعَ في الفوس من أجل كونه زعافاً مختصاً بالملوحة البالغة فلا يجوز التوضؤ به، وإن كان ميتاً فلا يجعل أكله لعدم الذكارة (الذبح) فيه، فقدم الخبر من أجل دفع ذلك وإزالته، وأما ثانياً فلأجل التنبيه على الاختصاص بكونه أخص الأمواه بجواز التوضؤ به لصفاته ورقته وأن ميته حلال لا يشوهها في طيب المكسب وحلّ التناول شائب، ولو قال في الجواب: هو الذي ماوه ظاهر وميته حلال نزل عن تلك الرتبة وفاقت عنه المزية<sup>(١)</sup>.

#### تقديم متعلقات الفعل:

يعرض بعض متعلقات الفعل تقدم على الفعل أو على غيره من ألفاظ العبارة، إما لأن ذلك أصل فيه كتقدم الفاعل على المفعول وتقدم المفعول الأول على المفعول الثاني فيما ينصب مفعولين، وإما لأهميته كأن يكون في القوم رجل مجرم ظالم يعيث فساداً بين الناس يقتل وينهب ثم قُتل، وأردت أنت أن تخبر الناس بقتله — وهم الذين عانوا منه ما عانوا — فإنك تقول: (قتل المجرم فلان) فتقدّم المفعول على الفاعل لأن الناس مهتمون بقتله هو، ولا يفهم معرفة القاتل.

أما إذا كان القوم لا يتوقعون من (سعيد) الرجل الضعيف أن يقتل أحداً، ثم قُتل، وأردت أن تخبر الناس الذين لا يخطر في بالهم أبداً أن يكون قاتلاً فإنك تقول:  
(قتل سعيد فلان) فتقدّم الفاعل هنا حماً لأنه موضع اهتمام إذ ليس من شأنه أن يقتل.

<sup>(١)</sup> انظر الطراز ٢/٦٩ — ٧٠

انظر تفصيل هنا في بيان القرآن الكريم إذ قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِيمَانِكُمْ  
لَهُنَّ لَرْزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ» [الأنعام/ ١٥١]، وقال في موضع آخر: «وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ  
خَشْيَةً إِمْلاقي لَهُنَّ لَرْزَقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ» [الإسراء/ ٣١]. تَقْتُلُوا

تدرك أنه قدم المخاطبين في الأولى (نرزقكم) على (إيابهم)؛ لأن الخطاب فيها  
للفقراء بدليل قوله (من إملاقي) فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم لما هم  
فيه من فقر شديد.

أما في الثانية فالمخاطبون ليسوا فقراء بدليل قوله (خشية إملاقي) والخشية تكون  
ما لم يقع بعد، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأن الأخير حاصل  
لذلك قال: (نرزقهم وإيابكم).

ومنه أيضاً قوله تعالى: «قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَكْبَحُدُ وَلِيَا» [الأنعام/ ١٤]، قدم  
المفعول وسلط عليه الإنكار لأن الاهتمام ليس في اتخاذ الولي ولكنه في اتخاذ غير الله  
وليأياً فكان أولى بالتقدم.

ومن حالات تقدم متعلقات الفعل ما يسميه البلاغيون، رد الخطأ في التعين  
كأن تقول (زيداً عرفت) لمن اعتقادك أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد، فأنت ترد  
خطأه بتعيين من عرفت مقدماً إياه في العبارة.

ومنها إفاده التخصيص وهي أكثر حالات التقدم شيوعاً في هذا الباب، كأن  
تقول: (العربية أدرس) أو تقول (بزيده مررت) فإنك في الأولى خصصت العربية  
بالدراسة فقدمت المفعول، وفي الثانية خصصت زيداً بالمرور به فقدمت الجار  
والمحرر وهو من متعلقات الفعل - كما عرفت - على الفعل.

وأبرز الأمثلة وضوحاً على معنى التخصيص قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ» [الفاتحة/ ٥]، فإن معنى الآية نخصك بالعبادة، لاتعبد غيرك ونخصك  
بالاستعانة، ولو لا هذا التقدم أي لو كانت الآية (نعبد إياك) لاحتمل أن يفهم

منها: نعبد إياك وغيرك أو كما نعبد غيرك.

ومنه قوله تعالى: **﴿إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [البقرة/١٧٢]، وقوله تعالى: **﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتُلْتُمْ لِإِلَيِّ اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾** [آل عمران/١٥٨]، قدم الجار والمحرر (إلى الله) على الفعل لإفادته معنى التخصيص أي إلى الله لا إلى غيره تحشرون.

قال الشاعر:

إلى الله أشكو من عوادي البوى سـهـماـ  
أصابـ سـيدـاءـ الفـؤـادـ وـماـ أـصـمىـ  
أـيـ إـلـىـ اللهـ لـاـ إـلـىـ غـيرـهـ.

وقال الشاعر:

إـلـىـ اللهـ أـشـكـوـ لـاـ إـلـىـ النـاسـ أـتـيـ  
أـرـىـ الـأـرـضـ تـبـقـىـ وـالـأـخـلـاءـ تـذـهـبـ  
هـذـاـ تـجـدـ جـمـهـورـ الـبـلـاغـيـنـ يـقـدـرـونـ الـفـعـلـ فـيـ (بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ) مـؤـخـراـ  
أـيـ بـسـمـ اللـهـ أـبـداـ وـاقـرـأـ لـيـقـدـمـ مـعـنـ الـاـخـتـصـاصـ وـالـمـرـادـ: بـاسـمـهـ لـاـ بـاسـمـ غـيرـهـ،  
وـحـرـجـواـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: **﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** [العنكبوت/١]، بـاـنـ الـأـهـمـ هـنـاـ  
هـوـ فـعـلـ الـقـرـاءـةـ (اقـرـأـ) فـهـيـ أـوـلـ سـوـرـةـ نـزـلـتـ.

وقد يتقدم المتعلق لرعاية الفاصلة القرآنية كما في قوله تعالى: **﴿فَأَوْجَسَ فِي  
نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾** [طه/٦٧]، فقدم المفعول (خيفة) على الفاعل ليناسب فواصل الآيات الأخرى: **﴿قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ فَلَذَا حِيَّلُهُمْ وَعَصَيْهِمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سُخْرِيهِمْ  
أَلْهَى تَسْعَى﴾** (٦٦) **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾** (٦٧) **فَلَمَّا لَأَتَخْفَ إِلَكَ أَلْتَ الْأَعْلَى﴾** [طه/٦٦ – ٦٨].

أما التأخير فاعلم أن الداعي إلى تأخير المسند إليه – إذا كان مبتدأ – هو الداعي إلى تقدم المسند، وأن تأخير المسند أصل فيه.

واعلم أن الداعي إلى تأخير الفاعل هو الداعي إلى تقدم المفعول.

## أحوال أخرى تعرض للمسند إليه

تعرف في النحو أن الصفة والبدل والتوكيد والمعطف توابع، فالصفة تتبع الموصوف، والبدل يتبع المبدل منه، والتوكيد يتبع المؤكّد، والمعطف يتبع المعطوف عليه. والتابع لفظ يتقدّم في نوع إعرابه بنوع الإعراب في لفظ معين متقدم عليه يسمى المتبع لذلك يأتي هذا التابع متّسراً دائماً.

فإذا كان المتبع مرفوعاً أو في محل رفع كان التابع كذلك كقولك: (أقبل موسى وخالد)، وإذا كان المتبع منصوباً أو في محل نصب كان التابع كذلك: (زرت مكانة المكرمة)، وإذا كان مجروراً أو في محل جر كان التابع كذلك: (عمدت إلى إعراب الشواهد كلّها).

والبلغيون يعنون ببيان المعاني التي يؤديها التابع والأغراض البلاغية التي يفيدها:

أولاً: وصف المسند إليه:

من أغراض الصفة الكشف عن معنى الموصوف وإيضاحه، وقد مثل الفزويني لذلك بالعبارة الآتية: (الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغلها)، فهذه الصفات: الطول والعرض والعمق مبيّنة ل Maher المسند إليه (الجسم) وكاشفة عن معنله، ولعل من هذا قول البارودي:

فإنْ أَكُ فارقتُ الديارَ فلِي هَا      فوادِ أَضْلَّهُ عِيُونُ الْمَهَا مَنِي

كشفت الصفة (أضلته) عن ماهية المؤاد وهو مسند إليه هنا.

ومن أغراضها التخصيص كقولك: (خالد الطيب سافر) عندما يكون ثمة خالد العالم، وخالد الخطيب، وخالد الشاعر، وخالد الطيب؛ فخصصت بالصفة (الطيب)

الموصوف حالداً الذي أردهه ولعل من هذا قول كعب بن زهير:  
أمست سعاد بأرض لا يلتفها      إلـا العـاق النـجـيـات المـراسـيل  
فـخـصـ بالـصـفـةـ (ـالـنجـيـاتـ)ـ المسـنـدـ إـلـيـهـ (ـالـعـاقـ)ـ.

قال تعالى: **(وَلَعْبَةٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَغْبَجْكُمْ)** [البقرة/ ٢٢١].  
ومن أغراضها التوكيد كقولك: (مضى أمس الدابر) أكَدتَ المسند إليه (أمس)  
بالصفة (الدابر)، وقولك (العلمان الآثان حاضرا في الجامعه) أكَدتَ بالصفة (آثان)  
عددَهَا. ومنه في غير المسند إليه قوله تعالى: **(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَعَذَّرُ لِلَّهِنَّ اثْنَيْنِ إِلَمَا**  
**هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَا يَأْتِيَ فَارِهَتُوْنَ)** [التحل / ٥١]، فإنه لو لا الصفة (اثنين) والصفة  
(واحد) لاحتُمل أن يكون المراد النهي عن اتخاذ الإله لا عن تعدده، وإثبات الآلهة لا  
وحدهما، فازال هذا الاحتمال بتأكيد الإلهيين بالإثنية والإله بالوحدة.

ومن أغراضها المدح كان يقول: الخليفة العادل عمر بن الخطاب زرع في النفوس  
الطمأنينة.

ومنها الذم كأن يقول: لا يقرب الرجل الجاهل مجالس العلم، قال البارودي:  
وصاحِبِ كَهْمُومِ النَّفْسِ مُعْتَرِضٌ      مَا بَيْنَ تَرْقُوَةِ مَنْيٍ وَأَحْشَاءِ  
إِنْ قَالَ خَيْرًا فَعَنْ سَهْوِ أَمْ بَهْ      أَوْ قَالَ شَرًا فَعَنْ قَصْدٍ وَإِمْضَاءِ  
لَا يَفْعُلُ السُّوءَ إِلَّا بَعْدَ مَقْدَرَةٍ      وَلَا يَكْفُكُ إِلَّا بَعْدَ إِيْذَاءِ  
عَاشِرَتُهُ حَبْقَةً مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ      فَكَانَ أَقْلَلُ مِنْ دَاءِ لَحْوَيَاءِ  
فَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مُثْلَ الْهَمِّ الَّذِي لَا يَغْاَدِرُ أَحْشَاءَ وَضْلَوعَهُ، وَبِأَنَّهُ لَا يَفْعُلُ الْخَيْرَ إِلَّا  
خَطَا وَبِأَنَّهُ يَقْصُدُ إِلَى الشَّرِّ.. فَهَذَا الذَّمُ فَهَمَنَاهُ مِنْ خَلَالِ الصَّفَاتِ الَّتِي وَصَفَهَا  
المسند إليه (صاحب) وهي: (كهوم) (إن قال خيراً) (لا يفعلسوء).

**ثانياً: الإبدال منه:**

وهذا يفيد تقرير الحكم وقويته بتعيين المراد ورفع الاحتمال عنه كقولك: (زيد أخوك رجل كريم) فالبدل (أخوك) قوى حكم المبدل منه (زيد) وعين مراد المتكلّم بحيث لا يخطر في بال المخاطب أن المراد زيد آخر.

قال أبو تمام:

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هِمْتَهَا      يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

**ثالثاً: توكيده:**

يؤكد المسند إليه بأحد التوكيدتين المنطقية والمعنوية فيفيد بذلك أغراضًا بلاغية

منها:

— تقرير الكلام وثبتته تحقيقاً لموهبه، كقولك (الأم الأم أذب ما ينطق به الفم) فلفظ (الأم) الثاني توكيده لفظي، وقد جاء هذا التوكيد مثبتاً في ذهن السامع المنطق الموكد (الأم) ومقرراً إياه، قال أحمد شوقي:

النِّيلُ النِّيلُ بِنَحْنِي هَا هِيَ      أَمْوَاحُهُ هَتَّافٌ بِي مَنَادِيَهُ

— دفع توهّم عدم الشمول: كقولك (جاعني القوم كلهم) لئلا يتوهّم السامع أن بعضهم لم يجيء، أو أنه جاء وأنت لم تأبه بجيئه، قال تعالى: «**(لَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ)**» [الحجر / ۳۰].

— دفع توهّم السهو: كقولك (جاعني زيد زيد) لئلا يتوهّم السامع أن الجائني غير زيد وأنك ذكرت زيداً على سبيل السهو، قال الشاعر:

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبِ لَكَ زَلَّةً      فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِرَتْهِ عَذْرَاً

— دفع توهّم التحوز كقولك: (زارني الأمير نفسه) فلو لا التوكيد (نفسه) لاحتمل السامع أنك تحوزت في الكلام أو أنك لم تكن دقيقة، ولما أكدت أزلت ذلك الاحتمال عنه.

#### رابعاً: العطف عليه:

العطف على المسند إليه له أغراض منها:

- تفصيل المسند إليه مع الاختصار كقولك: (أقبل زيد و خالد و سعيد)  
ألا ترى أنك في هذا العطف اختصرت العبارات: (أقبل زيد أقبل خالد أقبل  
سعيد).

قال تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ  
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاطِئِينَ وَالْخَاطِئَاتِ  
وَالْمُحْسَنِاتِ وَالْمُحْسَنَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَاللَّذِكِيرِينَ اللَّهُ  
كَبِيرًا وَاللَّذِكِيرَاتِ أَعْدَ اللَّهُ لَهُمْ مُغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الأحزاب / ٣٥].

قال النبي:

الخييل والليل والبيداء تعرفني      والسيف والرمح والقرطاس والقلام

— رد السامع عن الخطأ كقولك: ( جاءني زيد لا خالد ) لمن اعتقد أن خالداً  
جاءك دون زيد، أو أحما جاءاك معاً، قال أبو فراس الحمداني:

فقالت: لقد أزرتني بك الدهر بعذنا      فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر

— الإضراب: كقولك عن زيد (أخوه بل أبوه جاهل).

— التخيير: لتقم هند أو فاطمة بإلقاء البحث.

خامساً: بيانه:

المقصود ببيان المسند إليه بمحى عطف البيان بعده، وعطف البيان تابع  
موضع متبعه وخاصص له، وهو جامد يخالف متبعه في لفظه ويوافقه في  
معناه المراد منه بالذات، وهو بمنزلة التفسير للأول باسم آخر مرادف له  
يكون أشهر منه في العرف والاستعمال<sup>(١)</sup>، كقولك (عروة بن الورد شاعر

<sup>(١)</sup> انظر النحو الراقي ٣/٥٤.

صلوک) فلفظ (بن) هنا عطف بيان وضع المسند إليه (عروة) وخصمه، وهو كما ترى لفظ جامد لا يمكن تأويله بمشتق، ولو لم يكن كذلك لكان صفة، والبالغون يمثلون لهذا النوع بشعر بعض العرب قال فيه:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر  
فلفظ (عمر) بيان لـ (أبو حفص) وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول الشاعر: حلف أبو حفص رضي الله عنه إن ناقتي ليس لها رقة في الخف (وهذا معنى نقب) ولا جرح بالظهر (وهذا معنى دبر)<sup>(١)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> انظر شرح الألتفة لابن الناظم / ١٥٤، أقول: قد يختلط عطف البيان وبدل الكل من الكل (المطابق) فيحصل أحدهما على الآخر، قال عباس حسن: (التفقة بينهما فائمة على غير أساس سليم، فمن الخبر توجيهها لما في هذا من التيسير وبعبارة العامة، أما الرأي الذي يفرق بينهما في بعض الحالات فرأي قام على التحيل والخذف والتقدير) النحو الراوي / ٣ . ٥٤٦

## تدريبات محلولة على حالات الإسناد

ما الحالات التي عرضت للمسند فيما يلي وما الداعي البلاغي لذلك:

١— قال تعالى: «لَئِنْ عَبَدَيْ أَكْيَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنْ عَذَابِي هُوَ  
الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» [الحجر / ٤٩ - ٥٠]. جاء المسند (الغفور) و(العذاب) معرفتين  
باللام لإفاده القصر الحقيقي إذ لا يكون الغفران إلا من الله عز وجل ولا يكون  
العذاب الأليم إلا منه سبحانه وتعالى.

٢— قال تعالى: «كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبِينَ أَكَيْ وَرَسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»  
[المجادلة / ٢١]، ذكر المسند (قوى) وهو اسم (لا فعل) ليفيد معنى الثبوت، فالله تعالى  
منزه عن الضعف، وقوته عز وجل ثابتة مستقرة لا كفوة المخلوق.

٣— قال الشاعر:

بأنـا المـطـعـمـونـ إـذـاـ قـدـرـنـاـ      وـأـنـاـ الـمـهـلـكـوـنـ إـذـاـ اـتـلـيـنـاـ  
جاء المسند (المطعمون) و(المهلكون) معرفتين باللام فأفاد تعريفهما القصر لكنه  
قصر ادعائي فالشاعر يدعي أنه وقومه المطعمون وكأن غيرهم لا يتصف بهذه الصفة.  
وقل ذلك في (المهلكون).

٤— قال الشاعر:

خـلـيلـيـ هـلـ طـبـ فـلـيـ وـأـنـمـاـ      إـنـ لـمـ تـوـحـاـ بـالـهـوىـ دـنـفـانـ  
حـذـفـ المسـنـدـ وـهـوـ خـبـرـ (طـبـ) لـضـيقـ المـقـامـ وـلـمـرـادـ هـلـ طـبـ حـالـتـناـ، وـحـذـفـ المسـنـدـ  
وـهـوـ خـبـرـ (إـنـيـ) لـدـلـالـةـ خـبـرـ (أـنـمـاـ عـلـيـهـ) وـخـبـرـ الـأـخـيـرـ (دـنـفـانـ).

٥— قال امرؤ القيس:

فـقـلـتـ يـمـيـنـ اللـهـ أـبـرـحـ قـاعـداـ      وـلـوـ قـطـعـواـ رـأـسـيـ لـدـيـكـ وـأـوـصـالـيـ

حذف المسند وهو خبر (يمين) جريأً على عادة العرب في حذف الخبر بعد المبتدأ  
الدال على القسم والمراد: يمين الله قسمى.

ما الحالات التي عرضت لتعلقات الفعل فيما يلي وما الداعي البلاغي لذلك.

١— قال تعالى: **«فَبِهَذَا هُمْ افْتَدُوا»** [الأنعام / ٩٠].

ذكرت الآيات قبلها إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ونحواً.... ثم قالت: فبهدتهم  
اقتده، فقدم المتعلق بالفعل وهو الجار والمحرر (هذاهم) على الفعل (افتدا) فأفاد معنى  
الاختصاص أي اختص هداهم بالاقداء ولا يقتدى إلا بهم وذلك بالأخلاق الحميدة  
على بعض الأقوال، قال أبو حيّان: أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية بعكارم الأخلاق،  
أمر بتوبيه آدم وشكر نوح ووفاء إبراهيم وصدق وعد إسماعيل وحلم إسحاق وحسن  
ظن يعقوب واحتمال يوسف وصبر أبوب وتواضع سليمان وإنفاق موسى وعبادة  
زكريا وعصمة يحيى وزهد عيسى، وهذه المكارم التي في جميع الأنبياء اجتمعـتـ في  
الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك وصفه الله بقوله: « وإنك لعلى خلق عظيم».

٢— قال تعالى: **«وَإِنْ نَشَاءُ لَنُغْرِقُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ»** [بس / ٤٣].

حذف مفعول (نشاء) لأن هذا موضع بيان بعد إيهام وهو مفعول المشيئة والمراد:  
(إن نشاء إغرائهم نغرقهم).

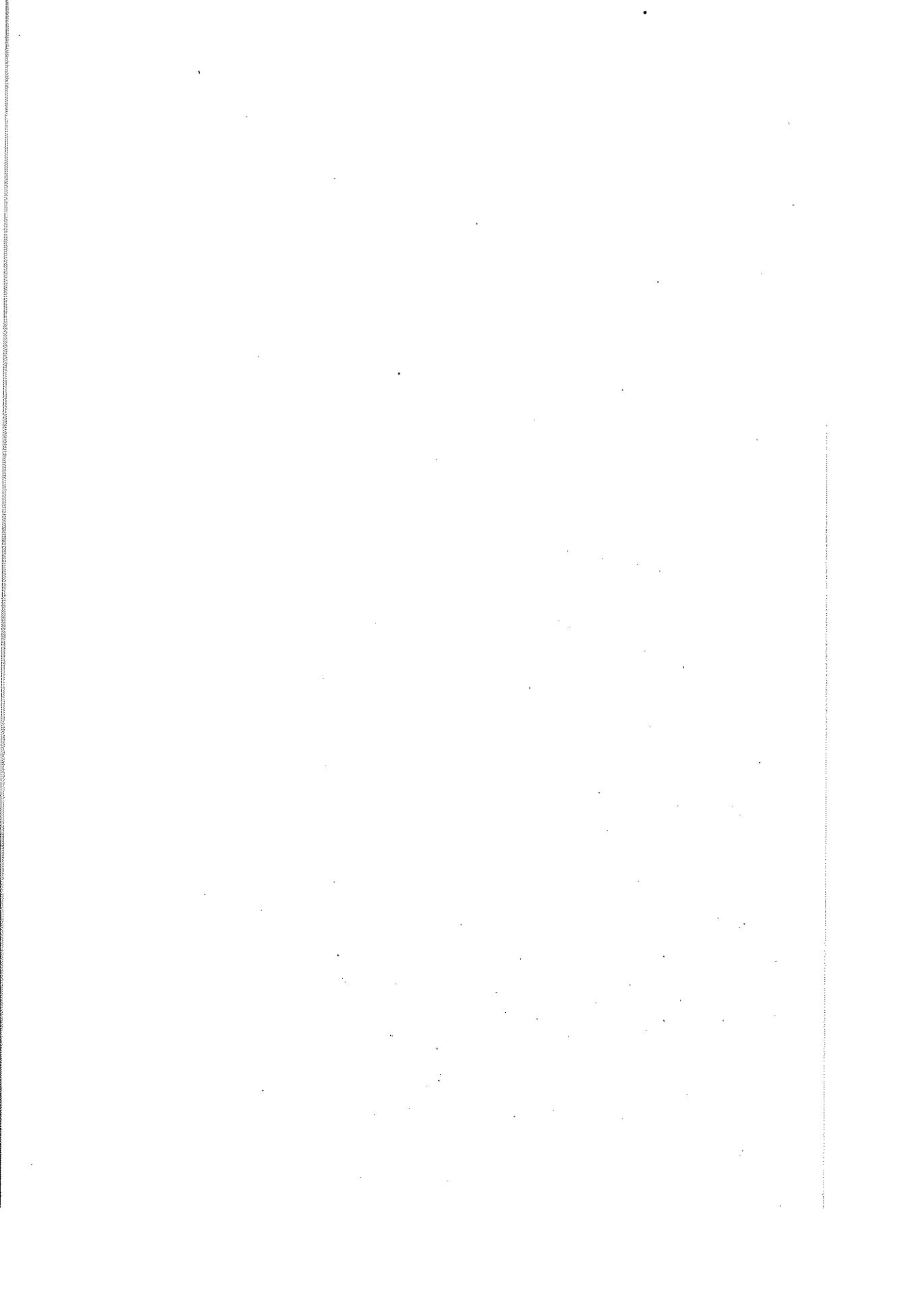
٣— قال أبو العاتية:

إِنِ رَأَيْتَ بِعَوَاقِبَ الدُّنْيَا فَرَكِّتُ مَا أَهْوَى لِمَا أَخْشَى  
حُذف مفعولاً (أهوى) و(أخشى) لأهم ما مفهومان من السياق والمراد: ما أهواه  
من الدنيا لما أخشاه من عواقبها.

٤— قال تعالى: **«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُهُ وَعَلَيْهِ فَلَمْ يَتَوَكَّلْ مَنْ تَوَكَّلْنَ»**  
[يوسف / ٦٧]، قدم المتعلق بالفعل وهو الجار والمحرر (عليه) على الفعل (توكلت)  
أفاد معنى الاختصاص والمراد حلبه لا على غيره.

ومثله قول الشاعر مادحاً:

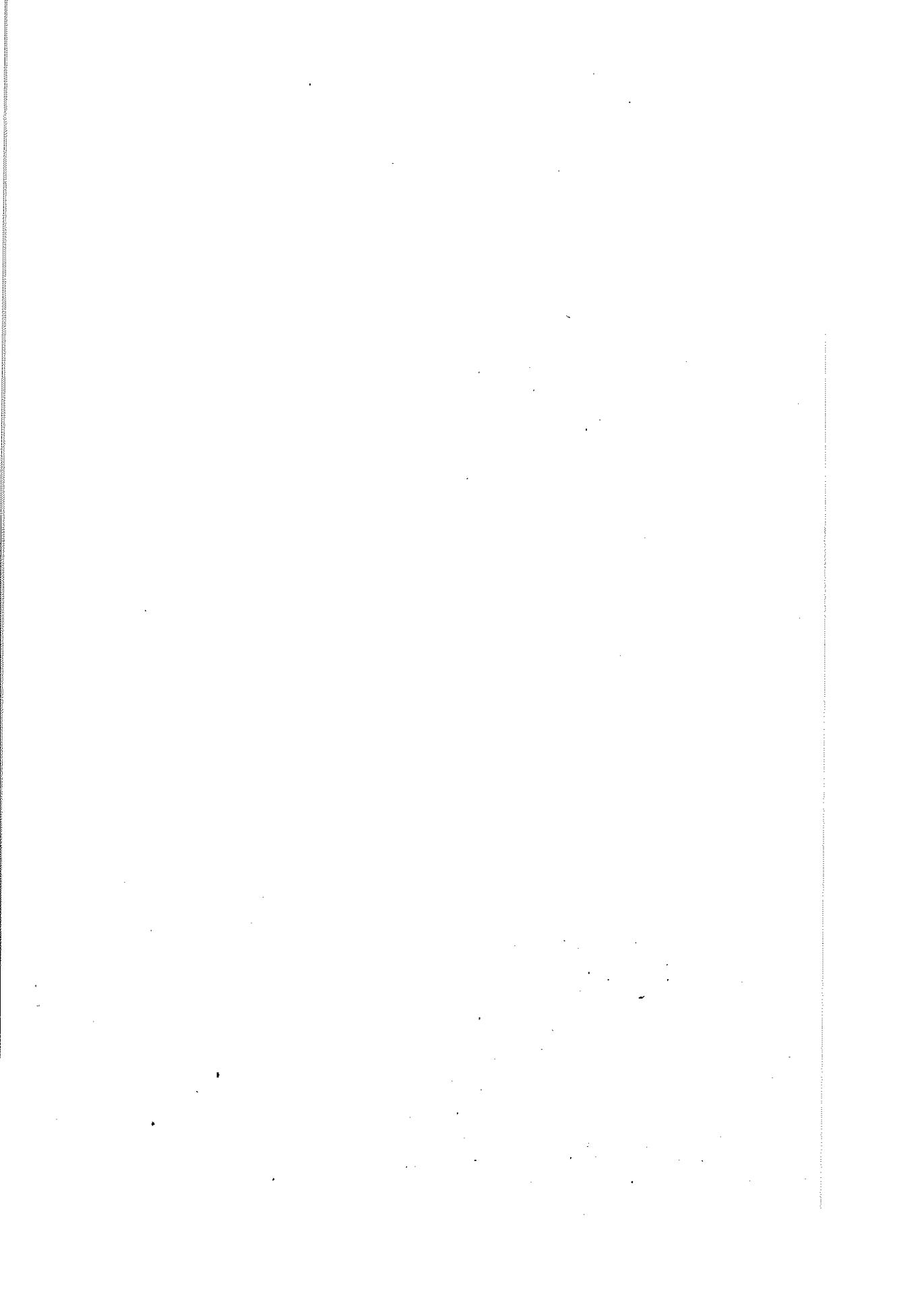
سيفك يعلو الحق وأغلبُ وينصرُ دينَ الله أيان تضربُ



## **الفصل الثالث**

### **القصر**

**تعريفه — طرقه — أنواعه**



## القصر

القصر — لغة — يعني الحبس، يقال: قصرته: أي حبسه، قال تعالى: **«خسورة مقصورات في الخيام»** [الرحمن/٢٢]، أي: محبوسات في خدورهن.  
والقصر — اصطلاحاً — تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، أو هو إثبات حكم في الكلام، ونفيه عن سواه بإحدى طرق القصر.

مثال ذلك أنا إذا قلنا: (عترة شاعر)، نكون قد نسبنا الشاعرية إلى (عترة) بحملة خيرية خالية من أي تأكيد؛ لأن الموقف لا إنكار فيه، لكننا لم نقصرها عليه، يمْعِن أنه قد يشترك مع (عترة) كثيرون في هذه الصفة؛ لأنه ليس ثمة ما يشير إلى أنها مختصة به لا تفارقها لغيره.

أما إذا قلنا: (ما شاعر إلا عترة)، فإن التعبير يكون قد اكتسب صفة التخصيص والملازمة عن طريق نفي الشاعرية عن كل إنسان، وإثباتها لعترة وحده، ودليل ذلك أنا إذا ما حلفنا (ما + إلا) فسنجد أن التخصيص قد زال منه، وكأنه لم يكن.  
والموقف الذي اقتضى إضافة (ما + إلا) هنا هو موقف المبالغة في فهم الصفة وإسنادها للموصوف، ذلك أن شدة إعجاب الناس بعترة جعلتهم يتصرّفون أن لا شاعر سواه.

طريقاه:

للقصر طرفاً:

١— المقصور: وهو الشيء المخصوص.

## ٢— المقصور عليه: وهو الشيء المخصص به.

فإذا قلنا: (لا رازق إلا الله) نكون قصرنا صفة (الرّزق) على (الله) وحده، ونفيتها عن غيره، فكلمة (رازق) هي المقصور، ولله الحمد (الله) هو المقصور عليه.

### طرق القصر:

طرق القصر المشهورة أربعة:<sup>(١)</sup>

#### ١— النفي والاستثناء:<sup>(٢)</sup>

ويكون المقصور عليه ما بعد أدلة الاستثناء، نحو قوله:

١— (لا يعلم الغيب إلا الله)، ومنه قول الشاعر:

وَمَا العِيشُ إِلَّا مَدْةٌ سَوْفَ تَنْقَضِي      وَمَا الْمَالُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ  
قصرنا في المثال الأول (علم الغيب) على الله سبحانه وتعالى، لا يتعداه لغيره، وقصرنا (العيش) في البيت على كونه مدة من الزمان لا تثبت أن تنقضى، وطريقة القصر كانت في المثالين واحدة، وهي: (النفي والاستثناء)، والمقصور عليه كان دائمًا — بعد أدلة الاستثناء.

#### ٢— إنما:

ومقصور هو الكلمة الأولى بعدها، أما المقصور عليه فهو مؤخر

(١) هناك طرق أخرى للقصر؛ مثل: التصريح بلفظ (وحده) أو (غير)، أو (فقط)، أو استعمال مادة حصن أو قصر، ونحوهما، وتوسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، نحو (محمد هو الشجاع)، وتعريف المستند أو المستند إليه بـ (ال)، وهذه الطرق أوصلها السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن ٥٠/٢٥ إلى أربعة عشر طريقة، لكن البلاطين أقصوها من دراستهم؛ لأنها خالية من اللطائف البلاغية.

(٢) كل أدوات النفي تصلح للدخول في أسلوب القصر ما عدا (لما) لأن المنفي لها يشترط أن يظل منفيًا حتى لحظة التكلم، كما أن كل أدوات الاستثناء تصلح للدخول في أسلوب القصر نحو: (إلا، وغيره، وسوى... وما في معناها).

وجواباً<sup>(٤)</sup>، أو هو ما ختلت به جملة القصر، نحو قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات / ١٠]، فقصر قوله: (المؤمنون) على كونهم (إخوة)، فالمقصور هو الكلمة الأولى بعد (إنما)، والمقصور عليه هو المؤخر، أي (إخوة).

وعليه قول المعري يهاجم المذاهب السياسية المتعارضة في عصره:

**إِنَّمَا هَذِهِ الْمَذَاهِبُ أَسْنَابٌ تَجَلِّبُ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤْسَاءِ**

وقد نبه عبد القاهر إلى مزيتين الثنتين لـ (إنما):

الأولى أنها تجيء في خبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو في خبر ينزل هذه المنزلة، فقولك للرجل: (إنما هو أخوك) لا يقال لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن من يعلمه ويقرُّ به إلا أنك تريد أن تنبه للذى يجب عليه من حق الأخ، وكذا في قول المتنى:

**إِنَّمَا أَنْتَ وَالْدُّ وَالْأَبُ الْقَادِرُ طَعْمُ أَحْسَنِ مَنْ وَاصَلَ الْأَوْلَادِ**  
لم يرد أن يعلم كافورا أنه والد ولا ذلك مما يحتاج إليه كافور إلى الإعلام، ولكن أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبني عليه استدعاء ما يوجهه كونه بمنزلة الوالد.

ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: «إِنَّمَا تَنْلِيَرُ مِنْ أَقْبَعِ الذَّكَرِ» [يس / ١١]، فالإنذار يكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله ويخشاه ويصدق بالبعث وال الساعة.

الثانية أنها — إلى جانب القصر — قد تفيد التعریض، كما في قوله تعالى: «إِنَّمَا يَنْذَكِرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» [الرعد / ١٩]، فلو كانت الآية بغير (إنما) أي لسو كانت (يذكر أولو الألباب) لما دلت على التعریض، والسبب في ذلك أن هذا التعریض وقع بأن كان من شأن (إنما) أن تضمن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات، والتصریح

<sup>(٤)</sup> لا يجوز تقديم المقصور عليه هنا، لكون التأثير دليل القصر عليه، كما أن في تقديم إرهاكاً للمعنى، فكل من الفاعل والمفعول الواقعين بعد الفعل يحمل أن يكون هو المقصور عليه دون الآخر، إذ ليس مما يشير إلى كون أحدهما هو المقصور عليه. (إنما) تكون من (إن) الحرف المشبه بالفعل و(ما) الكافية، ويقال لها: كافية ومكفرة.

بامتناع التذكرة من لا يعقل، وسقوطها من الكلام (يذكر ألو الألباب) مجرد وصف لأولى الألباب بأهميتها، ولم يكن فيه معنى نفي التذكرة عن من ليس منهم، وحال أن يقع تعریض لشيء ليس له في الكلام ذكر ولا فيه دليل عليه.<sup>(١)</sup>

### ٣— القصر بثلاثة حروف عطف. (بل، ولكن، ولا):

أما العطف بـ (بل) و(لكن) فإن المقصور عليه يأتي بعدهما، والمقصور هو الكلمة الأولى، مثال ذلك قول ابن الرومي رأينا والله:

ما أصبحتْ دُهَمِيَّ لِي وَطَنَ      بَلْ حَيْثُ دَارُكَ عَنْدِي الْوَطَنْ

وقول ابن المعتز:

لِيْسَ التَّحَبُّ مِنْ مَوَاهِبِ مَالِهِ      بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا  
وقول الشاعر:

مَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينٍ ثَابَعْتُ      عَلَيْ وَلَكِنْ شَيْئِي الْوَقَائِعْ  
فَقُصْرٌ فِي الْمَثَالِ الْأَوَّلِ (وَطْنِهِ) عَلَى كُونِهِ مَقْصُورًا عَلَى (دارِ ولدِهِ) وَنَفِي مَقْبِلٌ  
ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَهُ وَطَنًا. فَالْمَقْصُورُ (الْوَطَنُ)، وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ (الْدَّارُ الَّتِي حَلَّ هَا  
وَلَدَهُ)، وَهِيَ الْقِرْبُ هُنَا.

وفي البيت الثاني فُصُرَّ التَّحَبُّ عَلَى كُونِهِ مَقْصُورًا عَلَى (سَلَامَةِ أَمْوَالِهِ إِلَى  
أَوْقَاتِهَا)، وَنَفِي مَقْبِلٌ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ التَّحَبُّ مِنْ (مَوَاهِبِ مَالِهِ).

والقول نفسه يسري على البيت الثالث.

ويشترط في القصر بـ (بل) و(لكن) أن تسبقاً بنفي أو نفي، وأن يكون المعطوف هما مفرداً، وألا تفترن (لكن) بالواو، فإذا قلت: (المتنى كاتب بل شاعر) كان معناه ثبوت الشاعرية للمتنى مع السكوت عن نفي الكتابة عنه، وهذا ليس بقصْر وإنما

(١) يصرُّ من دلائل الإعجاز (بحضرة د. النابية) ص ٢٤٨.

إضراب وعدول عن شيء آخر.

أما القصر بـ (لا) فيكون المقصور عليه هو المذكور قبلها مباشرة، أو بعبارة أخرى هو المقابل لما بعدها. ففي قولنا مثلاً (نجيب محفوظ روائي لا شاعر) ننظر إلى الكلمة الواقعة بعد (لا) ونحدد على أساس منها المقصور عليه، وهو – كما ذكرنا – الكلمة التي تقابلها، فحين نقع بعد (لا) على كلمة (شاعر)، فإننا نجد في المقابل لها في العبارة (روائي).

ومن خصائص القصر بـ (لا) أنها تأتي دائمًا في المثبت، ولا تأتي مع النفي وال الاستثناء، فلا يصح القول: (ما روائي إلا نجيب محفوظ لا المتنى).

ومن أمثلة العطف بـ (لا): (قولهم: الدنيا دار ضيافة لا دار إقامة)، ومنه قول ابن الرومي:

أمواله في رقاب الناس من مئنٍ      لا في الخزائن من عينٍ ومن تشبٍ<sup>(١)</sup>  
قصر في المثال الأول (الحياة الدنيا) على كونها داراً للضيافة، ونفي في مقابل ذلك أن تكون دار إقامة. فالمقصور هو (الدنيا)، والمقصور عليه هو (دار ضيافة). وقصر ابن الرومي (أموال المدوح) على كونها ثابتة في رقاب الناس، ونفي أن تكون في الخزائن، فالمقصور (أمواله)، والمقصور عليه كونها (في رقاب الناس).

٤- تقديم ما حقه التأخير: <sup>(٢)</sup> كتقديم الخبر على المبتدأ (ما لم يكن المبتدأ نكرة)، وتقدم المستند إليه على الخبر الفعلي، وتقدم المعمولات، على نحو ما سبق في دراسة التقديم والتأخير. وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم، نحو: راكباً جاء، ومسلم أنا، والأداب أدرس، وفي الصيف أسافر. إلى الله أشكو حالي. (إياكَ نعبد) ومنه شعرًا:

<sup>(١)</sup> العين: الذهب والفضة، والنشب: المال.

<sup>(٢)</sup> ليس كل تقديم يفيد القصر أو التخصيص، إذ مثلاً أغراض أخرى له، سبقت الإشارة إليها في مبحث التقديم والتأخير.

لنا الْدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا      وَبَطَشَ حِينَ بَطَشَ قَادِرِينَا  
وَقُولُ الْفَطْمَشُ الصَّنْيُ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُوا لِلنَّاسِ أَشْكَى      أَرَى الْأَرْضَ تَبَقَّى وَالْأَخْلَاءُ تَذَهَّبُ  
فَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ فِي بَعْدِهِ هُوَ الْمَقْدُومُ، أَوْ هُوَ الْكَلْمَاتُ الْأُولَى، أَمَا  
الْمَقْصُورُ فَهُوَ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ.

وَالملحوظ في طرق القصر أن الطرق الثلاثة الأولى يفهم القصر فيها عن طريق  
الوضع اللغوي؛ لأن الواقع وضعها لتفيد ذلك، أما تقدم ما حقه التأخير فإن معنى  
القصر يفهم فيه من سياق الكلام، وهو ما يحتاج فيه إلى الذوق السليم، والبحث في  
موقع الكلمات، وربط ذلك بالمقام.

## أقسام القصر

يُقسَّم القصر إلى ثلاثة أقسام:

١— قصر بحسب طرفيه.

٢— قصر بحسب غرض المتكلم.

٣— قصر بحسب حال المخاطب.

أولاً: أقسام القصر بحسب طرفيه:

يُقسَّم القصر بحسب طرفيه إلى قسمين:

١— قصر صفة على موصوف.

٢— قصر موصوف على صفة.

والمقصود بالصفة هنا الصفة المعنوية<sup>(١)</sup>، أي المعنى الذي يقوم بغيره، وليس النعت بمعناه التحوي؛ ولذلك تشمل الفعل ونحوه: أما الموصوف فهو في الغالب اسم ذات سواء أكان إنساناً، أم نباتاً، أم حيواناً، أم جاداً. فإذا قلنا - مثلاً: (نطر السماء) تكون وصفنا (السماء) بالإمطار؛ (فالسماء): موصوف، و(نطر) صفة. وإذا قلنا: (للحدران آذان)، تكون وصفنا الحدران بامتلاك آذان، فـ (الحدران) موصوف، و(آذان) صفة.

ومعنى قصر الصفة على الموصوف: أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف غيره، فهي مختصة به، مقصورة عليه. أما قصر الموصوف على الصفة: فمعناه أن الموصوف لا يفارق الصفة المثبتة له إلى غيرها.

ولتحديد نوع القصر ينظر إلى المقصور، فإذا كان صفة فهو قصر صفة على موصوف، وإذا كان موصوفاً فهو قصر موصوف على صفة. وأمثلة ذلك:  
— قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا يُعْثِتُ لِأَنَّمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ».

— قول الشاعر:

وَمَا نَالَ الْمَنِيَ فِي النَّاسِ إِلَّا غَيَّرَ الْقَوْمَ، أَوْ فَطَنَ تَغَيَّبَ  
فالمقصور في الحديث الشريف هو (يُعْثِتُ)، والمقصور عليه (وقد ذكرنا أنه مؤخر وجوباً) (لأنَّمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ)، فهو من قصر الموصوف على الصفة، إذ قصر بعثته وهي الموصوف على إثمام مكارم الأخلاق وهي الصفة.

والمقصور في البيت الشعري (نال المني)، والمقصور عليه (غيّر القوم..)، فهو من قصر الصفة على الموصوف، إذ قصر صفة (نيل المني) على كونها ملازمة (لغيّر القوم)، أو لفظن متغاب.

<sup>(١)</sup> المقصود بالصفة المعنوية بلا خبرها هي كل ما يصح أن يوصف به سواء أوقفت خبراً، أم نعتاً، أم حالاً، أم اسماءً، أم فعلاءً، أم غير ذلك.

وئمه سؤال يمكن أن يُطرح هنا، هو ما الفرق بين النوعين؟ وما تأثير هذا الفرق في إصابة المعنى المراد؟

وجواب ذلك أنت إذا قلتنا (ما المتنى إلا شاعر)، تكون قد قصرنا (المتنى) على صفة (الشاعرية)، أي قصرنا الموصوف على صفة بعينها، وكان استخدام هذا التعبير للرد على من اعتقد أن المتنى شاعر وكاتب، فاردت أن تبين له أن الموصوف، وهو (المتنى)، يقتصر على صفة واحدة هي الشاعرية.

أما إذا قلت في قصر الصفة على الموصوف (لا شاعر إلا المتنى) فستلاحظ أن المعنى قد تغير تماماً؛ لأنك قصرت صفة الشاعرية على هذا الشاعر وحده، وكأنك بذلك ترد على من اعتقد أن غير المتنى يشتراك معه في هذه الصفة، فاردت، أن تنفي ذلك الاعتقاد، وأن تقتصر الشاعرية على المتنى وحده.

### ثالياً: أقسام القصر بحسب الواقع والحقيقة:

يقسم القصر بحسب الواقع والحقيقة إلى:

١— قصر حقيقي: <sup>(١)</sup> وهو ما كان التخصيص فيه وفقاً للواقع حقيقة لا يتخلوzer إلى غيره قط. مثل قوله: (لا إله إلا الله)، هذا المثال قصرنا صفة الألوهية على الله وحده لا تتجاوزه إلى غيره، ولا تختص بأحد سواه، فهو بذلك قصر صفة على موصوف قسراً حقيقياً، لأن الواقع يؤكد حقيقة هذا الكلام، وأن لا إله في الوجود سواه.

٢— قصر إضافي (غير حقيقي): وهو ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه. نحو (ما فارس إلا عنترة)، فقصرت صفة الفروسية عليه بالنسبة لشخص غيره كزهير مثلاً، وليس قصدك قصر هذه الصفة

<sup>(١)</sup> ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقي الادعائي ويأني على سبيل المبالغة فإذا قلت: (إنما الشاعر عنترة) فاصدأ نفسي الشاعرية عن غيره، لا يبارك هذا الشاعر، وعدم اعتقادك بغيره، كان هذا القصر حقيقياً ادعائياً، أي على سبيل المبالغة والادعاء، لا على سبيل الحقيقة والواقع.

عليه، لأن الواقع يشهد ببطلانه.

ووفقاً لهذين النوعين، يقسم القصر بحسب حال المقصور إلى أربعة أقسام:

١- قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً: وفيه يختص المقصور بالمقصور عليه بصفة لا تختص إلا به، ولا تعوده إلى غيره، نحو:

— قال تعالى: **«وَعِنْهُ مَقَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»** [الأنعام / ٥٩].

— لا يروي دمشق من الأئمّار إلا بردي.

— لا غريب بينما إلا أحمّد (إذا لم يكن أحد غيره غريباً فعلاً).

فالقصر — فيما سبق — من قصر الصفة على الموصوف، وهو قصر حقيقي بحسب الواقع؛ فالعلم بأسرار الغيب مقصور على الله سبحانه وتعالى لا يتعداه إلى غيره. كما أن إرواء دمشق لا يتم إلا عن طريق ثغر بردي دون غيره من الأئمّار، فهذه الصفة حقيقة يشهد بذلك الواقع.

٢- قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً (غير حقيقي): ومعنى أن يقتصر الموصوف على صفة، وهذه الصفة لا ينفرد بها وحده، بل تتطابق عليه وعلى غيره وفقاً للحقيقة والواقع، لكن التكلم — ورغبة منه في المبالغة — يزعم أنها لا تسري إلا على هذا الموصوف. فإذا قلنا: ما الشاعر إلا المتنبي، أو كما قال السيد الحميري:

— **لَوْ خَيْرُ النَّبِيرِ فَرْسَانَهُ**      **مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَانَ**  
نكون قد قصرنا في المثال الأول صفة (الشاعرية) على (المتنبي) قصراً إضافياً وليس حقيقياً؛ لأن هذه الصفة لا تقتصر عليه ولا ينفرد بها، بل تجري — وفقاً للواقع — عليه وعلى شعراء غيره كثيرين، ولكن المخاطب — وبمبالغة منه في مدحه وتقديره — أو هنا أنه يستقل بها دون غيره.

وفي بيت الحميري قصر الشاعر صفة (اختيار النبير فرسانه) على كونها مقصورة عليهم، فالقصر هنا، من باب قصر الصفة على الموصوف، وهو بحسب الواقع ليس

حقيقةً، فالمثير لن يختار فارساً لا منهم ولا من غيرهم، ولكن الشاعر زعم أنه بإمكانه تحقيق ذلك مبالغة منه في إكبارهم وتقديرهم.

ومن أمثلة هذا النوع قول المتنبي:

لَا يَدْرِكُ الْمَحْدَدَ إِلَّا سَيِّدُ الْفَطَرَاتِ  
لَا يَشْتَقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ

وقول الآخر:

وَلَوْ حَتَّىٰ السَّرَّ سَلْمَىٰ حَمْلَهُ      وَهُلْ يَجْمِلُ الْأَسْرَارَ إِلَّا كَوْمُهَا

٣— قصر الموصوف على الصفة قصراً حقيقياً: ويعناه أن الموصوف يتصرف بصفة لا يتصرف بغيرها. وهذا النوع يكاد يكون معذوماً لاستحالته أن يكون لأي شيء صفة واحدة فحسب، فإذا قلنا قاصدين معنى القصر الحقيقي: (إنما محمد رسول الله) يكون هذا التعبير من باب قصر الموصوف على الصفة، ويعناه أن سيدنا محمداً — صلى الله عليه وسلم — مقصور على كونه رسولاً لله وليس فيه صفة سواها، وهذا أمر — بالتأكيد — ينفيه الواقع، لأنه ثمة صفات أخرى كثيرة يتصرف بها الرسول العظيم، منها أنه: زوج، وأب، وقائد، وحكيماً.. وغير ذلك.

ومن هنا نخلص إلى أن القصر الحقيقي يكون في قصر الصفة على الموصوف، ويتبعه وقوعه في قصر الموصوف على الصفة.

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: «مَا أَلْمَسْيَخُ إِنَّمَا مَرَّتِيمُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّؤْسُ» [المائدة/ ٧٥].

٤— قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً: ويعناه أن تقصر الموصوف على صفة ونخصه بها، ولكن — كما تبين لنا في النوع السابق — يتجاوزها إلى غيرها بحسب الحقيقة والواقع.

إذا قلنا مثلاً:

— إنما دمشق أقدم مدينة مأهولة في العالم.

## — ما الْرِّيَاضُ إِلَّا مَدِينَةٌ عَصْرِيَّةٌ.

نكون قد قصرنا مدينة دمشق على كونها أقدم مدينة مأهولة في العالم لا تتعدي هذه الصفة إلى صفات أخرى، وهذا أمر غير منطقي يرفضه الواقع، إذ ثمة صفات أخرى كثيرة تتصف بها هذه المدينة العريقة إضافة إلى كونها أقدم مدينة، منها: جمال طبيعتها، واتساع عمرها، وتعانق بساتين غوطتها، وجمعها بين الأصالة والمعاصرة، وسماحة أهلها.. وغير ذلك.

وبعبارة أخرى نقول: إنَّ كُلَّ قَصْرٍ موصوفٍ عَلَى صَفَّةٍ هُوَ قَصْرٌ إِضْسَابِيٌّ، إِذَا لَا يَعْقُلُ أَنْ يَحْدُدَ مَوْصُوفًا لِيُسَمِّي لَهُ إِلَّا صَفَّةً وَاحِدَةً فَحَسْبٌ، بَلْ مِنَ الْبَدَهِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَفَّاتٌ كَثِيرَةٌ.

ومن أمثلة هذا النوع شعرًا قول لبيد بن ربيعة:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِيهِ      بَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ  
ثالثاً: أنواع القصر بحسب حال المخاطب:

يقسم القصر تبعاً لحال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

١ - قصر إفراد: إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، وسي قصر إفراد؛ لأنَّه قطع الشركة التي اعتقدتها المخاطب من ناحية، وقصر الحكم فيه على فرد واحد من الاثنين اللذين اعتقد المخاطب أنهما شريكان فيها.

مثال ذلك: قد يعتقد المخاطب أن زيداً وعمراً قد أسهما في حملة التبرعات، وأردت أن تنفي اشتراكهما معاً في هذا العمل، وأن تقتصرها على زيد وحده، فتقول: (ما الحسن إلا زيد)، ف تكون قد أفردت (زيداً) هذه الصفة، وقطعت عن مخاطبك فكرة الاشتراك مع (عمرو).

٢ - قصر قلب: إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم، فيأتي القصر لقلب اعتقاده، كمن اعتقد أنك طيب وأنت في الحقيقة مهندس، وتريد أن تقلب له مفهومه، فتقول

له: ((إما أنا مهندس)، أي لا طبيب، فتكون بذلك قد قصرت نفسك على كونك مهندساً قصراً إضافياً من نوع القلب؛ لأن المخاطب يعتقد العكس.

٣— قصر تعين: وينحاطب به المتعدد أو الشاكل، فإذا كان المخاطب متعددًا في الحكم بين المقصور عليه وغيره، فيأتي القصر هنا لنزع الشك، وتحديد من ينبغي أن يقصر عليه الحكم.

تقول لشخص يشك في معرفة المتفوق من الطلاب: أهو زيد أم عمرو؟ (ما عمرو إلا المتفوق) فاصدأ إلى نزع الشك من نفسه، ومحدداً من ينبغي أن يقصر عليه الحكم.

يتبيّن لنا من دراسة القسم الثالث من أقسام القصر أن هذا النوع تتدخل فيه مجموعة من العوامل التي تحدد مساره، منها: حالة المخاطب، والسياق العام الذي قيل فيه التعبير، وكذلك ذكاء المتكلم وفطنته، وهذه العوامل تُمكّن المتكلّم من اختيار التعبير المناسب الذي يوافق فيه مقتضي الحال، وهذا الأمر ليس بالسهولة واليسر؛ لأن العبارة الواحدة تحتمل أن تكون قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعين في الوقت نفسه؛ فتحديد النوع رهن — كما ذكرنا — بحال المخاطب.

على أنه يجب أن تنبه إلى أن ثمة أموراً يمكن أن تُعين في وضع ضوابط لهذا النوع، فـ (الواو) التي تعني المشاركة يمكن أن تُعين في ضبط النوع الأول (قصر الإفراد)، وـ (لا)، التي تعني اعتقاد العكس تعينا على ضبط (قصر القلب)، أما حرف العطف (أو) أو (أم) فإنهما يفيدان في ضبط النوع الثالث وهو (قصر التعين).

مثال ذلك قوله في قصر الموصوف على الصفة: (الباحث كاتب لا شاعر)، فإن كان الخطاب مع من اعتقده كاتباً وشاعراً، كان قصر إفراد، وإن كان مع من اعتقده شاعراً لا كاتباً، كان قصر قلب، وإن كان مع من تردد في وصفه بالكتابة أو الشاعرية كان قصر تعين.

## أغراض القصر:

يؤتى بأسلوب القصر لتحقيق فوائد ولطائف بلاغية، منها:

١— التأكيد مع الإيجاز: لما كانت جملة القصر تفيد إثبات أمر لأحد هما ونفيه عن غيره، وكانت جملة القصر تفيد جملتين، وهذا تكون قد أفادت نوعاً من التأكيد والاختصار، فإذا قلنا: (لا يرعى حق الجوار إلا الكرم)، كان هذا القول اختصاراً لجملتين: الأولى: (يرعى حق الجوار الكرم)، والثانية: (غير الكرم لا يرعى حق الجوار).

٢— تقوية المعنى وتأكيده، وكأنه رد على نفي الوصف عن الموصوف، أو ادعى اشتراك غيره معه في هذا الوصف، وكلما كان النفي صريحاً كان التأكيد أقوى، وهذا نشر عند استخدام النفي والاستثناء أنه وسيلة لرد الإنكار الشديد، ودفع كل ما يمكن أن يراود النفس من شك، من ذلك — مثلاً — قوله: (ما هو إلا مخطئ) و(ما هي إلا على صواب)، فأنت بهذا الأسلوب قررت كلامك وأكدته تأكيداً حاسماً قطعت فيه كل ما يمكن أن يراود مخاطبتك من شك.

٣— التعريض: وهذا ما يتحققه القصر — (إنما): لأن هذه الأداة امتازت عن بقية الطرق بأنها تستعمل في كلام لا يكون الغرض منه إفاده الحكم للعلم به، وإنما يكون الغرض التلويع به إلى معنى آخر على سبيل التعريض. نحو قوله تعالى: «إِنَّمَا يَقْدِرُ أُولَئِكُوا الظَّابِبَ» [الرعد/١٩]، وفيها تعريض بذم الكفار، وأنهم من فرط جهلـهم وضلالـهم ألحـقوا بـمن لا عقلـ لهم، أي البـهائم.

٤— المبالغة: ويفيد القصر المبالغة إذا كان الكلام غير مطابق للواقع، وإنما ذكر على سبيل المبالغة والإدعاء المجازي. مثال ذلك أنك إذا قلت: (لا بلاغـي إلا عبدـ القاهر)، تجـد أن هذه العبارة تفـيد المبالغة في وصف عبدـ القاهر بالبلاغـة، وكـأن لا بلاغـي آخرـ سواء، وهذا أمر يـنفيه الواقع؛ لأن ثـمة بلاغـين كـثـرـ غيرهـ، لكنـكـ، وإعـجابـكـ بهذاـ العالمـ، ومبالغـةـ منكـ في مدحـهـ تـريدـ أنـ تـنبـهـ إـلـىـ أنهـ تـفـوقـ فيـ هـذـهـ الصـفـةـ، وبلغـ

فيها الغاية التي جعلتك لا تعتد بيلاغي غيره.

ومن أمثلة هذا الغرض قول الشاعر:

لَا سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارَ  
رِوَالِ إِلَّا عَلَيَّ

وقول المتنبي مادحًا:

بِرْجَاءِ حُودَكَ يُطْرَدُ الْفَقَارُ  
وَبِأَنْ تُعَادِيَ يَتَفَزَّدُ الْعُنْتَرُ

موقع القصر:

واعلم أن القصر<sup>(١)</sup> يقع بين المبتدأ والخبر، نحو: (ما محمد إلا كاتب)، وبين الفعل والفاعل، نحو: (ما نجح إلا زيد)، وبين الفاعل والمفعول، نحو: (ما عاقبت إلا عمراً)، وبين المفعولين، نحو: (ما منحت الطالب إلا جائزة)، وبين سائر الم العلاقات: كالحال، والتمييز، والظرف، والجار والمحرر، وغير ذلك، نحو: ما جئت إلا مشياً، ما طاب زيد إلا نفسها، ما ترثه إلا بين الأشجار، ما سلمت إلا على زيد.

(١) يمتنع وقوع القصر في موضعين؛ الأول: المصدر الموكد، فلا تقول: (ما ضربت إلا ضرباً)، وأما قوله تعالى: «إِنْ كَفَنُوا إِلَّا ظنًا» [الجاثية/ ٣٢]، فمعناه إلا ظنًا ضعيفاً، فهو مصدر نوعي، والآخر: المفعول معه، فإنه لا يأسى بعد إلا، فلا يقال: ما سرت إلا والجل.

## تدرییات محلولة على بحث القصر

— وضح فيما يأتي نوع القصر وطريقه فيما يأتي:

١— قال تعالى: **«وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»** [الحشر/٥٩].

٢— قال حسان بن ثابت:

إِنَّمَا الشُّعُرُ لِلْمَرءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَحَالِسِ إِنْ كَيْسَأَ وَإِنْ حُمَقَأَ

٣— قال تعالى: **«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَغْفِرُ»** [الفاتحة/٥].

٤— قال أبو العناية:

مَا يَكُونُ الْعِيشُ حَلْوًا كُلَّهُ إِنَّمَا الْعِيشُ سُهْلٌ وَخُزْوَنُ

٥— قال دريد بن الصمة:

غَوَّتِيْتُ وَإِنْ تَرْشِدْنِيْتُ غَرَبِيْةً أَرْشِدِيْ

٦— قال زهير بن أبي سلمى:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَكَرْتُمْ

٧— عَمْرُ الْفَقِيْهِ ذِكْرُهُ لَا طُول مَدِيْهِ

٨— فَلَمَّا أَبْيَى إِلَّا الْبَكَاءَ رَفَدَهُ

٩— قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الناس كبابل مائة لا تجد فيها راحلة».

١٠— لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يَعْانِيهَا

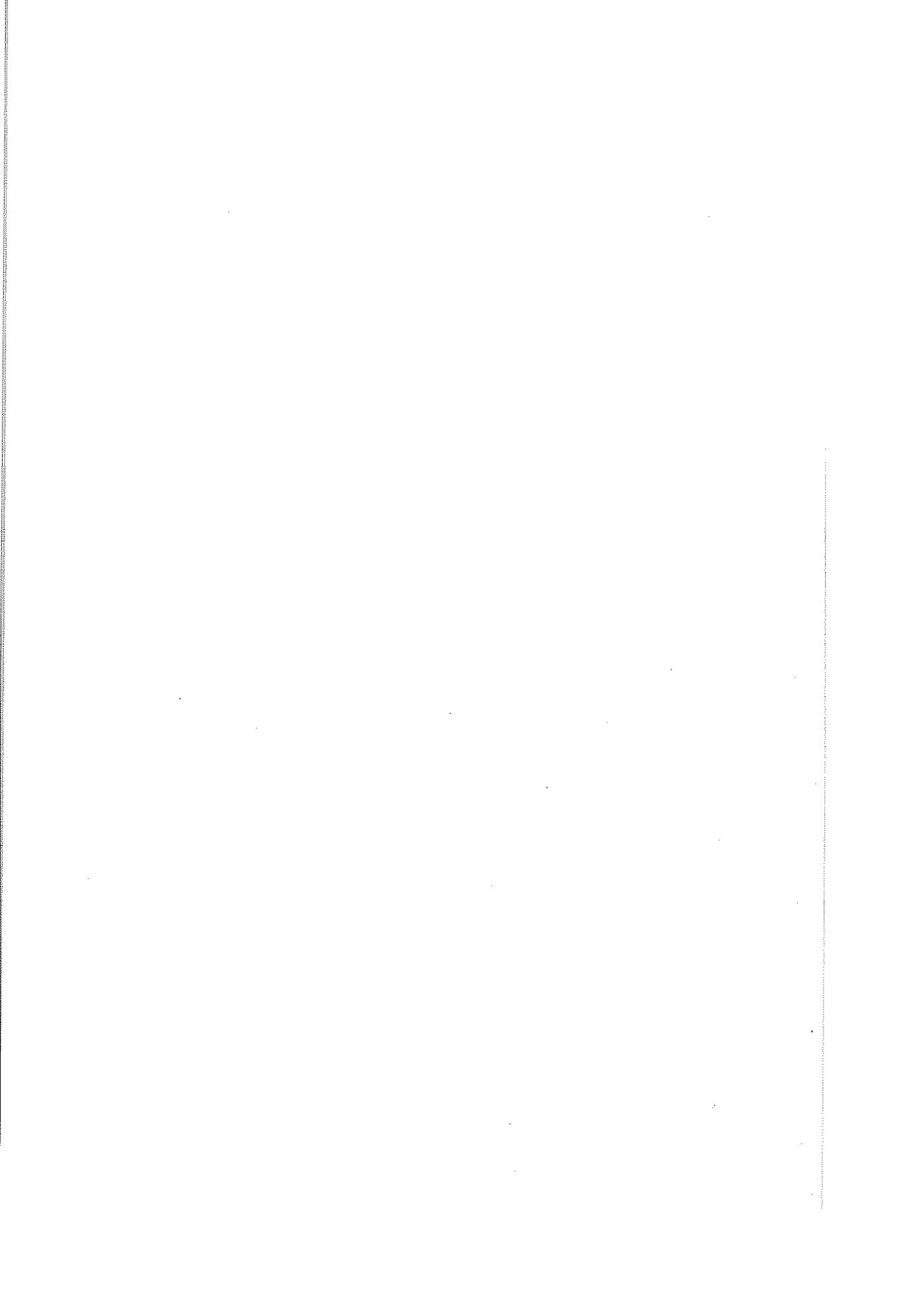
**الإجابات:**

| طريقة            | نوعه بحسب الواقع | نوعه بحسب المصور | الجملة                        | الرقم |
|------------------|------------------|------------------|-------------------------------|-------|
| التقدم           | حقيقي            | صفة على موصوف    | لله ما في السموات             | —١    |
| إنما             | إضافي            | موصوف على صفة    | وإنما الشعر لب المرء          | —٢    |
| تقليم المفعول به | حقيقي            | صفة على موصوف    | إياك نعبد / إياك نستعين       | —٣    |
| إنما             | إضافي            | موصوف على صفة    | إنما العيش سهل                | —٤    |
| النفي والاستثناء | إضافي            | موصوف على صفة    | وما أنا إلا من غرية           | —٥    |
| النفي والاستثناء | إضافي            | موصوف على صفة    | وما الحرب إلا ما علمنتم       | —٦    |
| لا               | إضافي            | موصوف على صفة    | — عمر الفن ذكره لا طول مذته   | —٧    |
| لا               | إضافي            | موصوف على صفة    | — وموته خزية .. لا يومه الذان |       |
| النفي والاستثناء | إضافي            | صفة على موصوف    | فلما أبى إلا البكاء           | —٨    |
| إنما             | إضافي            | موصوف على صفة    | إنما الناس كثيل مائة          | —٩    |
| النفي والاستثناء | إضافي            | صفة على موصوف    | لا يعرف الشوق إلا من يكابده   | —١٠   |
| النفي والاستثناء | إضافي            | صفة على موصوف    | ولا الصباية إلا من يعانيها    |       |

## تدريبات يتطلب حلها

ما طريق القصر في الأمثلة الآتية، وما نوعه بحسب الطرفين، وبحسب الحقيقة والواقع؟

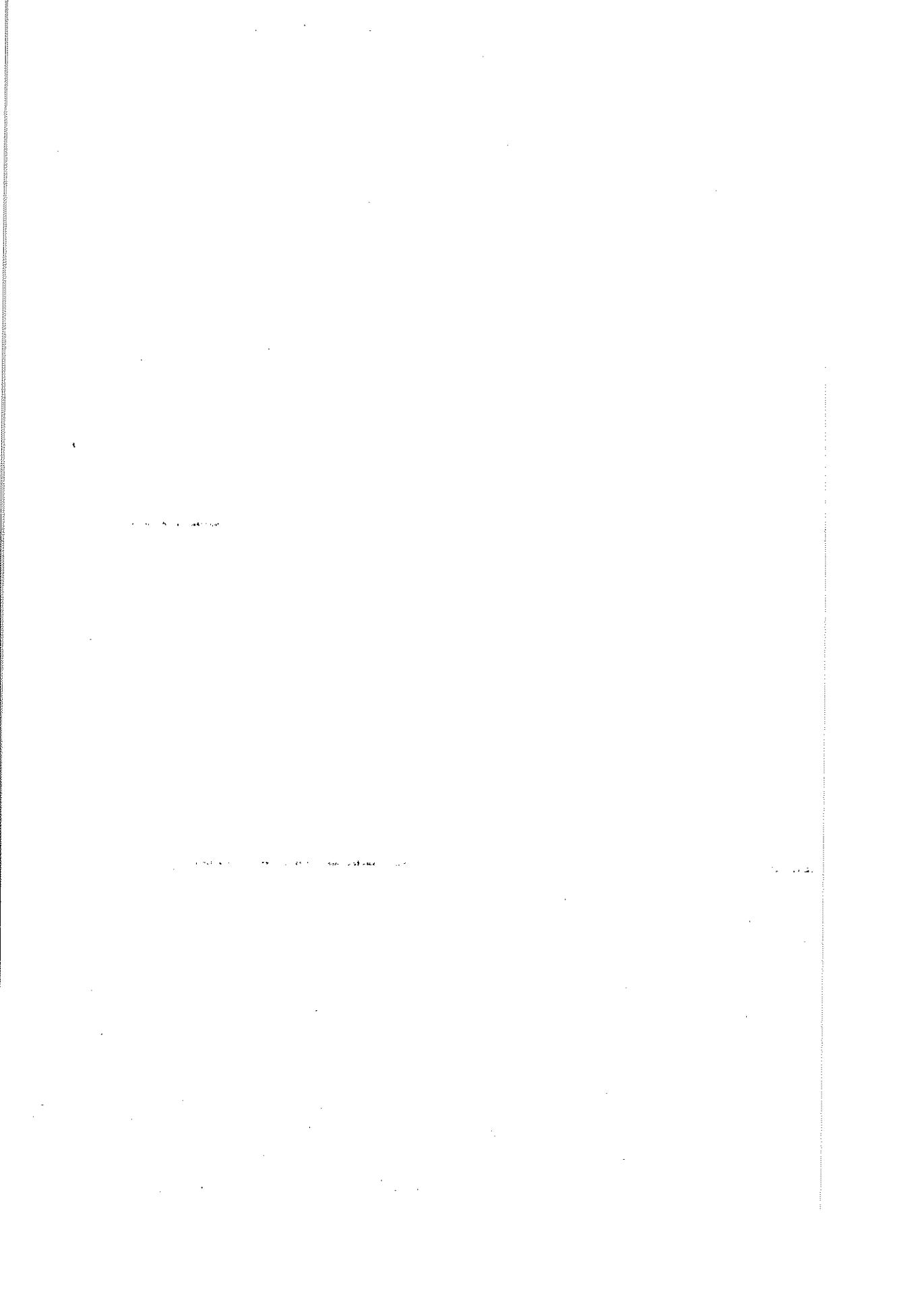
- ١— ما يعنكم مهجن إلا بوصلكم ولا أسلّمها إلا يدأيد
- ٢— يهتز عطفاه عند الحمد ينسّمعه من هزة الحمد لا من هزة الطرب
- ٣— قال تعالى: **(وَمَا تُقْطِنُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَيَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** [الأنعام / ٥٩].
- ٤— إنما الدنيا هبات وعوارٌ مُّشَرِّدة
- ٥— إنما يشتري المحامدة حرّ شدة بعد رحاء
- ٦— وما الدهر إلا من رواة قصائد
- ٧— لحومهم لحمي وهُم يأكلونه
- ٨— إنما حسبت للأمر ألف حساب.
- ٩— قال تعالى: **(مَا الْمَسِيحُ إِنَّ مَوْرِيهِ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)** [المائدة / ٧٥].
- ١٠— يلوم في الحب من لم يدر طعم هوى وإنما يعذّر العشاق من عشقا



## **الفصل الرابع**

### **الفصل والوصل**

**حالات الفصل — حالات الوصل — الجملة الحالية**



## الفصل والوصل

هذا من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقاييساً للبلاغة، فقد نقل الجاحظ أنه قبل لفارسي ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل<sup>(١)</sup>.

والوصل المراد هنا عطف جملة على جملة بالواو، والفصل ترك هذا العطف، إذا لن يكون لعطف الكلمة على الكلمة شأن هنا، كما أن العطف يغير الواو غير منظور إليه في هذا البحث لأن حروف العطف الأخرى تفيد إلى جانب العطف معنى آخر، فالفاء تفيد مع العطف الترتيب والتعليق، و(ثم) تفيد مع العطف الترتيب والتراخي في المدة، انظر إلى ذيذك الحرفين (الفاء وثم) كيف أديا تلك المعانى في قوله تعالى: «مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَرَأَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرْهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَّاَهُ فَاقْتُرَأْهُ (٢١)» [عيسى / ١٩-٢١].

عطف جملة (قدر) على جملة (خلق) بالناء لإفادتها الترتيب والتعليق كما قلنا أي جعله علقة فهياه لما يصلح له، وعطف جملة (يسره) بـ (ثم) لأن ذلك مقتض وقنا، ومعنى (السبيل يسره): سهل له الخروج من بطنه، وعطف (آمات) بـ (ثم) لأنه حسي زمان، وعطف (أقرب) بالناء لأن ذلك عقب الموت مباشرة<sup>(٢)</sup>.

أما الواو فليس لها معنى سوى الجمع والإشراك في الحكم بين المتعاطفين بها.

والجرجاني صاحب نظرية النظم تبه على قيمة هذا المبحث، قال: «اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمحسّء

<sup>(١)</sup> انظر البيان والبيان ١ / ٨٨.

<sup>(٢)</sup> وكذا حروف العطف الأخرى، (أبو) تفيد التعبير، (لا) تفيد النفي، (لكن) للاستدراك، (بل) للإضراب..

ها منتورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وما لا يتأنى ل تمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص والأقوام طبعوا على البلاغة وأتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم هما أفراد»<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: حالات الفصل بين الجمل:

والمراد الحالات التي لا يجوز أن يذكر حرف العطف فيها بين الجمل، اقرأ قوله تعالى: «الْمَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ لِيْهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ» [البقرة/٢-١]، فتلك أربع جمل كما يقول الرمخشري: (أم) جملة برأسها، (ذلك الكتاب) جملة ثانية، (لا رب فيه) جملة ثالثة، (هدى للمتقين) جملة رابعة. وقد جيء بها متناسقة هكذا من غير حروف نسق لمجئها متأخرة آخذنا بعضها بعنق بعض، فالثالثة متعددة بالأولى معتبرة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة.<sup>(٢)</sup>

ويمكن دراسة الفصل بين الجمل من خلال ثلاثة حالات: (كمال الاتصال) و(كمال الانقطاع) و(شبه كمال الاتصال).

#### الحالة الأولى كمال الاتصال:

وهي أن يكون بين الجملتين اتحاد تام في المعنى، كأن تكون الثانية بياناً للأولى أو توكيضاً لها أو بدلاً منها، وأن تعرف في التحويل أنه لا يعطف بين البيان والمبيان، قال الشاعر:

أقسم بالله أبو حفص عمر

ولا يستقيم أن يقول (أقسم بالله أبو حفص وعمر)، ولا يعطف بين التوكيد والموكد كقولك (تحذلت إلى الملك ذاته) ولا يجوز أن تقول: (تحذلت إلى الملك ذاته)، قال تعالى: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» [الحجر/٣٠]، ولا يعطف

<sup>(١)</sup> دلائل الإعجاز (بتتحققـ دـ النـ الـ) / ١٥٦.

<sup>(٢)</sup> الكشاف .٢١/١.

بين البدل والبدل منه قال تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ**  
**الْمُسْتَقِيمَ)** [الفاتحة/ ٦-٥]، ولم يقل (الصراط المستقيم وصراط).

وبسبب ما ذكره النحاة في ذلك أن العطف – في أصل معناه – يقتضي التغاير،  
ولا تغاير بين البيان والمبيّن أو التوكيد والمؤكّد أو البدل والبدل منه.

وفي الجمل أيضاً قد تكون الجملة الثانية بياناً للجملة الأولى، قال تعالى:  
**(فَوَسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدْكُنْ هَلْ أَدْكُنْ عَلَى شَجَرَةِ الْخَلْدِ)** [طه/ ١٢٠]، فجملة  
(قال) بيان لجملة (وسوس) ووضحت الوسوسه وكشفت فحواها، ولو عطفت عليها  
لتغير المعنى ولصار القول شيئاً والوسوسه شيئاً آخر، فالبيان متّحد بالمبيّن ولو توسيط  
بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: (بين العصا والخائط) على رأي الرمخشري<sup>(١)</sup>.

ومن هذا قوله تعالى: **(وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لِعِبْرَةً لَتُسْقِيكُمْ مَمَّا فِي بَطْوَنِهَا)**  
[المؤمنون/ ٢١]، يبيّن جملة (نسقيكم) دلالة الجملة التي قبلها (إن لكم في الأنعام  
لعبرة).).

قال زهير بن أبي سلمى:

نعم امرءا هرم لم تعر ناية إلا وكان لمرتع لها وزرا  
جملة (لم تعر ناية) يبيّن جملة (نعم امرءا هرم) وكشفت فحواها يعني أنه يمدحه  
من هذه الزاوية.

وقالت النساء:

أعْيَنِي حِودَا وَلَا تَحْمِدَا      (ألا تبكيان) لصخر الندى  
وقد تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى كما في قول المتنى:  
الرأيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجَاعَانِ      هو أول وهي الحلُّ الثاني

<sup>(١)</sup> الكشاف ١/ ١٥٤.

جاءت جملة (هو أول) توكيداً للجملة التي اشتمل عليها الشطر الأول من البيت، والتوكييد المؤكّد بمنزلة الشيء الواحد لذلك لم يخرج معنى الجملة الثانية فقط عن الأولى بل بقيت دائرة في فلكها.

تدبر قوله تعالى يتحدث عن المنافقين: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِلَى مَعْكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ» [آل عمران/ 14]، تجدر أن هؤلاء المنافقين يظهرون الإيمان إذا كانوا مع المؤمنين، وعندما يخلون بأسيادهم من اليهود وغيرهم يظهرون حقيقتهم ويقولون: نحن منكم نحن نستهزئ بالمؤمنين ونسخر منهم، جملة (إنما نحن مستهزئون) فصلت عن جملة (إنما معكم) لأنها توكيدها، ولا معنى لقولهم (إنما معكم) إلا أنهم يستهزئون بالمؤمنين.

وقل الكلام ذاته في قوله تعالى – والمحدث عن النضر بن الحارث – «وَإِذَا ثَنَّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَقْرًا» [لقمان/ 7]، فجملة (كان في أذنيه وقرأ) أكدت جملة (كان لم يسمعها) لأن من لم يسمع بمنزلة من في أذنيه وقرأ يمنعه من السماع.

قال تعالى: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [آل عمران/ 81]، جملة (إن الباطل كان زهوقاً). أكدت المعنى في جملة (زهق الباطل).

قال ابن نباتة المصري:

لم يُتقِ حِودُكَ لِشَيْئاً أَوْمَلْهُ      تركني أصحابُ الدُّنْيَا بِلَا أَمْلٍ  
 جاءت جملة (تركني) مؤكدة لجملة (لم يُتق حِودُكَ) فوجوب فصلها عنها، ولا ينبغي أن يخترق في ذلك أن الشاهد جملة (أَوْمَلْهُ) لأنك تعرف أنها صفة لـ (شيئاً).

وقد تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، والبدل ثلاثة أضرب: المطابق مثل قوله (سيف الله خالد نصر الإسلام) والبدل جزء من كل مثل قوله (طفت المدينة شوارعها)، وبدل الاشتغال كما في قوله (هرني الخطيب بيائمه).

هذا في المفرد، وهو جار في الجمل، فقد مثلوا للمطابق منه بقوله تعالى: **«بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأُولَوْنَ (٨١) قَالُوا أَئِذَا مِنَّا وَكُنَّا فَرَاهَا»** [المومنون/ ٨١ - ٨٢]، فجملة (قالوا) الثانية بدل من (قالوا) الأولى وهو بدل مطابق، وآية هذا النوع من البدل أنك إذا حذفت من العبارة البديل منه لا يختل المعنى، فمن الممكن تقدير الكلام (بل قالوا أئذا متنا) بحذف (قالوا) الأولى وهي البديل منه.

ومن هذا قول الشاعر:

مَنْ تَأْتَنَا (تَلْمِسْ) بِنَا فِي دِيَارِنَا      بَعْدَ حَطْبًا جَرَّلًا وَنَارًا تَاجِحًا  
وَمِثْلُوا لِلنَّوْعِ الثَّانِي (الْجَزْءُ مِنَ الْكُلِّ) بِقَوْلِهِ تَعَالَى **«وَأَهْتَوُ الَّذِي أَمْدَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمْدَكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَغَيْرَهُنَّ»** [الشَّعْرَاءُ: ١٣٢ - ١٣٤]  
فحملة (أمدكم بأنعام وبنين) بدل جزء من كل من جملة (أمدكم بما تعلمون)؛ لأن الأنعام والبنين والجنات والعيون بعض ما أدمهم به تعالى.

ومن هذا النوع قوله تعالى: **«يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتِ»** [الرَّعْدُ/ ٢]؛ لأن تفصيل الآيات جزء من تدبير الأمر، والله أعلم.

ومثلوا لنوع الثالث (بدل الاستعمال) بقوله تعالى: **«وَجَاءَهُنْ أَقْصَا الْمَدِيَّةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا»** [إِسْرَاءُ/ ٢٠ - ٢١]  
فحملة (اتبعوا من لا يسألكم) بدل من جملة (اتبعوا المرسلين) وهو بدل استعمال لأن المرسلين يشتملون على هذه الصفة (عدم سؤال الأجر) وعلى غيرها.

وقد ورد في القرآن الكريم بعض آيات تشاهد ألفاظها ومعانيها، لكن جاءت حملها تارة مقصولة عما قبلها وتارة موصولة بها، قال تعالى: **«وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُنَبِّهُنَّ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُنَّ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»** [البقرة/ ٤٩]، فقال (يذبحون) دون عطف على (يسومون) لأن (يذبحون) بيان لـ (يسومون) يعني أن الذبح هو السوم لا غيره أو بدل منها. يعني أن

اللديج جزء من سوم العذاب، والعلة أن هذا الخطاب من قبيل الله عز وجل فلم يرد أن يعدد المحن عليهم رأفة بهم.

وقال تعالى في موضع آخر: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَهْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» [إبراهيم/٦]، فعطف (يذبحون) على (يسومون) خلافاً لما جاء في الآية السابقة لأن الذبح هنا كان أوف من العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة فكانه شيء آخر غير العذاب، والعنف كما قلنا يقتضي المعايرة، ولأنه أيضاً من كلام موسى عليه السلام، فعدد المحن عليهم لأنه كان مأموراً بذلك تخويفاً لهم بقوله تعالى قبل الآية: «وَذَكِّرْهُمْ بِيَوْمِ اللَّهِ» [إبراهيم/٥].<sup>(١)</sup>

الحالة الثانية: كمال الانقطاع:

وهو أن يكون بين الجملتين تباین تام كأن تختلفا خبراً وإنشاء، فتكون الأولى خبرية والثانية إنشائية كما في قول الشاعر:  
لستُ مُسْتَمْطِراً لِقَبْرِكَ غَيْثًا      كَيْفَ يَظْمَأَا وَقَدْ تَضَمَّنَ بَحْرًا  
فَالجملة الثانية (كيف يظمأ) إنشائية (استفهم)، والجملة الأولى (لست مستطرأ) خبرية؛ فوجب الفصل لكمال الانقطاع بينهما.

وكذا في قول النابغة:

ولستُ بِمُسْتَبِقٍ أَحَدًا لَا تَلْتَهُ      عَلَى شَعْثَ (أَيُ الرَّجَالُ الْمَهْذَبُ؟)  
أَوْ تَكُونُ الْأَوَّلَيْ إِنْشَائِيَّةً وَالثَّانِيَّةُ خَبْرِيَّةً كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ» [الحجرات/١]، فجملة (إن الله سميع) خبرية، وجملة (أنقوا) إنشائية (أمر) لذلك لم تعطف الثانية على الأولى.

<sup>(١)</sup> انظر كتاب فن البلاغة ص ٢٦٢.

قال الشاعر:

لَا تُحَسِّبُ الْمَحْدَأَ تَمَرًا أَنْتَ أَكْلُهُ  
لَنْ تَبْلُغَ الْمَحْدَأَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا  
جَمْلَةً (لَنْ تَبْلُغَ) خَبْرِيَّةً وَجَمْلَةً (لَا تُحَسِّبَ) إِنْشَائِيَّةً (فَهِيَ) فَوْجَبُ الفَصْلِ بَيْنَهُمَا،  
وَلَا تَظْنَنْ أَنَّ الشَّاهِدَ جَمْلَةً (أَنْتَ أَكْلُهُ) لِأَنَّهَا صَفَةٌ لَـ (تَمَرًا).

ومثله قول الآخر:

لَا تَطْلَبُ الْمَحْدَأَ إِنَّ الْمَحْدَأَ سَلَمَهُ  
صَعْبٌ وَعُشْنٌ مُسْتَرِيحًا نَاعِمُ الْبَالِ  
جَمْلَةً (إِنَّ الْمَحْدَأَ سَلَمَهُ صَعْبٌ) خَبْرِيَّةً وَالَّتِي قَبْلَهَا إِنْشَائِيَّةً (فَهِيَ) فَلَمْ يَعْطُفْ عَلَيْهَا.  
وَيَتَبَعُ هَذِهِ الْحَالَةُ (كَمَالُ الْاِنْقِطَاعِ) مَا لَا رَابِطٌ فِيهِ بَيْنَ الْجَمْلَةِ أَوْ لَا مَنَاسِبَةٌ فِي  
الْمَعْنَى، فَيَجِبُ الفَصْلُ عِنْدَئِذٍ كَمَا فِي قَوْلِكَ (أَحَبُّ الْعِلْمَ، لَنْ يَأْتِي زِيدٌ) إِذَا لَا عَلَاقَةٌ بَيْنَ  
مُحْتَاجِيِّ الْعِلْمِ وَإِيتَانِ زِيدٍ.

الحالَةُ التَّالِيَّةُ: شَبَهَ كَمَالُ الاتِّصالِ:

وَهُوَ أَنْ تَصْلُحَ الْجَمْلَةُ التَّالِيَّةُ جَوَابًا عَلَى سُؤَالٍ صَرِيعٍ أَوْ مَفْهُومٍ مِنَ الْجَمْلَةِ الْأُولَى  
فَتَنْزَلُ الْأُولَى مِنْزَلَةِ السُّؤَالِ فَتَفْصِلُ عَنْهَا كَمَا يَفْصِلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ فِي مُثَلِّ  
قَوْلِكَ: (مَنْ تُكْرِمُ؟ أَكْرَمُ زِيدًا).

قَالَ تَعَالَى: «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخْفِنْ» [الذاريات/ ٢٨]،  
وَالْمَحِدِيثُ هُنَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عِنْدَمَا جَاءَهُ ضَيْوفُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَسَأَلَتْ  
بَعْدَمَا تَقْرَأُ الْجَمْلَةَ الْأُولَى (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) تَشْعُرُ أَنَّهَا تَحْمِلُ سُؤَالًا (مَاذَا قَالُوا حِينَ  
رَأَوْا لَوْنَهُ قَدْ تَغَيَّرَ) فَبِأَيْمَكِ الْجَوَابِ (قَالُوا لَا تَخْفِنْ)، فَالْجَمْلَةُ التَّالِيَّةُ فَصَلَتْ عَنِ الْأُولَى  
لِأَنَّهَا جَوَابٌ عَلَى السُّؤَالِ فِيهَا، وَهُوَ مَا يُسَمِّي شَبَهَ كَمَالِ الاتِّصالِ.

وَيُسَمِّي هَذِهِ الْفَصْلُ اسْتِشَافًا وَمِثْلَهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى «قَالُوا سَلَامًا قَالَ  
سَلَامٌ» [هُود/ ٦٩]، فَصَلَتْ جَمْلَةً (قَالَ) عَنْ جَمْلَةٍ (قَالُوا) لِأَنَّهَا جَوَابٌ عَلَى سُؤَالٍ (فَمَاذَا قَالَ).  
وَقَدْ ذَكَرَ الْجَرْجَانيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ (قَالَ) بِلَا عَاطِفَةٍ مُقْتَدِرَةٍ

على هذا الاستئناف<sup>(١)</sup>، ومثل له بقوله تعالى «قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَتَّهِمُ إِن كُثُرْ مُوقِنٌ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى (٢٦) قَالَ إِن رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمْ يَجِدُونَ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَتَّهِمُ إِن كُثُرْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لِمَنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلْتَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِئْنَكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَلَمْ يَرِدْ بِهِ إِن كُثُرْ مِنَ الصَّادِقِينَ » [الشعراء / ٢٣ - ٣١].

ومنه قول الشاعر:

رَعْمُ الْعَوَادُلُ أَكِنِي فِي غَمَرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجُلِي  
كَانَهُ سُلْطَنُ بَعْدَ جَمَلَةِ الشَّطَرِ الْأَوَّلِ (هُلْ صَدَقُوا) فَجَاءَ الْجَوابُ (صَدَقُوا..)

وقول الشاعر:

يَقُولُونَ إِنِّي أَحْمَلُ الضَّيْمَ بِعَدْهِمْ أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يُضَامَ نَظَرِي  
كَانَ سُلْطَنٌ بَعْدَ قَوْلِهِ (إِنِّي أَحْمَلُ الضَّيْمَ) أَصَدَقُوا أَمْ كَذَبُوا فِيَأْيِي الْاسْتَنْفَافِ (أَعُوذُ  
بِرَبِّي) أَيْ (كَذَبُوا) وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِنَا. يَسْأَلُكَ الْقَاضِي مَثَلًا: هَلْ ارْتَكَتْ ذَلِكَ  
الْإِثْمَ؟ فَتَحِيبُ (أَعُوذُ بِاللهِ أَيْ لَمْ أَرْتَكْ).

وَمِنْ الْاسْتَنْفَافِ مَا يَأْتِي بِإِعادَةِ اسْمِ مَنْ اسْتَؤْنَفَ عَنْهُ مِثْلَ قَوْلِكَ: (أَخْسِنْ إِلَى  
زِيدٍ، زِيدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ) بِإِعادَةِ اسْمِ (زِيدٍ) مَرْفُوعًا عَلَى الْابْتِدَاءِ وَجَمِيلَتِهِ مَفْصُولَةٌ  
لِشَبَهِ كَمَالِ الاتِّصالِ وَبِتَقْدِيرِ السُّؤَالِ: (لِمَاذَا أَخْسِنْ إِلَيْهِ؟).

وَمِنْهُ مَا يَبْيَنُ عَلَى صَفَةِ الْمَسْتَأْنَفِ عَنْهُ كَقُولُكَ: أَخْسِنْ إِلَى زِيدٍ، صَدِيقُكَ الْقَلْمَنْ  
أَهْلُ لَذَلِكَ) وَهُوَ أَبْلَغُ كَمَا يَقُولُ الْقَزوِينِيُّ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> دلائل الإعجاز تحقيق د. الداية ص ١٦٩.

<sup>(٢)</sup> الطبع بص ص ١٨٩.

قال أبو العلاء المعربي:

معطٰ حياني لغيري بعدهما عرضـا  
وقد عرضـتُ على الدنيا فهل زمنـي  
لي التجاربـ في وـد امرئ غرضاـ  
جربـتُ دهري وأهلهـ فـما تركـتـ  
فإنه حين أبدى شكـاية الزـمن حـمل السـامـع على سـوال (ماـذا تـشـكـو مـنه أو ماـذا  
استـحقـ الشـكاـيـة؟) فـقالـ: (إـليـ جـربـتـ دـهـريـ).

واعلمـ أنـ الـبـلـاغـيـنـ يـجـعـلـونـ منـ حـالـاتـ الفـصـلـ الـذـكـرـهاـ لـكـ حـالـةـ تـسـمـىـ شـبـهـ  
كمـالـ الـانـقـطـاعـ،ـ وـهـيـ أـنـ يـكـوـنـ ثـمـةـ جـمـلةـ مـسـبـوـقـ بـجـمـلـتـينـ يـجـبـزـ عـطـفـهـاـ عـلـىـ الـأـوـلـىـ  
مـنـهـمـاـ وـلـاـ يـجـبـزـ عـطـفـهـاـ عـلـىـ الثـانـيـةـ،ـ فـيـنـتـرـكـ الـعـطـفـ لـلـلـلـاـ يـظـنـ أـمـاـ مـعـطـوـفـةـ عـلـىـ الثـانـيـةـ،ـ  
وـمـثـلـهـمـ قولـ الشـاعـرـ:

وـتـظـنـ سـلـمـيـ أـبـغـيـ هـاـ  
بـدـلـاـ أـرـاهـاـ فـيـ الضـلـالـ هـيـمـ  
قالـواـ فـيـ هـذـاـ بـيـتـ ثـلـاثـ جـمـلـ (ـتـظـنـ)ـ وـ(ـأـبـغـيـ)ـ وـ(ـأـرـاهـاـ)ـ وـلـاـ مـانـعـ مـنـ عـطـفـ  
الـأـخـيـرـةـ (ـأـرـاهـاـ)ـ عـلـىـ الـأـوـلـىـ (ـتـظـنـ)،ـ وـلـكـ عـطـفـهـاـ عـلـىـ الثـانـيـةـ (ـأـبـغـيـ)ـ لـاـ يـجـبـزـ لـأـنـهـ غـيرـ  
مـرـادـ أـصـلـاـ،ـ فـلـاـ مـعـنـيـ لـقـولـهـ (ـأـبـغـيـ بـدـلـاـ وـأـرـاهـاـ)،ـ وـلـمـ أـذـكـرـ لـكـ هـذـهـ الـحـالـةـ لـنـدرـةـ  
الـشـواـهدـ عـلـيـهـاـ.

وـيـجـعـلـ الـبـلـاغـيـنـ مـنـ حـالـاتـ الفـصـلـ أـيـضـاـ مـاـ يـسـمـىـ (ـالـتـوـسـطـ بـيـنـ الـكـمـالـيـنـ)ـ وـهـوـ  
أـلـاـ يـرـادـ إـشـرـاكـ الـجـمـلـةـ الثـانـيـةـ مـعـ سـابـقـتـهـاـ فـيـ الإـعـرـابـ لـأـنـ ذـلـكـ يـغـيـرـ الـمعـنـىـ،ـ وـيـمـتـلـؤـ هـذـهـ  
الـحـالـةـ بـقـولـهـ تـعـالـيـ (ـوـإـذـاـ خـلـوـاـ إـلـىـ شـيـاطـيـنـهـمـ قـالـوـاـ إـلـىـ مـعـكـمـ إـلـمـ كـمـاـ ظـنـ مـسـتـهـزـئـوـنـ  
(ـ١٤ـ)ـ اللـهـ يـسـتـهـزـئـ بـهـمـ)ـ [ـالـبـرـةـ /ـ ١٤ـ]ـ،ـ فـلـوـ عـطـفـ (ـالـلـهـ يـسـتـهـزـئـ)ـ عـلـىـ جـمـلـةـ (ـإـنـاـ  
نـحـنـ مـسـتـهـزـئـوـنـ)ـ لـصـارـتـ الـجـمـلـةـ الثـانـيـةـ (ـالـلـهـ يـسـتـهـزـئـ)ـ دـاـخـلـةـ فـيـ كـلـامـ الـمـنـافـقـيـنـ وـهـذـاـ  
بـالـطـبـعـ غـيرـ مـرـادـ.

وـلـمـ أـذـكـرـ لـكـ هـذـهـ الـحـالـةـ أـيـضـاـ لـإـمـكـانـ إـدـرـاجـهـاـ تـحـتـ حـالـةـ الـوـصـلـ بـيـنـ الـجـمـلـتـيـنـ  
لـإـشـرـاكـهـمـ فـيـ حـكـمـ إـعـرـابـ وـاحـدـ الـآـتـيـةـ بـعـدـ قـلـيلـ وـالـقـيـ ستـعـرـفـ فـيـهـاـ أـنـ لـمـ يـسـرـدـ

الإشراك فالفصل واجب، والمثال الذي سأذكره لك هو ذات المثال (الله يستهزئ بهم).

### ثانياً: حالات الوصل بين الجمل:

المقصود الحالات التي يجب فيها العطف بين الجمل وهي ثلاثة أيضاً:

**الأولى:** إذا قصد المتكلم إشراك الجملتين في حكم إعرابي واحد كان يقول (عرفت رجلاً يحب الناس ويحترمونه) فأنت عطفت جملة (يحترمونه) على جملة (يحبه) لأنك أردت أن تكون هي أيضاً صفة لـ (رجل)، ومعلوم لديك أن حال الجملة هنا حال المفرد لأن الجملة ذات المدل من الإعراب تؤول بعferred.

قال تعالى: **«اللَّهُ يَسْطِعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ»** [الرعد/٢٦]، عطفت جملة (يقدر) على جملة (يسط) لأن المراد إشراكهما بحكم إعرابي واحد فالثانية منزلة الخبر أيضاً للنظر الجلاء، وتقدير الكلام (الله باسط وقدر).

قال الشاعر مادحاً:

وَمَا زَلتَ مَذْكُورَةً تَوْلِي الْحَمِيلَ  
وَتَعْمَلِي الْخَرَبَمْ وَتَرْعَى النَّسْبَ  
عَطْفَ جَمْلَةِ (تَحْمِي) وَ(تَرْعِي) عَلَى جَمْلَةِ (تَوْلِي) وَهِي خَبَرٌ (مَا زَلتَ) فَأشَرَكَ  
الْحَمِيلَ بِإعرابٍ واحِدٍ. قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَرْزِ  
وَتَقْلُوْنَ عِنْدَ الْطَّمْعِ» عَطْفَ جَمْلَةِ (تَقْلُوْنَ) عَلَى (تَكْثُرُونَ) لِذَاتِ السَّبِبِ.

هذا وإن لم يكن المراد التشريك في الحكم الإعرابي بين الجملتين ترك العطف ووجب الفصل نحو قوله تعالى **«إِنَّمَا تَعْنَى مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ»**  
لم تعطف الثانية على الأولى لأنها ليست من مقول المنافقين.

**الثانية:** إذا اتفقت الجملتان المعطوف بينهما خبراً وإنشاء أي كانتا خبرتين كما في قولك: (أسعي وراء العلم وأجل أهله) فجملة (أجل) خبرية مثل جملة (أسعي)  
لذلك وجوب الوصل.

قال تعالى: **«إِنَّ الْأَكْرَادَ لَهُمْ نَعِيْمٌ (١٣) وَإِنَّ الْفُجُّارَ لَهُمْ جَنَبٌ»**

[الافتخار / ١٣ - ١٤]، وفي الحديث الشريف «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيَكُرِمْ حَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيَكُرِمْ ضَيْفَهُ» عطف جملة (ومَنْ كَانَ) الثانية على (منْ كَانَ) الأولى لأنهما خبريتان.

ومن أمثلة ذلك قول المحسن في أخيها:

وَإِنْ صَحْرَاً لِوَالِيْنَا وَسِيدُنَا      وَإِنْ صَحْرَاً إِذَا نَشَّتُوا لِنَحْسَارُ  
وَإِنْ صَحْرَاً لِتَائِمَ الْمَدَاهَ بِـهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَسَارُ  
أَوْ كَاتِنَا إِنْشَائِيْتَيْنَ كَفُولَكَ (اتبع الفضيلة واجتنب الرذيلة) فَجَمَلَةَ (اجتنب)  
إِنْشَائِيَةَ وَجَمَلَةَ (اتبع) إِنْشَائِيَّةً أَيْضًا فُوجِبَ الوَصْلُ لاتفاقهما إنشاء.  
قال تعالى: «وَقَلْنَا يَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ  
شِئْتُمَا» [آل عمران / ٣٥]، عطف جملة (كُلَا) على جملة (اسْكُنْ) لأنهما إنشائيتان.

وحاء في الحديث «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفُانَ لِمَوْتِ أَحَدٍ  
وَلَا لِحَيَاةِهِ وَلَكِنْ يَخْوُفُ اللَّهُ هُمَا عِبَادُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصُلِّوَا وَادْعُوَا اللَّهَ حَتَّى يَنْكُشِفَ  
مَا بِكُمْ»، عطف جملة (ادْعُوا) على جملة (صُلِّوَا) لاتفاق الجملتين إنشاء.

قال الشاعر:

وَأَدَنَ إِلَى الْقَرْبِيِّ الْمَقْرَبِ نَفْسَـهِ      وَلَا تُشَهِّدُ الشَّوْرِيُّ امْرَءًا غَيْرَ كَاتِمِ  
عَطْفَ (لا تُشَهِّدُ) عَلَى جَمَلَةِ (أَدَنَ) لأنهما إنشائيتان.

وقل الكلام نفسه في قول الشاعر:

(فَلَيْتَكَ تَحْلُوْ) وَالْحَيَاةُ مَرِيْرَةُ      (وَلَيْتَكَ تَرْضِيْ) وَالْأَنَامُ غَضَابٌ  
وَلَا بدَّ فِي حَالَةِ الْوَصْلِ هَذِهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْجَمَلَتَيْنِ مَنَاسِبَةٌ فِي الْمَعْنَى أَوْ خِيطٌ يَرْبِطُ  
بَيْنَهُمَا، فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِكَ مَثَلًا (أَقْلَقَنِي غِيَابُ أَخِي وَفَازَ خَالِدٌ بِالْجَائزَةِ) عَلِمَـاً أَنَّهُمَا  
خَبَرِيَّتَانِ لَكِنْ مَا مِنْ مَنَاسِبَةٍ تَجْمِعُ بَيْنَهُمَا.

والبلغيون يعيرون أبا ثمام في قوله:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالَمٌ أَنَّ النَّوْى صَرِّيجٌ وَأَنَّ أَبَا الْحَسِينَ كَرِيمٌ

لما ذكرته لك من غياب المناسبة فلا رابط بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى.

الثالثة: إذ اختلفت الجملتان خبراً وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود، كقولك  
لم سألك عن صحة أبيك المريض: هل تحسنت صحة أبيك؟ فتقول له (لا وعافاك  
الله) فإن حرف العطف في حوايلك لابد منه لأن حذفه (لا عافاك الله) يوهم بخلاف  
المراد، أنت ت يريد أن تدعوه له وعباراتك توهم بأنما دعاء عليه، والجملتان مختلفتان؛  
فال الأولى التي تتمثلها (لا) معناها (لم تتحسن صحة أبي) فهي خبرية، والثانية (عافاك الله)  
دعائية إنسانية، وكان الفضل بينهما أولى كما عرفت قبل قليل في بينهما (كمال  
انقطاع) إلا أنه عطف بينهما ثلاثة يتوهم عكس المراد.

والبلغيون لا يكادون يذكرون هذه الحالة إلا مئتين النبي، الأول ذكره الجلخط  
وهو أن أبا بكر — رضي الله عنه — مرّ برجل معه ثوب فسألته أتبיע التوب؟ فقال  
الرجل: لا عافاك الله، وهو يريد أن يدعو له لا عليه، فتبهه أبو بكر على موطن خطأه  
وقال له: لقد علمتم لو كتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله<sup>(١)</sup>.

والثاني ذكره السيوطي وهو أن المأمون سأل اليزيدي عن شيء فقال اليزيدي: لا  
وجعلني الله فداءك، فقال المأمون: الله درك ما وضعت الواو موضعًا قط أحسن منها  
هنا<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

<sup>(١)</sup> البيان والتبيين، ٣ / ٢٦١.

<sup>(٢)</sup> شرح عقود الجمان، ٦٣ / ٦٣.

## الجملة الحالية

لما كانت الجملة الواقعية حالاً تارة تدخلها الواو كقولك (لا تغير النهر وأنت لا تجيد السباحة)، وقول جمبل:

أنت (وهو مشغول) لعظم الذي به      ومن بات طول الليل يرعى السهاسها  
ونارة لا تدخلها الواو كقولك ( جاء زيد يسرع ) فجملة (يسرع) حالية لم تتصل  
بالواو، ومنه قوله تعالى: «**تُمْ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّ**» [القيامة/ ٣٣].

أقول لما كانت جملة الحال كذلك أتحققها علماء البلاغة ببحث الفصل والوصل  
الذي نحن بصدده، وقد اهتدوا في ذلك بسراج صاحب نظرية النظم الذي تحدث عنها  
وبين الحالات التي تتصل فيها بالواو والحالات التي لا تحتاج فيها إلى واو.

وهذه الواو هي الوا الحال لكن هذه التسمية لا تخرجها عن أن تكون بمحنة لضم  
جملة إلى جملة كواو العطف في هذا المبحث.

تعرف أن جملة الحال في العبارة العربية لابد من أن تشتمل على ضمير يعود على  
صاحب الحال كقولك (أقبل زيد يزهو بنفسه) فجملة (يزهو) فعلية يعود الضمير فيها  
على زيد صاحب الحال، وقول الشاعر:

من تأته تعشو إلى ضوء ناره      تمذ نغير نار عندها خير مفرد  
جملة (تعشو) فيها ضمير مستتر يعود على صاحب الحال فاعل (تأته).

فإن لا يكن فيها ضمير فلا بد لها من الاقتران بواو الحال كقولك: (زارني والفسجر  
لم يزغ). وقول الشاعر:

كأنَّ سواد الليل و(الفجر ضاحك) يلسوحُ ويغنى أسودٌ يتسبَّبُ

ولا قران جملة الحال بالواو وخلوها منها حالات يمكن أن توجز فيما يلي:

\* إذا كانت الجملة الاسمية حالاً فعلية فعلها مضارع مثبت (غير منفي) لم تقترب بالواو  
كقولك (جته [أسعي] إلى الصلح)، قال تعالى : **(وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكْبِرُ)** [المدثر / ٦].

قال المتن:

مالي (أكسم) حجا قد برى جسدي وتدعي حبَّ سيف الدولة الأممُ

\* إذا كانت الاسمية مصدراً بضمير منفصل وجوب اقتراها بالواو كقولك (ألفي)  
القبض على اللص [وهو يسرق] ، قال تعالى: **(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَلْثَمْ  
تَعْلَمُونَ)** [البقرة / ٢٢]. قال الشاعر:

لا تخلنَّ بدنيا و(هي مقبلة) فليس ينقصُها التبذير والسرف

وإن تولتْ فآخرى أن تجسدوها فالحمدُ منها إذا ما أدبرتْ خلف

\* إذا تقدم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية الواقعية حالاً كثُر أن تجيء بغير واو،  
وقد مثل عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - لهذا النوع يقول بشار:

إذا انكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي (عليّ سواد)

جملة (عليّ سواد) حالة اسمية تقدم الخبر فيها (عليّ) على المبتدأ (سواد)، ومنه  
قول الآخر:

لقد صبرت للذل أعود منبر تقومُ عليها (في يديك قضيب)

ومن جيء هذه الجملة (التي تقدم فيها الخبر) بالواو قول زهير:

ذكرتُ سلمي وما ذكري براجعها (دونها سبب) يهوي به المورُ

وكذا إذا تقدمت الجملة أداة مثل (كأنما) في قول الفرزدق:

فقلت عسى أن تبصريني كأنما (سي حوالى الأسود الحوارد)

يقول الجرجاني معلقاً لو أنك تركت (كأن) فقلت: عسى أن تبصريني بـنـ حـوـالـيـ كـالـأـسـودـ رـأـيـهـ لـاـ يـسـنـ حـسـنـهـ الـآنـ وـرـأـيـتـ الـكـلـامـ يـقـضـيـ الـوـاـوـ كـفـولـكـ عـسـىـ أـنـ تـبـصـرـيـنـيـ وـبـنـ حـوـالـيـ كـالـأـسـودـ<sup>(١)</sup>.

\* إذا كانت الجملة الواقعية حالاً فعلية فعلها ماض، وهو لا يقع حالاً إلا مع (قد) ظاهرة أو مقدرة فإنها تجيء بالواو وبغير الواو كقولك (لقيته قد انتابه الحزن) أو (لقيته وقد انتابه الحزن) قال تعالى **«قَالَ رَبُّ أَلَّى يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبِيرُ»** [آل عمران / ٤٠]. قال الشاعر:

فـآبـواـ بـالـرـمـاحـ مـكـسـتـرـاتـ      وـأـبـنـاـ بـالـسـيـوـفـ قـدـ اـخـنـيـنـشـ  
جـلـةـ (ـقـدـ اـخـنـيـنـ)ـ فـعـلـيـهـ فـعـلـهـ مـاضـ وـهـيـ مـصـدـرـةـ بـ (ـقـدـ)ـ وـغـيـرـ مـقـتـرـةـ بـالـواـوـ  
كـمـاـ تـرـىـ.

ومثال (قد) المقدرة قوله تعالى: **«هـذـهـ بـضـاعـتـنـاـ رـدـتـ إـلـيـنـاـ»** [يوسف / ٦٥]،  
أي (وقد ردت إلينا).

وكذا إذا كانت الجملة الحالية بعد (إلا) كما في قوله تعالى: **«وـمـاـ أـهـلـكـنـاـ مـنـ  
قـرـيـةـ إـلـاـ لـهـاـ مـنـذـرـوـنـ»** [الشعراء / ٢٠٨]، جملة (ها منذرون) جاءت بعد (إلا) خمر  
مقترنة بالواو، وفي قول الشاعر:

وـأـنـتـ الـيـ ماـ مـنـ صـدـيقـ وـلـاـ عـدـاـ      يـرـىـ نـضـوـ مـاـ أـبـقـيـتـ إـلـاـ (ـرـثـىـ لـيـ)  
وـمـثـالـ اـقـرـأـنـاـ بـالـواـوـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: **«وـمـاـ أـهـلـكـنـاـ مـنـ قـرـيـةـ إـلـاـ وـلـهـاـ كـتـابـ مـعـلـومـ»**  
[الحجر / ٤].

<sup>(١)</sup> دلائل الإعجاز (تح. د. الداية)، ص. ١٥٠.

## تدريبات محلولة

السؤال الأول: دل على مواطن الفصل في الأمثلة الآتية واذكر السبب:

١— قال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»** [البقرة / ٦].

الجواب: جملة (لا يؤمنون) فصلت عن جملة (سواء عليهم انذرهم أم لم تذرهم) لأنها توكيدها وبينهما كمال اتصال.

٢— قال تعالى: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ ذُكْرِ بَيَاتِ رَبِّهِ فَأَغْرَضَ عَنْهَا وَكَسَّى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَرَهُ»** [الكهف / ٥٧].

فصلت جملة (إنما جعلنا) عن جملة (ومن أظلم) لاختلافهما خبراً وإشارة، فال الأولى (ومن أظلم) إنسانية، والثانية (إنما جعلنا) خيرية وبينهما كمال انقطاع.

٣— قال تعالى: **«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتْبِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِ مِمَّا عَلَمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا»** [الكهف / ٦٦ – ٦٧].

فصلت جملة (قال إنك) عن جملة (قال له موسى) لأنها تصلح جواباً على سؤال مقدر بعد الأولى (ماذا قال له الخضر؟) فالجواب (قال إنك لن تستطيع) وبينهما شبه كمال اتصال.

٤— حِكْمُ النَّبِيِّ فِي الْبَرِّيَّةِ حَارَ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ

فصلت جملة الشطر الثاني عن جملة الشطر الأول لأنها توكيدها ولأن جريان حكم الموت على الخلق معناه أن الدنيا ليست دار بقاء، وبين الجملتين كمال اتصال.

٥— قال تعالى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَافِرًا﴾** [نوح / ١٠].

فصلت جملة (إنه كان غافراً) عن جملة (استغفروا) لأن الأولى (استغفروا) إنشائية فيها أمر، والثانية (إنه كان) خبرية في بينهما كمال انقطاع.

٦— وَنَحْنُ أَنْسَاسٌ لَا تَوْسِطُ بَيْنَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوِ الْقَمَرُ

فصلت (لنا الصدر) عن جملة (لا توسط بيننا) لأنها بيان لها في بينهما كمال اتصال.

٧— وَلَسْتُ بِخَابِي أَبْدًا طَعَامًا حَذَارٌ غَدٌ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

فصلت جملة (لكل غد طعام) عن جملة (لست بخابي ..) لأنها بمنزلة الجواب عن

سؤال مؤاده (لماذا لا تدخل طعاماً لغد) الجواب (لكل غد طعام) وهذا لأن بينهما شبه كمال اتصال.

**السؤال الثاني:** دل على مواطن الوصول في الأمثلة الآتية واذكر السبب:

١— قال تعالى: **﴿إِنَّ مَكَانًا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّئًا﴾** [الكهف / ٨٤].

الجواب: عطفت جملة (آتيناه) على جملة (مكان له) لإرادة إشراكهما بحكم إعرابي واحد، فالثانية بمنزلة الخبر.

٢— في الحديث الشريف: «أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّمَنَّتْ وَلَا تَخْنُ مِنْ خَانَكَ».

عطف (لا تخن) على (أد) لاتفاقهما إنشاء فالأولى أمر والثانية (لا تخن) نهي.

٣— قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾** [آل عمران / ٢٢٢].

عطفت (يحب المطهرين) على (يحب التوابين) لإرادة إشراكهما بحكم إعرابي واحد.

٤— العَقْلُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مَكْثَارًا

عطفت جملة (السكتوت سلام) على سابقتها لاتفاقهما في الخبرية.

٥— إِنَّمَا الدِّينُ مَنَاعٌ زَائِلٌ فَاقْتَصُّ فِيهِ وَخُذْ مِنْهُ وَدْعَ

وارض للناس بما ترضى به      وابع الحق فنعم المتبوع  
وابع ما اسطعت عن الناس الغنى      فمن احتاج إلى الناس ضراغ  
عطفت الجمل: (خذ) و(دع) و(ارض) و(اتبع) و(ابغ) لأنها جميعاً جمل إنشائية  
مؤادة بأسلوب الأمر كما ترى.

٦- ومن العداوة ما ينالك نفعه      ومن الصدقة ما يضر ويؤلم  
عطفت جملة (من الصدقة ما يضر) على جملة (من العداوة ما ينالك) لاتفاقهما  
خيراً أي أن كلاً منها جملة خبرية.

السؤال الثالث: ميّز الجمل الحالية في الأمثلة الآتية وبين حكم اقتراها بالواو:  
١- قال تعالى: **(وَلَا تَبَاشِرُوهُنْ وَلَئِمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ)** [البقرة / ١٨٧].

جملة (أنتم عاكفون) حالية وجب اقتراها بالواو لأنها مصدرة بضمير منفصل  
(أنتم).

٢- يمشون قد كسروا الجخون إلى الوغى      متبسدين وفيهم استبشرار  
جملة (قد كسروا) حالية يجوز اقتراها بالواو وعدمه لأنها فعلية فعلها ماض مصدر  
بقد.

٣- ما لاح برق أو ترسم طائر      إلا انتشت ولـ فـ وـ آـ شـ يـ  
جملة (انتشت) حالية يجوز اقتراها بالواو وعدمه لوجود إلا.

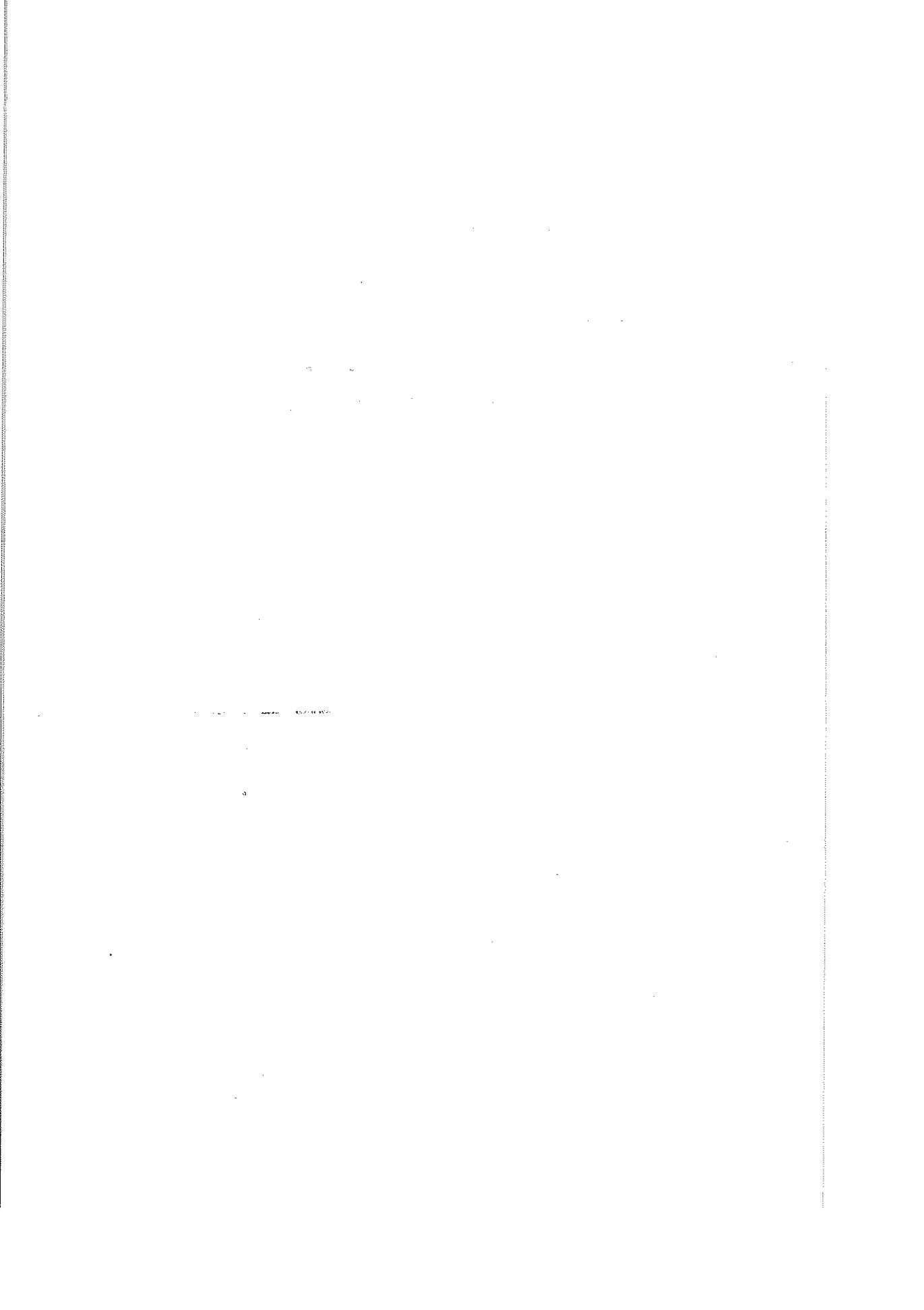
٤- قال تعالى: **(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)** [الكهف / ٣٥].

جملة (هو ظالم لنفسه) حالية وجب اقتراها بالواو لأنها مصدرة بضمير منفصل (هو).

٥- لما توذن الدنيا به من صروفها      يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه      بما سوف يلقى من أذاهما يهدى  
جملة (كانه بما سوف يلقى يهدى) حالية يكثر أن تجيء بغير الواو لوجود (كان).

## تدريب يطلب حلّه

- ـ دل على مواطن الفصل والوصل فيما يلي، والأذكر السبب:
- ١ـ قال تعالى: «وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا إِلَكَ فِي حَيْثِي مِمَّا يَمْكُرُونَ» [النحل / ١٢٧].
  - ٢ـ وغدر الفتى في عهده ووفائه . وغدر المواضي في نسوانه المضارب
  - ٣ـ يرى البخيل سبيلاً المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبلة
  - ٤ـ قال تعالى: «أَلَمْ يَرَوْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَحَّرَاتٍ فِي جَوَ السَّمَاءِ مَا يُنسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [النحل / ٧٩].
  - ٥ـ «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلاف، وما تناكر منها اختلاف».
  - ٦ـ لكل امرئ من دهره ما تعودوا . وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
  - ٧ـ (يا معاشر بکرا هالك معدور خير من ناج فرور، إن الخذر لا ينفعي من القدر).
  - ٨ـ قال تعالى: «قَالَ أَمْنَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِلَهٌ لَكِبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمَكُمُ السُّخْرَ» [طه / ٧١].
  - ٩ـ قال تعالى: «قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَبْعَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِ مِمَّا غَلَمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِلَكَ لَنْ تَسْتَطِعَ تَعْيَ صَبِرًا» [الكهف / ٦٦ - ٦٧].
  - ١٠ـ أيا من يشتري سهراً بنوم سعيد من يبيت قرير عين
  - ١١ـ عاجلوا الحكمة واستشروا هما وانشدوا ما حلّ منها في السير
  - ١٢ـ أفال الناس أغراض لذا الزمن يخلو من لهم أخلاهم من الفطنة



## **الفصل الخامس**

### **الإيجاز والإطناب والمساواة**

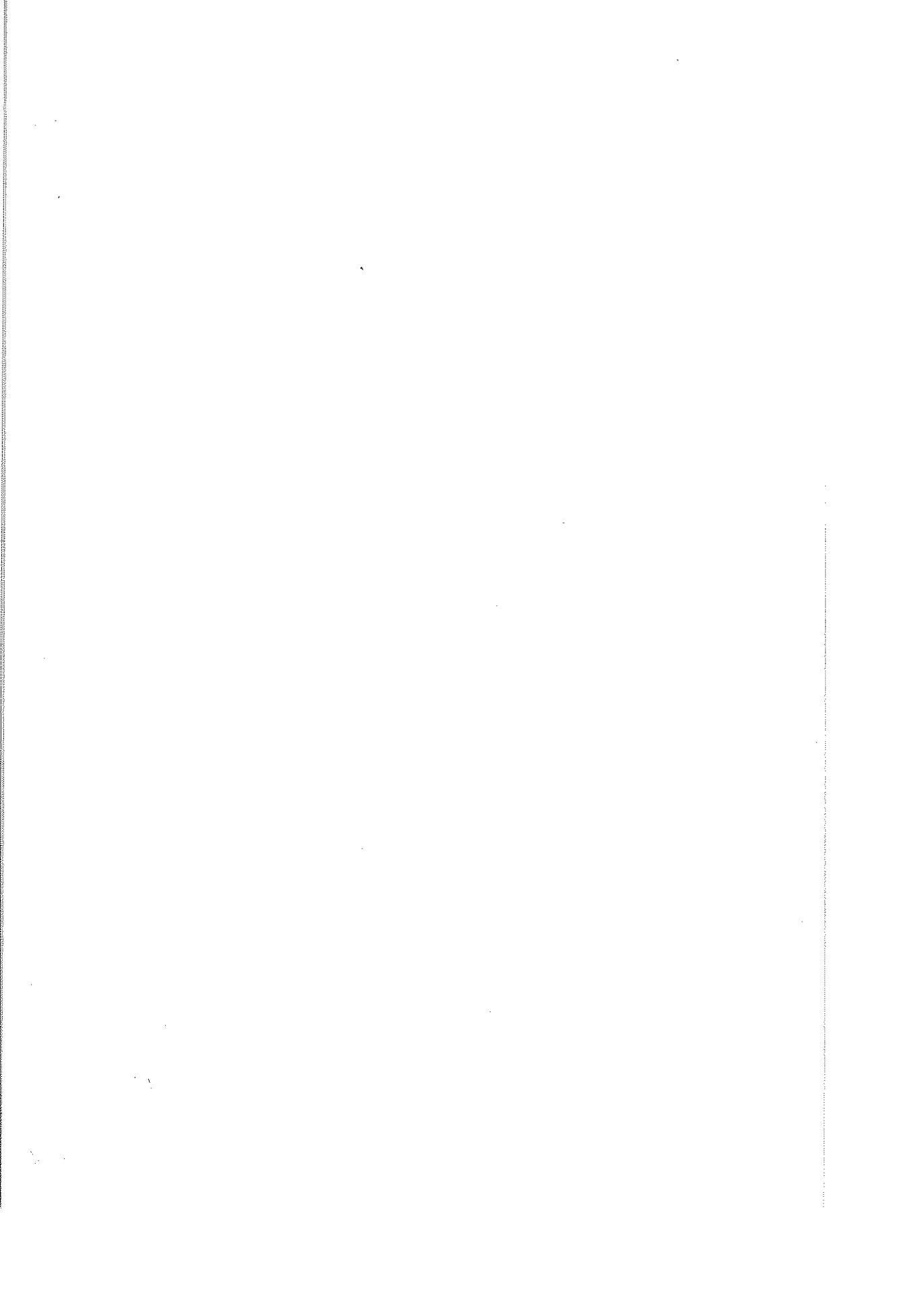
أولاً: الإيجاز — إيجاز القصر — إيجاز الحذف.

ثانياً: الإطناب — الإيضاح بعد الإهمام — ذكر الخاص بعد العام —

ذكر العام بعد الخاص — التأكيد — التكرار — الإيفان —

التدليل — الاحتراس — التتميم — الاعتراض.

ثالثاً: المساواة.



## الإيجاز والإطناب والمساواة

### أولاً: الإيجاز

الإيجاز مصدر فعل أو جزء معنٍ قصر، والكلام الوجيز هو الكلام القصير، وفي الاصطلاح البلاغي أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء بالمعنى (وإلا كان إخالاً يفسد الكلام) أو كما قال الرمائي: البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ<sup>(١)</sup>. ويعده الرمائي المتوفى ٣٨٦ هـ أول من تحدث عن الإيجاز حديثاً بلاغياً في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وهو الذي قسمه إلى فرعيه المعروفيين إيجاز القصر وإيجاز الخذف.

أ- إيجاز القصر: وهو الكلام القليل الذي يحمل معنى كثيراً من غير حذف، أو هو تضمين الألفاظ القليلة معانٍ كثيرة من غير حذف، وقد فسرت جوامع الكلم في الحديث (أوتست جوامع الكلم) بأنها اجتماع المعانٍ الكثيرة في ألفاظ قليلة مع حسن البيان والقدرة على الإيصال بأقرب طريق.

وأمثلة الإيجاز بالقصر كثيرة في القرآن الكريم وفصيح العرب، تدبر قوله تعالى: **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَغْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)** [الأعراف / ١٩٩]، والخطاب للنبي عليه السلام، تحد أن الله جمع بهذه الأوامر الثلاثة (خذ) و(أمر) و(أعرض) معانٍ كثيرة، ففي (خذ العفو) بيان لصلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين، ويدخل فيه التخلص مع الناس بالخلق الحسن وترك الفطاظة في التعامل معهم أي أنه جمع في هذه

<sup>(١)</sup> النكت في إعجاز القرآن / ٧٤.

الآية كل مكارم الأخلاق.

وفي (وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ) صلة للأرحام وتودّد إلى الناس وزرع الفضيلة بينهم.

وفي (وَأَعْرَضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) أمر بالصبر والحلم وتنزيه للنفس عن مقابلة سفيه الناس بالسوء.

ومن هذا النوع من الإيجاز قوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضَ يَعْذِذُ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾** (٣٠) **﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾** [النازعات / ٣١ - ٣٠]، يقول الحافظ: إن القرآن جمع بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها) الشجر والملح واليقطين والبقل والعشب فذكر ما يقوم على ساق وما يتفسن وما يتتسطع وكل ذلك مرعي ثم قال على النسق (متاعاً لكم ولأنعامكم) فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله لأن الملح لا يكون إلا بالماء ولا تكون النار إلا من الشجر<sup>(١)</sup>.

ومن أوضح الأمثلة هنا قوله تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾** [البقرة / ١٧٩]. أي ولكم في عقاب القصاص القائم على المثالثة لفعل الجاني حياة آمنة بدلاً من عادة الأخذ بالنار؛ لأن القاتل إذا علم أنه سيقتل ارتدع.

وقد كانت العرب تقول في هذا المعنى (القتل أنفني للقتل) إلا أن بين الآية وعبارة العرب تفاوتاً في البلاغة والفصاحة من حيثات:

الآية أكثر في الفائدة ففيها كل ما في قوله (القتل أنفني للقتل) وزيادة معان حسنة كإبانة العدل لذكره القصاص وإبانته الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة والاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به.

والآية أوجز فإن الذي هو نظير (القتل أنفني للقتل) قوله (القصاص حياة) والأول أربعة عشر حرفاً، الثاني عشرة أحرف.

والآية خالية من التكرار الذي فيه على النفس مشقة فإن في قوله (القتل أنفني

<sup>(١)</sup> البيان والتبيين / ٢٣.

للقتل) تكراراً غيره أبلغ منه، ومن كذاك فهو مقصّر في باب البلاغة.

والآية حروفها متلائمة وتتألّفها حسن وهو مدرك بالحسن موجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام (في القصاص) أعدل من الخروج من اللام إلى المهمزة (القتل أفقى) لبعد المهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء (القصاص حياء) أعدل من الخروج من الألف إلى اللام (أفقى للقتل) فباجتماع هذه الأمور صار ما في الآية أبلغ مما في العبارة، وإن كان قوله بليغاً حسناً<sup>(١)</sup>.

ومن هذا قوله تعالى: «وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنفُسُ وَلَذُّ الْأَعْيُن» [الزخرف / ٧١] – والحديث عن الجنة – فإن كل ما يخطر في بالك من الطيبات والملذات للروح والجسد تتجدد في هذه الآية.

ومن كلام البلغاء الذي يندرج تحت إيجاز القصر قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة له (اعلموا أن أكيس الكيس التقى وأن أحمق الحمق الفحور، وأن أتواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبوع ولست مبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني<sup>(٢)</sup>).

وقول عبد الله بن مسعود (خير الأمور أو سلطتها وشر الأمور محدثها، ما أقل وكفى، خير ما كثر وأهلى، خير الغنى غنى النفس، وخير ما ألقى في القلب اليقين<sup>(٣)</sup>).

ب – إيجاز الحذف: وهو الكلام القليل الذي يحمل معنى كثيراً بحذف شيء من العبارة، قد يكون حذفاً لحرف أو لكلمة أو لشبه جملة أو جملة، بل قد يكون حذفاً لأكثر من جملة، ولا بد في هذا النوع من الإيجاز من وجود قرينة تنصّح عن المذوف وتشير إليه.

<sup>(١)</sup> بنصرف من كتاب النكت في إعجاز القرآن / ٧١ – ٧٢.

<sup>(٢)</sup> إعجاز القرآن للباقياني / ١٣٧.

<sup>(٣)</sup> نفسه / ١٤٧.

**حذف الحرف:** كما في قوله تعالى: **(قَالُوا تَالِلَهِ تَفْتَأِلْدُكُرُّ يُوسُفَ)** [يوسف/٨٥]، أي لا تفتأ، وفي هذا الحذف إشعار بسرعة الوصول إلى الفعل، وليس المذوق مما يخفى أمره على السامع.

وقوله تعالى: **(وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ**) [الأنياء/٣١]، أي لثلا فحذف (لا) واللام<sup>(١)</sup>. ومنه قول أمير القيس:  
**فَقَلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا**      ولو قطعوا رأسى لدىك وأوصالي  
أي لا أبرح.

**حذف المضاف:** كما في قوله تعالى: **(وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقُّ جِهَادِهِ)** [الحج/٧٨]، أي في سبيل الله غير أن هذا الحذف جعل الغاية من الجهاد قرينة إلى السامع واضحة في نفسه يدركها بسرعة، ويمكن أن يكون من هذا قوله تعالى: **(وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)** [يوسف/٨٢]، أي وسائل أهل القرية، فمحذف اللفظ المضاف (أهل)، والعقل يدل على المذوق.

وكذا قوله تعالى: **(كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ)** [الرعد/١٧]، أي يضرب الله مثل الحق ومثل الباطل، وقد جاء الحذف هنا إيجازاً واختصاراً، ومحذف لدى السامع أن الله لم يرد ضرب الحق أو ضرب الباطل، وإنما أراد ضرب المثل لكل منها.

**حذف المضاف إليه:** أكثر حالات حذفه في القرآن، عندما يكون مع المضاف كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْبِي كَيْفَ تُخِيِّبِي الْوَئِي)** [آل عمران/٢٦٠]، فمحذف المضاف إليه (باء المتكلم) من كلمة (رب) المضاف.  
ومثله قوله تعالى: **(رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي)** [هود/٤٥].

ويحذف المضاف إليه بعد لفظي (قبل) و(بعد) المبنية على الضم كما في قوله

<sup>(١)</sup> انظر الكشاف ٢/٢٧١.

تعالى: **«اللهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ»** [الروم / ٤]، وكذا في تصديرهم ~~لخطبهم~~  
بـ: أَمَّا بَعْد.

حذف الصفة: كما في قوله تعالى: **«الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَّهُمْ مِنْ خُوفٍ»** [قريش / ٤]، أي من جوع شديد وأمنهم من خوف عظيم. وقوله تعالى:  
**«وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَقِيَةً غَصْبًا»** [الكهف / ٧٩]، أي سفيه  
صحيفة بدليل قوله قبله (فأردت أن أغيبها) فإنه يدل على أن الملك كان يأخذ  
الصحيحة، وعد البلاغيون من هذا النوع قول الشاعر:

كُلَّ امْرَئٍ سَتَّيْمُ مِنْهُ الْعَرْسُ أَوْ مِنْهَا يَسِيمُ

أي كل امرئ متزوج، والمعنى إما أن يموت الرجل فتبقي امرأته أيماء، وإما أن  
موت امرأته فيبقى هو أيماء.

حذف الموصوف: كما في قوله تعالى: **«وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا»** [الفرقان / ٧١]، أي عمل عملاً صالحاً، قال البحترى في وصف إيوان كسرى:  
وإذا مسأليت صورة أنطاكيّة ارتفعت بين روم وفرس  
والنایسا موائل وأنو شر وأن يرجي الصفة وف تحنت الدرفس  
في أحضرارِ من اللباس على أصفر يختال في صيغة ورس  
يريد على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال.

حذف الشرط: كما في قوله تعالى: **«فَإِنِّي عَوْنَى لَعْنِيكُمُ اللَّهُمَّ»** [آل عمران / ٣١]  
وتقدير المذوق: (إن تتبعوني)، وقوله تعالى: **«قُلْ لِعَبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ»** [إبراهيم / ٣١] أي إن قلت لهم أقيموا يقيموا.

حذف جواب الشرط: كما في قوله تعالى: **«وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سَيِّرَتْ بِهِ الْجَنَّاتُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَلَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا»** [الرعد / ٣١]، والتقدير:

لكان هذا القرآن<sup>(١)</sup>. ومنه قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وَجْهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» [آل عمران/١٠٦]، والتقدير فيقال لهم أكفرتم لأن أمّا شرطية تفصيلية كما تعرف.

حذف المبتدأ والخبر والمفعول: مرّ ذكره في أحوال الإسناد والمعتقدات<sup>(٢)</sup>.

حذف الحال: كما في قوله تعالى: «وَالْمُلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» [الرعد/٢٣ - ٢٤]، والتقدير: (يدخلون عليهم قائلين سلام عليكم).

حذف شبه الجملة: كما في قوله تعالى: «فَاقْضِ مَا أَلْتَ قَاضِ» [طه/٧٢]، أي ما أنت قاض به، وفي هذا الحذف قطع لكل نقاش مع فرعون وحسّم لكل تردّد.

حذف الجملة: كما في قوله تعالى: «وَإِذْ أَسْتَشْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اخْرُبِ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ فَأَلْفَجَرَتْ مِنْهُ النَّثَأَ عَشْرَةً عَيْنًا» [البقرة/٦٠]، أي فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضرب فانفجرت، فالمحذوف جملة (ضرب) الفعلية.

حذف أكثر من جملة: وهو نادر في كلام البلغاء كثير في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: «أَنَا أَتَبْشِّكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلْتُونِ (٤٥) يُوْسُفُ أَيْهَا الصَّدِيقُ» [يوسف/٤٥ - ٤٦]، أي (فارسلوني إلى يوسف لأستعيده الرؤيا ففعلوا وأتاه فقال له: يوسف أيها الصديق). فانظر إلى المحذوف تجد أنه أكثر من جملة (استعيده) (فعلوا) (أتاه) (قال) وهذا لا يستطيعه البليغ مهما كانت درجة بلاغته.

وكثيراً ما تجد مثل هذا النوع من الحذف (أكثر من جملة) في قصص القرآن الكريم، أقرأ قصة الخلق في الآيات الآتية: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمُلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَلَخْنُ لَسَبَعَ

<sup>(١)</sup> انظر سر الفصاحة / ٢١٠.

<sup>(٢)</sup> انظر من هذا الكتاب الصفحة ١٣١ وما بعدها.

بِحَمْدِكَ وَلَقَدْسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » [البقرة / ٣٠]، تجد أن المذوق عده جمل ويمكن أن يكون كما يلي: «وإذ قال ربك للملائكة إنِّي جاعل في الأرض خليفة» فخشوا أن يفسد الخليفة في الأرض، فتوجهوا إلى رهم «قالوا أَجْعَلُ فِيهَا مِن يَفْسُدُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنَقْتُلُ لَكَ» فعلم بذلك جهلهما بواطن الأمور وأفهم يقيسون كلامهما على ما رأوه من كان قبل آدم من الجن فلما كان ذلك منهم (قال إنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)<sup>(١)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> انظر كتاب الإيمان في كلام العرب ونص الإعجاز، د. مختار عطية / ٤٠٠.

## ثانياً: الإطناب

وهو مصدر فعل أطّنَب، يُقال أطّنَبَ الريح إذا اشتتدت في غبار، وأطّنَبَ الإبل إذا اتبع بعضها بعضاً في السير. وفي اللسان أطّنَب في كلامه إذا بالغ فيه، والإطناب في اصطلاح البالغين هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أو ساط البلاغة لفائدة تقويته وتوكيده على حد قول السكاكي<sup>(١)</sup>.

ويتبغي أن نفرق بين الإطناب وبين الحشو والتطويل، فالإطناب بلاغة وليس التطويل كذلك، قال أبو هلال العسكري: الإطناب بلاغة والتطويل عي لأن التطويل منزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب، والإطناب منزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة<sup>(٢)</sup>.

ولما كان للإطناب والإيجاز قبله فوائد بلاغية جمة قالوا في تعريف البلاغة إنها إيجاز من غير خلل أو إطناب من غير خطأ.

ومنة أسباب تدفع المتكلم إلى سلوك الإطناب في كلامه منها: ثبيت المعنى في نفس السامع أو المخاطب، ومنها توضيح المراد، ومنها التوكيد ودفع الإيهام ومنها غير ذلك، وهي على أنواع:

١ - الإيضاح بعد الإيهام: وذلك ليتمكن في النفس أكثر، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإيهام تشوق النفس إلى معرفته مفصلاً كما في قوله تعالى: « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحُونَ » [الحجر / ٦٦]، أي أوحينا إلى لوط ذلك الأمر المضي فيه وهو إهلاك قومه، فقوله (أن دابر هؤلاء

<sup>(١)</sup> مفتاح العلوم / ٢٧٧.

<sup>(٢)</sup> كتاب الصاعدين / ٢٢١.

مقطوع مصبعين) إيضاح للإهمام الذي تضمنه لفظ (الأمر).

ويتبع هذا النوع من الإطباب التوسيع وهو أن يُؤتى في عجز الكلام بمعنى مفسّر باسمين، أحدهما معطوف على الآخر كقولك: (اجتمع في عمر بن الخطاب خصلتان: الشجاعة والفصاحة)، فلفظ (خصلتان) جاء في عجز الجملة الأولى ثم فسر بلفظين معطوف ثانية على أولهما وهما (الشجاعة والفصاحة).

ومن لطيف ما قرأت من هذا النوع قول أسماء بن منقذ في مدح صلاح الدين:

فأنت إسكندر الدنيا بسورك قد  
تضاءل المظلمان: الظلُّمُ والضرُّ  
أعدت للدهر أيام الشباب وقد  
أظلَّه المهرمان: الشيبُ والكيرُ  
وجاد غيثُ نداك المسلمين فمن  
سحابه المغنيان: الدرُّ والبدرُ  
وسرت سيرةً عدلٍ في الأنام كما  
قضى به الصادقان: الشرع وال سور  
تيارها الزاخران: البحر والمطر  
مكارم جمعت فيه توافق في  
تفصيلها الأكرمان: الخيرُ والخيرُ

٢— ذكر الخاص بعد العام: ويؤتى به للتبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من حنس العام، قال تعالى: «خَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى» [البقرة/ ٢٣٨]، فشخص الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر بالذكر لزيادة قدرها ومعرفتها فضلها. وقال تعالى: «وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَذْعُونَ إِلَيِ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ» [آل عمران/ ١٠٤]، فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في الخير لكن الله خصّهما لفضلهما.

٣— ذكر العام بعد الخاص: وهو لإرادة العموم، قال تعالى: «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَكَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَامُ الْغَيْبِ» [التوبه/ ٧٨]، ألا ترى أن قوله (علم الغيب) أعمّ من العلم بالسر والنحوى. ومن هذا قوله تعالى: «رَبَّ اغْفِرْ لِي

وَلِوَالَّذِي وَلَمْنَ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ) [سُورَةُ الْأَنْعَام / ٢٨]، فـ (لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ) يدخل في عمومهما من ذكر قبيلهما (لي ولوالدي):

٤— التأكيد: كما في قوله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مَّنْ قَلَّتِنِي فِي جَوْفِهِ» [الأحزاب / ٤]، فقوله (في جوفه) إطناب جاء لإفاده التوكيد؛ لأن القلب لا يكون إلا في الجوف ولكنه في هذه الزيادة (في جوفه) أراد المبالغة في إنكار أن يكون للمرء قلبان. ومنه قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَائِيَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أَمْمَ أَثْنَاكُمْ» [الأنعام / ٣٨]، فليس ثمة طائر يطير بغير جناحه لأنه لا يقوى على الطيران إلا بخفقهما، ولكن الإطناب بذكر (جناحيه) جاء فأفاد معنى التوكيد والإاطحة لتشتمل على كل الطيور، وفي ذلك ما فيه من دلالة على عظم قدرة الخالق عز وجل وامتداد ملكته.

٥— التكرار: إذا كان التكرار لغرض بلاخي أو فائدة لطيفة فهو إطناب وإلا فهو مذموم لأنه يندرج في الفصاحة وبغض من طلاوهها. وأغراض التكرار كثيرة منها:

أ— التأكيد كما في قوله تعالى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» [التكاثر / ٣ - ٤].

ب— خشية تناسي الأول وذلك عندما يكون الكلام طويلاً فإنه يعاد تعبيراً له عده كما في الآية «ثُمَّ إِنْ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَنَّمِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْنَلُحُوا إِنْ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» [النحل / ١١٩]، فقوله (إن ربك) في عجز الآية تكرار لأنه لما طال الفصل بين إن واسمها في صدر الآية (ثم إن ربك) وخبرها (الغفور) احتاج إليه.

ومن هذا قوله تعالى: «لَا تَخْسِئَنَ الَّذِينَ يَقْرَبُونَ بِمَا أَنْتُوا وَلَا يَجْبُونَ أَنْ يُخْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَخْسِئُهُمْ بِمِقَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [آل عمران / ١٨٨]، فقوله (فلا تخسيسهم) تكرار ومنه قول الشاعر:

لقد علم الحسبي المسانون أنتي      إذا قلت أما بعد أن خططتها

ج - الترغيب: كما في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمَ الْبَيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرُّشادِ﴾** (٣٨) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع **﴿﴾** [غافر / ٣٩ - ٣٨]، فقوله (يا قوم) الثانية تكرار، المدف منه الترغيب في أن يهتدوا.

د - التهويل: كما في قوله تعالى: **﴿أَلَا إِنْ عَادًا كَفَرُوا رَبُّهُمْ أَلَا بَعْدًا لَعْنَادِ قَوْمٍ هُودٍ﴾** [هود / ٦٠]، فالنكرار (ألا بعد العاد) تهويل وبيان لفظاعة ما عملوا.

ه - التعليق باللفظ المكرر كما في قول العذرى:

تذكري ليلي والسنين الخوايا      وأيام لا تخشى على الله ناهيما

بتمددين لاحت نار ليلي وصحبتي      بذات الغضا ترجي المطى التواجيا

خليلي لا والله لا أملك الذي      قضى الله في ليلي ولا ما قضى لي

قضاه لغري وابتلاي بحبها      فهلا بشيء غير ليلي ابتلاي

ز - التخصيص: كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلِ عَلَى النَّاسِ وَكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾** [آل عمران / ٢٤٣]، فكرر (الناس) لافادة التخصيص.

ح - إظهار التحسس: كما في الرثاء قال الشاعر:

فيما قبر معن أنت أول حفرة      من الأرض خطت للسماحة موضعها

وبيا قبر معن كيف واريست حسوده      وقد كان منه السير والبحر مترعا

فكدر (بيا قبر معن) تحسراً.

ـ الإيهال: وهو من قولهم أوغل في الأمر إذا أبعد الذهب فيه، واصطلاحاً  
الإيهال في عجز الكلام بنته لما قبله مفيد للتأكيد والزيادة كما في قول الحسباء:

وإن صحراء لتأمُّ الهدأة به      كأنه علم في رأسه نار  
فقولها (في رأسه نار) من الإيهال الحسن لأنها لم تكشف بكلونه جبلًا عالياً مشهوراً

بل زادت لكتة إيمانها في مدحه وشهرته — (في رأسه نار) لما فيه من زيادة في الظهور والانكشاف لأن الجبل ظاهر فكيف به إذا كان في رأسه نار، والنار ظاهرة فكيف إذا كانت في رأس جبل<sup>(١)</sup>.

ومثله عند الأعشى:

كتاطع صخرة يوماً ليوهنها      فلم يضرها وأوهى قرئه الوعل  
فقد تم كلامه بـ (يضرها) ولما احتاج إلى القافية قال (وأوهى قرنه الوعل) فزاد معنى لطيفا.

٧- التذليل: وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد ويأتي على ضربين:

أ— تذليل لا يخرج عن المثل لأنه لا يودي المراد بذاته وإنما يعتمد على ما جاء قبله كما في الآية: «**ذَلِكَ جُزُّتَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُلْ كُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ**» [سما] [١٧] فجملة (وهل كجازي إلا الكفور) تذليل لكنه — كما ترى — معتمد في السياق على ما قبله فلا يجري بجري المثل.

قال النبي:

وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَانِ حَوْلَكَ، فِي الدُّجْنِي      إِلَّا قَرْ مَا وَاجَدَ لَكَ عَادِمَةُ  
قوله (ما واجد لك عادمه) تذليل والمعنى لا يحتاج من يجدك إلى القمر، إلا أن هذا التذليل متعلق بما قبله فهو لا يقوم مثلا مستقلا.

ومنه قول ابن نباتة:

لَمْ يُقْ جُودَكَ لِ شَيْئاً أَوْ مُلْهَةً      تركتني أصحابُ الدُّنْيَا بِلَا أَمْل  
فالشطر الثاني تذليل من هذا النوع.

<sup>(١)</sup> انظر الطراز ٣ / ١٣١.

ب — تذليل يخرج مخرج المثل: أي يمكن أن يؤدي المراد بذلكه من غير الاعتماد على ما قبله كما في الآية: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْوًا» [الإسراء / ٨١]، فحملة (إن الباطل كان زهوقاً) تذليل يجري بجرى المثل لاستقلالية عما قبله.

وكما في الآية «وَمَا جَعَلْنَا لِيَسْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مَتْ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [الأنباء / ٣٤ — ٣٥]، فقوله (كل نفس ذائقة الموت) تذليل جاري بجرى المثل.

قال الشاعر يرثي ولده:

بَسْدَلْ دَارَأَ غَمَّوْ هَلْزَ وَجَرِيَةَ سُوَى وَأَحَدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوِبُ  
تُحْرِي جَمْلَةَ (أَحَدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوِبُ) بجرى المثل لامكان اعتمادها على ذاتها.

وقال النابغة:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبِقٍ أَنْحَى لَا لَتَمُّمَّةَ      على شعر (أي الرجال المذهب)  
— الاحتراض: وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه كقولك  
لمن تحب: (أَيْقَاكَ اللَّهُ سَلِيمًا مَعَافِي) فإن دعاءك له بالبقاء قد يوحى بالأية «وَمَنْ  
لَعْمَرْهُ لَنْكَسَةً» فعندما قلت (سلি�ماً معاف) احتضرت من ذلك المعنى.

ومنه قول طرفة بن العبد:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مَفْسِدَهَا      صوبُ الربيع وديمةَ هَمَّي  
لأن المطر قد يفضي بالديار إلى الفساد فاحتضر بقوله (غير مفسدتها) خشية أن  
يفهم السامع خلاف المراد، أو كما قال الجاحظ: إن الشاعر طلب الغيث على قدر  
الحاجة لأن الفاضل ضار<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> البيان والتبيين ١/٢٢٨.

ومنه ما جاء في الآية: **«فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يَجْهَهُمْ وَيَجْبُونَهُ أَذْلَلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَزَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ»** [المائدة/ ٤٥]، فلو اقتصرت الآية الكريمة على وصفهم بـ (أذلة) لظن ظان أن ذلهم لضعفهم فاحترس من ذلك الطن بقوله (أعزه على الكافرين).

قال تعالى في خطاب موسى عليه السلام **«وَاضْنُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ يَئْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ»** [طه/ ٢٢]، فقوله (من غير سوء) احتراس من أن يظن موسى أن في يده مرضًا يجعلها يضاء.

٩— التتميم: وهو أن يوتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة كالمفعول أو الحال أو شبه الجملة مما ليس بجملة مستقلة وذلك لنكتة كالمبالغة في قوله تعالى: **«وَيَطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبَّهِ»** [الإنسان/ ٨]، أي مع حاجتهم إليه فقوله (على حبه) تتميم، ولعل منه قول زهير:

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا  
يَلْقَ السَّماحةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلْقًا  
قوله (على علاته) تتميم.

١٠— الاعتراض: وهو أن يوتى بين كلامين متصلين معنًى بجملة أو أكثر وهي جملة لا محل لها من الإعراب، وهذا يكون لأغراض منها:

أ— الدعاء كما في قول الشاعر:

إِنَّ سَلِيمِي وَاللَّهُ يَكْلُو هَمًا  
ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُو هَا  
فجملة (الله يكلوها) اعتراض أدى غرض الدعاء.

وقول النابغة:

يَقُولُ رَجَالٌ يَنْكِرُونَ خَلِيفَتِي  
لَعْلَ زِيادًا لَا أَسْأَلُكَ غَافِلًَ  
فجملة (لا أبالك) اعتراض معناه الدعاء.

ب - التبريز كما في الآية ( وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ) [النحل / ٥٧]. فحملة (سبحانه) مع تقدير الفعل اعتراضية الغرض منها تبريز الله عز وجل عن أن يكون له ما يدعون.

ج - التنبية كما في قول الشاعر:

وَاعْلَمْ فَعَلَمُ الْمَرءَ يَنْفَعُهُ  
أَنْ سُوفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِّرَ  
اعتبرت جملة (فعلم المرء ينفعه).

### ثالثاً: المساواة

وهي أن يساوي اللفظ المعنى لا يزيد عنه ولا ينقص، أو هي العبارة البلية التي ليس فيها إيجاز ولا إطناب. كما في قوله تعالى: **(وَلَا تَقْرُبُوا الزَّكَرَ إِلَهَ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)** [الإسراء / ٣٢]، فهذه آية أدت المعنى المراد دون زيادة أو نقصان. وكذا في قول الرسول عليه الصلاة والسلام في كتابه إلى النجاشي ملك الحبشة «إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمَوَالَةُ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَبْغِي وَتَلْمُنَ بِالذِّي جَاءَنِي».

ومنها قول ابن الوردي:

اطرح الدنيا فـ من عادها تـ تخـضـ العـالـيـ وـ تـعلـيـ مـنـ سـفلـ  
إنك ترى من خلال الأمثلة التي عرضت عليك أن هذا الكلام لا يمكن أن تختلف  
منه شيئاً ولا يمكن أن تضيف إليه فهو قد تساوت فيه الألفاظ والمعانـ.

## تدرییبات محلولة على بحث الإيجاز والإطناب

السؤال الأول: اذکر نوع الإيجاز في الأمثلة التالية واشرحه:

١ - قال تعالى: **«لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ»** [سما / ٣١].

هذا إيجاز بالحذف، والمذوف هو الخبر، إذ التقدير (لو لا أنت موجودون لكننا مؤمنين).

٢ - قال تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ»** [التحل / ٩٠].

هذا إيجاز بالقصر فقد اشتملت هذه الكلمات القليلة على معنى أن الله يأمر الناس جميعاً بالإنصاف والاعتدال في كل الأمور ومقابلة الخير بمحسن منه والشر بالغفو والصفح وإعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر لهم، وينهى عن كل شيء قبيح قوله أو فعلًا كالغيبة والنسمة والحسد والبخل وعن كل ما ينكره الشرع بالنهي عنه وهو جميع المعاصي، قال العلماء: هذه الآية أجمع آية في القرآن للخير والشر.

٣ - رأيت الحمرَ جاهدةً وفيها حصالٌ تفسدُ الرجلَ الحليمَا  
فلا والله أشربُها حيَايٍ ولا أستقي هَا أبداً ندما

هذا إيجاز بالحذف، والمذوف حرف إذ التقدير: لا أشربها.

٤ - قال تعالى: **«وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»** [العنكبوت / ٤٥].

إيجاز بالحذف، والمذوف شبه جملة إذ التقدير: أكبر من كل شيء.

٥ - قال تعالى: **«يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَأَشْرِبُوا**

**وَلَا تُسْرِفُوا** ) [الأعراف / ٣١].

هذا إيجاز قصر إذ جمعت الآية ثلاثة أنواع من أساليب الإنشاء: النداء والأمر والنهي، وهي تحمل معنى تزيناً واستروا العورة عند كل صلاة وطواف، وبياح لكم الأكل والشرب من غير أن تتجاوزوا الحد في ذلك.

٦ — قال تعالى: ( اذْهَبُ بِكِتَابِي هَذَا فَالْقِفَةُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ) [٢٨] (قالت يا أيها الملائكة أتني كتابك كريماً) [النمل / ٢٨ - ٢٩].  
إيجاز بحذف أكثر من جملة ويمكن تقدير الجمل المذوفة بعد (يرجعون) كما يلي:  
فذهب المدهد وحمل الكتاب فألقاه فأخذته وقرأته وجمعت قومها (قالت يا أيها الملا).

السؤال الثاني: دل على مواطن الإطباب فيما يلي وبين نوعيه.

١ — قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا إِلَيَّ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِيًّا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) [يوسف / ٤]. الإطباب هو في قوله (رأيتم) وهو تكرار حسن لما طال الفصل في الكلام بين (رأيت) و(ساجدين).

٢ — حلِيمٌ إِذَا مَا حَلَمَ زَيْنَ أَهْلَهُ      مع الحلم في عين العدو مهيب  
الإطباب في (مع الحلم في عين العدو مهيب) وهو احتراس خشبية أن يُظْنَ أن حلم المدوح نتيجة ضعف أو هلهل شخصية.

٣ — للمتنبي:

وَنَخْفَرُ الدِّنِيَا احْتَقَارَ مُحَرَّبٍ      يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا  
الإطباب (وحاشاك) هو اعتراض معناه الدعاء.

٤ — قال تعالى: ( تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ) [القدر / ٤].  
الإطباب في (الروح) لأن الروح هو جبريل عليه السلام وهو من الملائكة إلا أنه أفرد تعظيمًا ل شأنه وهو من ذكر الخاص بعد العام.

٥ — يشيب ابن آدم وتشبّه معه خصلتان: الحرصُ والأمل.

الإطناب في (الحِرْصُ والأَمْلُ) وهو توشيع لأنَّه جاء في عجز الكلام بمعنى (خصلتان) وفسرَه بلفظين معطوف ثانيهما على أولهما (الحِرْصُ والأَمْلُ).

٦ — لابن المعتز:

صَبَّيْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا      فَطَارَتْ هَا أَيْدِي سَرَاعٍ وَأَرْجَلٌ  
الإطناب (ظالمين) وهو احتراس حتى لا يُفهم أن الفرس بليدة، فهو لم يضرها  
لبلادها وإنما كان ضربها ظلماً منه.

٧ — للبحيري:

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامَ إِلَّا أَهْمَاءُ      يَا صَاحِبَيِّ إِذَا مَضَتْ لَا تَرْجِعُ  
فـ (يا صاحبي) حشو لافائدة منه فلا يُعد من الإطناب لأن الإطناب يكون  
لفائدة.

٨ — للحسناء:

وَإِنَّ صَخْرَاً لِوَالْيَنْسَا وَسِيدُنَا      وَإِنَّ صَخْرَاً إِذَا نَشَّتُ لِنَخَّارُ  
وَإِنَّ صَخْرَاً لِسَائِمَ الْمَدَاهَ بَـ      كَانَهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ  
الإطناب في ذكر (صخراً) مكرراً وهو لغرض إظهار الحسرة.

## تَدْرِيُّبَاتٌ يُطْلَبُ حَلَّهَا

### السُّؤَالُ الْأَوَّلُ:

بَيْنَ أَنواعِ الإِيجَازِ فِي كُلِّ مَا يُلْقَى وَاسْتَرْجَحُ مَا تَذَكَّرُ:

- ١— قَالَ تَعَالَى: **«وَالْفَلْكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ»** [البَقْرَةُ / ١٦٤].
- ٢— يَخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي أَغْشَى الْوَغْيَ وَأَعْنَفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ.
- ٣— «الْمَعْدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ وَالْحَمِيمَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ».
- ٤— قَالَ تَعَالَى: **«فَتَوَبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوْا أَفْسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ»** [البَقْرَةُ / ٥٤].
- ٥— قَالَ تَعَالَى: **«وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدًّا مِّنْ قَبْلِ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»** [يُوسُفُ / ٢٦].

### السُّؤَالُ الثَّانِي:

بَيْنَ الْإِطْنَابِ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيةِ مَعَ ذِكْرِ الدَّاعِيِ الْبَلَاغِيِّ:

- ١— قَالَ تَعَالَى: **«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَذَّرِقَ وَأَغْنَابَا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَثْرَابَا (النَّبَأُ / ٣١ - ٣٣) .**
- ٢— وَالسُّعْيُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقِ قَدْ قُسِّمَتْ بَغْيَ أَلَّا يَغْنِي لِلرِّءَاءِ بِصَرْعَةٍ
- ٣— قَالَ تَعَالَى: **«فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَكَنْجُلٌ وَرَمَانٌ»** [الرَّحْمَنُ / ٦٨].
- ٤— نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالَهُ ضِمَّنًا وَلَيْسَ بِجَسْمِهِ سَقْمُ

٥- وَيَهْرَلُ لِلْحَلَوِي إِذَا مَا مَدَحَهُ  
كَمَا اهْتَرَ - حاشى وصفه - شاربُ الْخَمْرِ  
٦- إِنْ تَمَّ ذَا الْمَجْرُ يَا ظَلْمَوْمُ وَلَا  
تَمْ فَسَالِي فِي الْعِيشِ مِنْ أَرْبِ  
٧- كُلَّ خَلِيلٍ كُنْتَ خَالِلُهُ  
لَا تَرْكَ اللَّهَ لَهُ وَأَضَحَّهُ  
كُلَّكُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَلَبٍ  
مَا أَشَبَّهُ الْلَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

## خاتمة

نخلص مما جاء في هذا الكتاب إلى أن العرب منذ العصر الجاهلي كان لهم رأيهم في الكلام بلغه وسخيفه، وأن بلاغته لم تكن خافية على أي منهم، حتى أقلهم براعة في القول ومعرفة الغث والسمين منه كان يعرف فضل الكلام ويدرك أثره في نفوس المخاطبين، لذلك كانت عنایتهم بالكلام فوق كل عناية.

ثم جاء العصر الإسلامي وكان لسحر القرآن في نفوس العرب ما كان، مما دفعهم إلى الاختصاص فيه ثم الاحتکام إلى بلاغته وفصاحته، وإسلام كثير منهم لمجرد أن استمع إلى بعض آياته.

ولم يستطع المشركون أن يكتموا إعجافهم بسحر القرآن وشدة وقوعه وتأثيره، هذا عتبة بن ربيعة — وكان مقدماً في قومه — قام إلى النبي عليه الصلاة والسلام في المسجد وعرض عليه المال والجاه والسيادة ليثنيه عن عزمه، حتى إذا فرغ عتبة رسول الله يسمعه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال عتبة: نعم، قال: فاسمع مني **(حسم ١)** **تَزَبَّلُ مِنَ الْوَرَخْمَنِ الرَّجِيمِ** **(٢)** كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ **(٣)** بشيراً وَتَذَبِّراً فَأَغْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ **(٤)** [فصلت / ١ - ٤]، ثم مضى رسول الله يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أبصت لها حتى انتهى رسول الله إلى السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت بذلك، وعاد عتبة إلى قومه مذهولاً وقال: سمعت قولنا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> السيرة النبوية ١/٣٠٧

ثم دفع هذا القرآن العرب وغيرهم من المسلمين إلى التأليف فيه وبيان نواحي الإعجاز التي من أبرزها الناحية البلاغية، وهيأ لبيان هذا الجانب علماء مخلصون كان على رأسهم عبد القاهر الجرجاني — رحمه الله — الذي ردَّ إعجاز القرآن إلى نظمه، والنظم عنده يشتمل على كل فنون البلاغة، وقد أحسن ربط النحو بالمعانٍ، فبعث في النحو روحًا وحيوية فلم يعد النحو مقتضراً على الإعراب لأن «الإعراب ليس من الفصاحة التي يعنيها أمرها في شيء إذ لا يتصور أن يكون للرفع والنصب في كلام مزية عليهما في كلام آخر»<sup>(١)</sup>.

والبلاغة والفصاحة عند الجرجاني مصطلحان ذوا معنى واحد وهما يندرجان تحت نظرية النظم وبشيء من التحوز يقول إن النظم عنده هو الأسلوب في عرف من جاء بعده.

ويمكن حصر آراء الجرجاني بالإعجاز في ثلاثة جوانب:

الأول: أن القرآن معجز بلغته.

الثاني: أن بلاغته في نظمها يعني أن الإعجاز في النظم.

الثالث: بيان طبيعة النظم ودراسة موضوعاته.

ولعلك أدركت أن هذه الموضوعات شكلت أكثر موضوعات علم المعانٍ بـ كلها إذا استثنينا بعض أنواع الطلب.

وقد قدمنا للكتاب بمقدمة تشرح ظروف تطور هذا العلم إلى أن صار ذا حدود وتعريفات ورسوم، حاولنا — ما أمكن — تجنب التكرار فيها، وحملنا في بحوث الكتاب من المعين الذي صدرت عنه البلاغة عندما كانت فنا خالصاً قبل أن يجف ماؤها ويذوي عودها على أيدي المتأخرین، فكان اعتمادنا على أمهات كتب التفسير والإعجاز والبلاغة والأدب كما رأيت.

<sup>(١)</sup> دليل الإعجاز / ٣٠٦.

ولعلك أدركت أننا رأينا في التأليف مستوى الطالب في المرحلة الجامعية، فبسطنا القول في مواضع وأوجزنا في أخرى، وحين كنا نشعر أن الكلام قد اعتراف شيء من الغموض كنا نعمد إلى تيسيره وكشف ما فيه من إيهام، كما كنا نستغني ببعض القول عن بعضه وخاصة في حديثنا عن الإسناد وأحواله وندل على أنَّ ما قيل في موضع يمكن القياس عليه في موضع آخر.

وبينما الفائدة المتواخة من تعلم البلاغة من هذا الوجه (علم المعانى) وهو أن تتدرب على سلامه التفكير ثم كتابة ما تفكر به بالصيغة المثلثى؛ لأن من شأن البلاغ أن يرتسب ألفاظه في عبارته وفق ترتيب المعانى في نفسه، يفكر أولاً بالمعنى ثم ينشئ كلامه مختاراً الألفاظ — مع مراعاة فصاحتها — والجمل — مع مراعاة بلاغتها — والstrukتيب المراعياً فيها مقتضى الحال، فإن قيمة المفردة أن تصل إلى درجة التألق، وقيمة الكلام أن يحقق الإقناع والإمتاع من خلال وروده إلى قلب السامع وعقله، أليس من تعريفات البلاغة أنها إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ؟

وقد قدمنا في آخر كل بحث نوعين من التدريبات، الأول منها قمنا بحله وتركنا

الثانى ليعمل فيه القارئ فكره ويتوصل إلى المراد منه بنفسه.

أرجو أن يتقبل الله تعالى منا هذا العمل و يجعل ما فيه من خير في حسناتنا وما فيه من سوء حافظاً لنا على طلب العلم وتحسين العمل، والحمد لله رب العالمين.

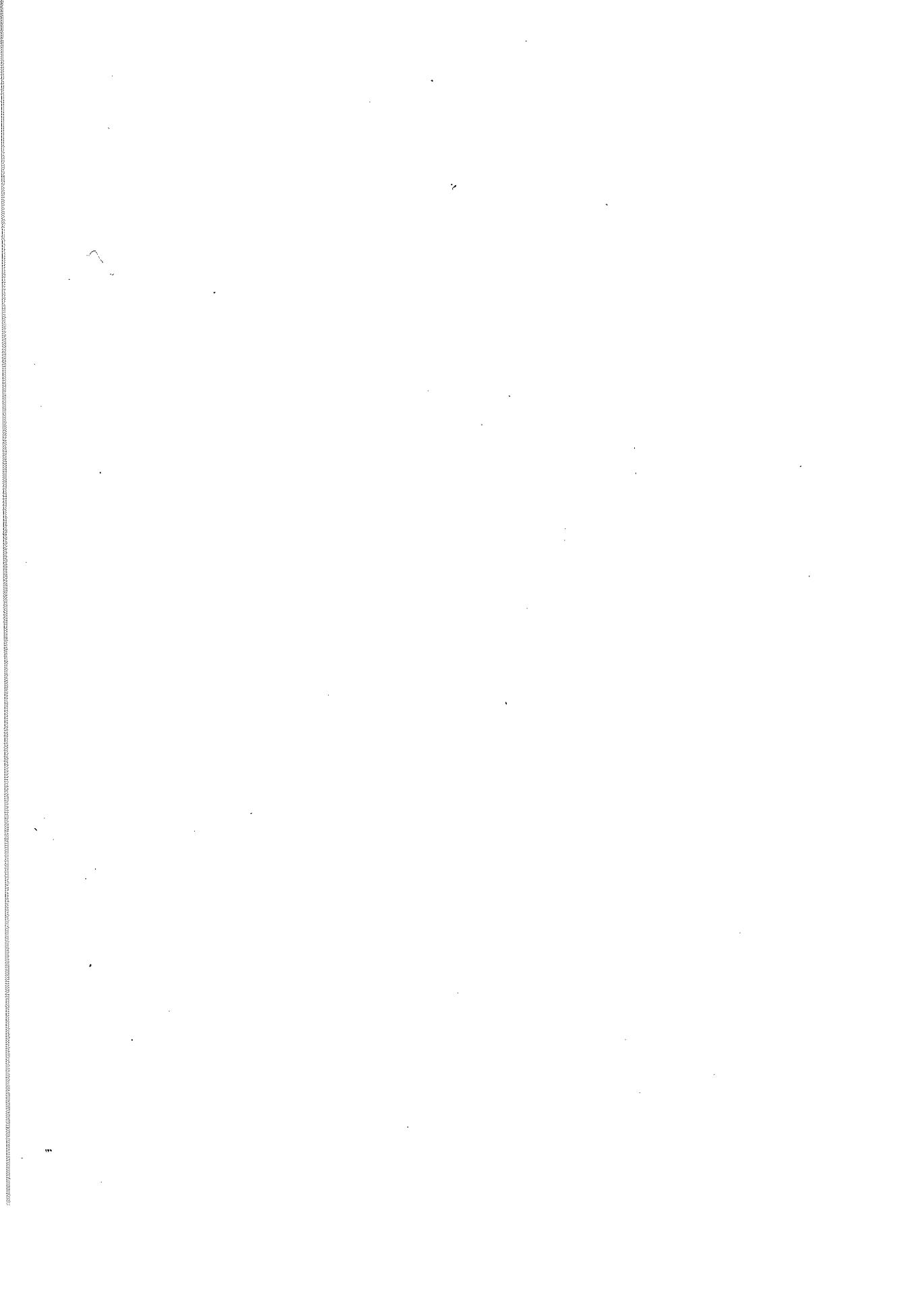
## أبرز مصادر الكتاب ومراجعه

- ١— أسرار البلاغة — عبد القاهر الجرجاني — تحقيق. محمد رشيد رضا — دار المعرفة — بيروت — ١٩٨٨.
- ٢— الإرشاد إلى الإيجاز في بعض أنواع المحاجز — عز الدين بن عبد السلام تحقيق: رمزي دمشقية — دار البشائر الإسلامية — ط١ — ١٩٨٧.
- ٣— إعجاز القرآن للباقلاوي تحقيق: أحمد صقر — دار المعارف — مصر — ط٤.
- ٤— الأغاني — لأبي الفرج الأصفهاني — مصورة عن دار الكتب المصرية — ط١ — ١٩٢٧.
- ٥— الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز — د. مختار عطية — دار المعرفة الجامعية — مصر — ١٩٩٧.
- ٦— الإيضاح للقزويني تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي — مكتبة الحسين التجارية — مصر — ط١ — ١٩٤٩.
- ٧— البحث البلاغي عند يحيى بن حمزة العلوى اليمنى — مخطوط — د. منيرة فاعور.
- ٨— البحر الخيط — أبو حيان الأندلسي — ط٢ — ١٩٨٧.
- ٩— البلاغة للمبرد — مكتبة الثقافة الدينية — ط٢ — ١٩٨٥.
- ١٠— البلاغة العربية تاريخها — مصادرها — منهاجها — د. علي عشري زايد — مكتبة الشباب — مصر — ١٩٨٢.
- ١١— البلاغة عند السكاكي — د. أحمد مطلوب — منشورات مكتبة النهضة — بغداد — ط١ — ١٩٦٤.

- ١٢ — البلاغة العربية قراءة جديدة — محمد عبد المطلب — مكتبة لبنان — ١٩٩٧
- ١٣ — البلاغة فنونها وأفناها — د. فضل عباس — دار الفرقان — الأردن — ط٤ — ١٩٩٧.
- ٤ — البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري — محمد أبو موسى — دار الفكر العربي.
- ٥ — البيان والتبيين للحافظ — تحقيق: عبد السلام هارون — دار الفكر — ط٤.
- ٦ — التلخيص للمفروني — شرح عبد الرحمن البرقوقي — المكتبة التجارية الكبرى — مصر — ١٩٠٤.
- ٧ — الجامع لأحكام القرآن للقرطبي — ط٢ — ١٩٥٢.
- ٨ — جهود المفسرين في البحث البلاغي — مخطوط — د. منيرة فاعور.
- ٩ — دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني — تحقيق: الداية — دار ابن قبيقة — ط١
- ١٩٨٣، وتحقيق: رشيد رضا — دار المعرفة — بيروت — ١٩٨٢. وتحقيق:  
محمود شاكر — مكتبة الحاخمي — القاهرة.
- ١٠ — رسائل المحافظ — تحقيق: عبد السلام هارون — مكتبة الحاخمي — القاهرة — ط١ — ١٩٧٩.
- ١١ — سر الفصاحة لابن سنان الخناجي — دار الكتاب العالمي — بيروت — ط١ — ١٩٨٢.
- ١٢ — السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: السقا والأبياري وشلي — دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- ١٣ — شرح الألفية لابن الناظم.
- ١٤ — شرح عقود الجمان للسيوطى — مطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر — ١٩٣٩.
- ١٥ — شروح التلخيص للسبكي والمغربي والفتازاني.

- ٢٦— الصاجي في فقه اللغة لابن فارس اللغوي تحقيق: د. عمر الطباع — مكتبة المعرف — بيروت — ط١ — ١٩٩٣.
- ٢٧— الصناعتين لأبي هلال العسكري — تحقيق: د. مفید قمیحہ — دار الكتب العلمية — بيروت — ١٩٨١.
- ٢٨— الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز — بحیی بن حمزة العلوی — دار الكتب العلمية — بيروت — ١٩٨٢.
- ٢٩— الكتاب لسيبویه — تحقيق: عبد السلام هارون — ط٢ — مكتبة الحانجی — مصر — ١٩٧٧.
- ٣٠— فن البلاغة — د. عبد القادر حسين — عالم الكتب — بيروت — ط٢ — ١٩٨٤.
- ٣١— الكشاف للزمخشري — دار المعرفة — بيروت.
- ٣٢— اللامات للرجاحی — تحقيق د. مازن المبارك — دار الفكر — ط٢ — ١٩٨٥.
- ٣٣— المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير — تحقيق: محمد محیی الدين عبد الحميد — المكتبة المصرية — صيدا — ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م.
- ٣٤— بحاج القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى — تحقيق: د. محمد فؤاد سرکین — مكتبة الحانجی — القاهرة.
- ٣٥— معان القرآن للفراء — تحقيق: محمد علي النجار وآخرون — السدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٣٦— المصباح في المعاني والبيان والبدایع — بدر الدين بن مالك — تحقيق: د. حسني يوسف — مطبعة الجماميز — مصر.
- ٣٧— معجم الأدباء — ياقوت الحموي — دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- ٣٨— مغنى الليب لابن هشام الأنصاري — تحقيق: د. مازن للبارك ومحمد علي حمد الله — دار الفكر — ط١.

- ٣٩— مفتاح العلوم للسكاكيني — تحقيق: نعيم زرزور — دار الكتب العلمية —  
بيروت — ط١ — ١٩٨٣.
- ٤٠— الموجز في تاريخ البلاغة — د. مازن مبارك — دار الفكر — دمشق — ١٩٨١.
- ٤١— الشر الفني في القرن الرابع — د. زكي مبارك — دار الكتب المصرية — القاهرة  
— ط١ — ١٩٣٤.
- ٤٢— النحو الواقي — عباس حسن — دار المعارف — مصر.
- ٤٣— النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في الإعجاز) تحقيق: محمد خلف  
الله، ود. محمد زغلول سلام — دار المعارف — مصر.
- ٤٤— نهاية الإعجاز في دائرة الإعجاز — الفخر الرازي — تحقيق: د. بكري شيخ أمين  
دار العلم للملايين — بيروت — ط١ — ١٩٨٥.



## اللجنة العلمية

د. عمر موسى باشا  
د. منى إلياس  
د. ناصر حسين علي

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات